# كتاب
# الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم

تأليف شهاب الدين أحمد بن الحسين بن محمّد بن العُليف

(ت 926/1520)

# كتاب
# الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم

تأليف شهاب الدين أحمد بن الحسين بن محمّد بن العُليف

(ت 926/1520)

تحقيق ودراسة

**بلال الأرفه لي**

تصدير

**رضوان السيّد**


نُشر هذا الكتاب بدعم من

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

AUB
American University of Beirut
الجامعة الأميركية في بيروت

كلية الآداب والعلوم
كرسي الشيخ زايد
للدراسات العربية والإسلامية

جامعة نيويورك أبوظبي
NYU ABU DHABI

الطبعة الأولى: حزيران/يونيو 2023م – 1445هـ

ردمك 978-614-01-3658-8

جميع الحقوق محفوظة

توزيع
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح

التوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقـــراء للـنـشـــر

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم الغلاف: علي القهوجي

*إلى سلطان القلوب*

*عبد الرحيم أبو حسين (1951-2022)*

# المحتويات


**شكر** ..... 9
**تصدير** ..... 11

**مقدّمة التحقيق**..... **15**
الأدب العربيّ في الفترة العثمانيّة ..... 17
شهاب الدين ابن العُليف وآثاره ..... 19
الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم ..... 26
تحقيق الكتاب ..... 37

**كتاب الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم**..... **39**

**المقدّمة في ذكر نسب الرّوم وذكر من اصطفاه الله تعالى منهم للنبوّة واجتباه للرسالة وخصّه بالولاية** ..... **43**
فصلٌ فيمن اصطفاه الله تعالى لنبوّته من أهل الرّوم وهو السّيد أيّوب الصابر عليه الصلاة والسلام ..... 50
فصلٌ في ذكر ما ورد في فضل أهل الرّوم ونبذة من أخبارهم وفضائلهم ومن ينسب إليهم ..... 60
ذكر ما يُؤثر عن الرّوم من الحكمة من أجلّ علمائهم وأعظم حكمائهم ..... 61

**الباب الأوّل وهو نتيجة المقدّمة، والمقصود بهذه الترجمة، في مناقب السلطان بايزيد، ومآثر سلفه السعيد** ..... **75**
فصل ..... 89
فصل في ذكر نبذة يسيرة من كرمه وسوابغ نعمه ..... 90
فصل في مبانيه السنيّة ومآثره العليّة ..... 94
فصل في ذكر جهاده ومرابطته وفتوحاته وما مُنحه في ذلك من جزيل الثواب ..... 95
فصل في نبذةٍ يسيرةٍ من حسن سيرته وعدله وحلمه وسياسته وفضله ..... 104
فائدة ..... 116
فصل في ذكر مَوالينا أولاده صفوة الملوك، ودرر السلوك، وخُلاصة الذهب المسبوك، أعلام الهدى، ومصابيح الدجى ..... 119

**الباب الثاني في ذكر طرف من أخبار ملوك الرّوم ..... 123**
فصل ..... 136

**الباب الثالث في ذكر لمعة يسيرة من خبر القسطنطينيّة وما يتّصل بها من أخبار غيرها من بعض مدن الرّوم المشهورة وخبر بعض ملوكهم على نسق التاريخ ..... 163**
تتميم ..... 195

**خاتمة ..... 211**

**الفهارس ..... 223**
فهرست الآيات القرآنيّة ..... 225
فهرست متون الحديث ..... 227
فهرست الأعلام ..... 231
فهرست الأمم والقبائل والجماعات ..... 239
فهرست الأيّام والغزوات ..... 241
فهرست البلدان والمواضع ونحوها ..... 243
فهرست الأشعار ..... 247

**قائمة المصادر والمراجع ..... 249**

# شكر

اقترح عليّ أن أحقّق هذا الكتاب زميلي الراحل الدكتور عبد الرحيم أبو حسين، وعرض عليّ المشاركة في التحقيق والتقديم له. وقد ناقشنا الكتاب وموضوعه مرارًا في رحلاتنا المتكرّرة إلى تركيا، لكنّنا كنّا نأجّل العمل عليه حتّى شفائه. مرّت السنون، وفُجعت بصديقي، وبقي هذا الكتاب لا أدري ما أصنع به. وكنت كلّما شرعت بتحقيقه تهيّبت لأنّي لم أعتد تحقيق الأعمال التي تعود للفترة العثمانيّة، ولكنّي بعد مليّ من التفكير رأيت أنّ حقَّي المودّة والوفاء يفرضان عليّ نشر العمل على قدر المعرفة والاستطاعة.

أودّ أن أشكر المساعِدة البحثيّة روان الحلو التي قرأت الكتاب بعناية واستوفت العمل على فهارسه، فسهّلت على القرّاء مهمّة البحث فيه، والدكتورة لينا الجمّال لقراءتها نصّ المقدّمة. كما أشكر الدكتور ياسر محمّد غريب عبد السلام لإرساله نسخة عن أطروحته للدكتوراه التي حقّق فيها ديوان ابن العُليف ودرسه. والشكر موصول لكرسيّ الشيخ زايد في الجامعة الأميركيّة في بيروت ومعهد الأبحاث في جامعة نيويورك أبوظبي لدعمهما هذا العمل.

**بلال الأرفه لي**

بيروت 2023

# تصدير

ثناء الكتّاب والشعراء على الترك قديم، وأقدم ما نعرف منه رسالة الجاحظ في مناقب الترك وعامّة جند الخلافة. وفي كلّ عصرٍ يتّخذ هذا التقدير للترك ألوانًا جديدة بحسب الحقبة والأسرة الحاكمة، وبخاصّةٍ بعد سيطرة السلاجقة في أواسط القرن الخامس الهجريّ. وفي العصر المملوكيّ صار الثناء على الترك في مقدّمات سِيَر السلاطين الذين كانوا من سلالات تركيّة. وبالطبع فإنّ الثناء انصبّ في الرسائل على شجاعة الترك وقدراتهم العسكريّة. ثمّ صار يجري أيضًا العمل على أنسابهم وأخلاقهم وأديانهم وممالكهم.

كتاب الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الروم فيه جديدٌ كثير فيما يقع بين السيرة والأسطورة، وتتقدّم الأساطير كثيرًا على السيرة والتاريخ. حكم السلطان بايزيد الثاني بين عامي 1481 و1512م، وهذا يعني أنّ العثمانيّين ما كانوا قد دخلوا الشام ومصر، وما كانت معركة مرج دابق (1516م) قد حدثت. بيد أنّ ابن العُليف – مؤلّف الكتاب – ما كان الأوّل الذي يشيد بمناقب الترك العثمانيّين قبل دخولهم إلى بلاد الحرمين والبلاد العربيّة الأخرى التي كان المماليك يحكمونها، فمنذ فتح القسطنطينيّة (1453م)، والانتصار على الصفويّين، واختراق أوروبا، صارت فتوحات العثمانيّين على كلّ شفةٍ ولسان. بل يحسّ القارئ لكتاب ابن العُليف أنّه يرغب في دخول العثمانيّين إلى الحرمين لأنّهم الأَولى بحمل لقب حامي الحرمين، وربّما حمل لقب أمير المؤمنين.

كان ابن العُليف شاعرًا مدّاحًا لأمراء الحرمين، وفي آخر الدرّ المنظوم قصيدة رنّانة في السلطان بايزيد؛ ويُقال إنّ السلطان خصّص له راتبًا، وتوفّي ابن العُليف عام

926/ 1520 أي مباشرةً بعد دخول العثمانيّين إلى الشام ومصر وبلاد الحرمين.

مصادر ابن العُليف في كتابه من التراث الأسطوريّ العربيّ في الأنساب والأخبار، ومن كتب الجغرافية في وصف الأماكن ومنها القسطنطينيّة، ومن كتابَي الثعلبيّ في التفسير وفي قصص الأنبياء (العرائس). لكنّه يعرف أيضًا كتاب المقريزيّ درر العقود الفريدة في التراجم، وذلك إلى عشرات النقول في حسن أخلاق الروم وفروسيّتهم. ولم أتعرّف عنده على مصادر في الفقه، ربّما باستثناء شرعة الإسلام الذي يبدو أنّه كتابٌ في الفقه الحنفيّ والأخلاق.

وفي حين تبقى أخباره عن القسطنطينيّة عاديّة وربّما كانت منقولة، فإنّ مسالكه في الأنساب والتاريخ تجمع بين النقائض. فالعثمانيّون من سلالة عثمان بن عفّان، لكنّهم أيضًا من الروم، إمّا لأنّهم ينتسبون إلى يافث أو لأنّهم استولوا على بلاد الروم (آسيا الصغرى) وعاصمتهم القسطنطينيّة. وهو يذهب في خاطرة اقتباسيّة إلى أنّ الإسكندر المقدونيّ غير ذي القرنين، ليستقرّ رأيه بعد ذلك على جعل المقدونيّ ذا القرنين ومن الروم، يعني من أجداد العثمانيّين! ويستند إلى قصّة هرقل مع أبي سفيان التي ترد في كتب الحديث، ليذهب إلى إيمان هرقل، وربّما لم يكن ذلك بسبب القصّة بل لأنّ هرقل روميّ والعثمانيّون في بلاد الروم وهم سلاطين الروم، ومن المستحسن أن يكون لهم تاريخ في الإيمان والإسلام.

ويعرف ابن العُليف التاريخ العثمانيّ وأسماء السلاطين السابقين على بايزيد معرفةً لا بأس بها. وهو يختلف عن السابقين من كتّاب المناقب بالتركيز على ثلاث صفات أو ميّزات لسلاطين بني عثمان: الورع والتقوى، وقيادة الجهاد، وحبّ العلماء والإفادة من نصائحهم.

هل الكتاب نمطٌ في التأليف شأن كتب سير السلاطين ومناقبهم في العصر المملوكيّ؟ هناك شبهٌ كبير، لكنّ المقدّمات في سير السلاطين قصيرة، ولا تحفل كثيرًا بالزمن الأسطوريّ الذي يهتمّ به ابن العُليف اهتمامًا كبيرًا. وربّما ما كان ذلك

ممكنًا في سِيَر السلاطين المماليك لأنّ أولياتهم معروفة، بينما يبدو العثمانيّون سلاطين وملوكًا دائمًا ما دام نسبهم يصل إلى ذي القرنين، ومجدهم من مجد هرقل. وهكذا تكون لشرعيّتهم ثلاثة أركان: النسب الملوكيّ، والفتوحات، والولاء للإسلام.

كتاب ابن العُليف طريف، ويستحقّ النشر لأنّه قصّة شاسعة في بشائر بني عثمان.

**رضوان السيّد**

# مقدّمة التحقيق

شاءت الظروف التاريخيّة أن تتشابك مصائر العرب والترك في السرّاء والضرّاء لما يزيد على ألف عام. ولا يسمح المقام هنا بتتبّع جذور هذه العلاقة، ولكن يكفي القول إنّ هذا التشابك سابق على الفترة العثمانيّة ولم يكن دومًا انعكاسًا لموازين القوى بينهما. فقد كانا شريكين، كما كانا حكّامًا لمحكومين، وفي أحيانٍ أخرى الأخوةَ الأعداء. وقد جمع بينهما تاريخ مشترك، وجمعت غالبيّتَهما الرابطة الدينيّة، وفرّقت بينهما المصالح خاصّة في أواخر أيّام الدولة العثمانيّة وما تلا انهيارها من قيام دول المنطقة الحديثة على أنقاضها. أنتجت المستويات المختلفة لهذه العلاقة العربيّة التركيّة وتعقيداتها، خاصّة في الفترة التي تلت نهاية الحقبة العثمانيّة، تباعدًا بل جفاءً بين العرب والترك، وقد انعكس هذا الجفاء في نظرة كلٍّ منهما إلى الآخر نظرة عدائيّة. وانسحبت هذه النظرة على الحقبات التاريخيّة السابقة، وخاصّة على الفترة الأطول زمنيًّا، والأغنى تفاعلًا ثقافيًّا، ونعني بها الفترة العثمانيّة التي جمعت العرب والترك في إطار جامع سياسيًّا وثقافيًّا على مدى أربعة قرون كاملة.

لقد شهد القرن العاشر/ السادس عشر تغيّرات كبيرة: غلبت الشيعة الاثنا عشريّة الدولةَ الصفويّة، واكتشف البرتغاليّون طريقًا إلى الهند بمنأى عن سيطرة الدولة العثمانيّة ودولة المماليك، اللتين انشغلتا بحروب متتالية أفضت إلى سقوط دولة المماليك في مصر وسوريا. وكان دخول السلطان سليم الأوّل (حكم 918–926/ 1512–1520) عام 922/ 1516 بداية لحكم العثمانيّين في المنطقة العربيّة، والذي

استمرّ حتّى عام 1337/ 1918[1]. وكان العثمانيّون قد سيطروا بعد معركة مرج دابق على معظم ما يُعرف اليوم بالعالم العربيّ، ومع أنّ مركز السلطنة أو الخلافة لم يعد في العالم العربيّ، فإنّ وجهاء العرب ظلّوا موالين للباب العالي في إستانبول مستمدّين منه شرعيّة الحكم والنفوذ المحلّيّ.

انطلاقًا ممّا سبق، لا بدّ لنا بصفتنا عربًا أوّلًا، وباحثين في العلاقات العربيّة التركيّة ثانيًا، أن نعود لقراءة النصوص الأدبيّة والتاريخيّة ضمن إطارها الزمنيّ والجغرافيّ، لا أن نسقط على هذه النصوص وقائع سياسيّة من الأزمان اللاحقة (والأمر عينه ينطبق على الباحثين الأتراك طبعًا). وفيما يركّز أغلب الدراسات الحديثة على العلاقات العثمانيّة العربيّة في مصر وسوريا، فإنّ أهميّة النصّ الذي ننشره في هذا الكتاب أنّه لأحد أبرز وجوه الجزيرة العربيّة الثقافيّة في القرن السادس عشر الميلاديّ. فهو أحد علماء مكّة، وهي إذ ذاك ليست تحت السيطرة العثمانيّة، يكتب تاريخًا للدولة العثمانيّة وترجمة لمعاصره من سلاطينها بايزيد الثاني (حكم 886–918/ 1481–1512)[2].

لسنا هنا بصدد تقييم العمل من جهة إضافته للمعرفة التاريخيّة، ولكن من جهة أنّه انعكاس لصورة العثمانيّين والترك وما يربطهم بالعرب من وجهة نظر المؤلّف. وفي ضوء ذلك يمكن اعتبار هذا العمل وثيقة تاريخيّة هامّة.

(1) للمزيد عن معركة مرج دابق ودخول العثمانيّين الشام ومصر في هذه الفترة عمومًا، انظر:
Abdulrahim Abu-Husayn (ed), *1516: The Year that Changed the Middle East*.

انظر أيضًا:

Michael Winter, "Egypt and Syria in the Sixteenth Century."

(2) انظر ترجمة السلطان بايزيد الثاني في ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر 5/ 128؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة 12/ 217 و267؛ والسخاوي، الضوء اللامع 11/ 148؛ والصيرفي، نزهة النفوس والأبدان 1/ 334 و365 و390 و2/ 149؛ والسيوطي، حسن المحاضرة 1/ 160؛ والشوكاني، البدر الطالع 1/ 60؛ والمقريزي، درر العقود الفريدة 1/ 439.

## الأدب العربيّ في الفترة العثمانيّة

لم يولِ مؤرّخو الأدب العربيّ، حتّى وقت قريب، كبير اهتمام بالفترتين المملوكيّة والعثمانيّة، ومردّ ذلك وجهة النظر القديمة القائلة بانحطاط الحياة الأدبيّة والفكريّة والثقافيّة بعد سقوط بغداد بيد المغول عام 656/ 1258. وقد ساءلت الدراسات الحديثة هذه المقولة، ممّا فتح المجال لسبلٍ جديدة لدراسة التاريخ الفكريّ والثقافيّ في هاتين الفترتين[3]. ومن الباحثين الذين ساءلوا مقولة الانحطاط في الفترة المملوكيّة محسن جاسم الموسوي وتوماس باور (Thomas Bauer)[4]. وقد بدأ عدد من الباحثين الجادّين بتسليط الضوء على الأدب العربيّ في الفترة العثمانيّة[5]. درست هيلين بفايفر (Helen Pfeifer)، على سبيل المثال، دور المجالس الأدبيّة في دمشق العثمانيّة[6]. وسلّط آدم طالب الضوء على المقاطع الشعريّة ودورها في

(3) لمثل هذه المساءلة لمقولة الانحطاط، انظر:

Khaled El-Rouayheb, *Islamic Intellectual History in the Seventeenth Century: Scholarly Currents in the Ottoman Empire and the Maghreb*; Muhsin J. al-Musawi, *The Medieval Islamic Republic of Letters: Arabic Knowledge Constructions.*

انظر أيضًا:

Dana Sajdi, "Decline, Its Discontents and Ottoman Cultural History: By Way of Introduction."

(4) انظر:

Muhsin J. al-Musawi, *The Medieval Islamic Republic of Letters: Arabic Knowledge Constructions;*

وانظر مراجعة توماس باور للمجلّد المخصّص للأدبين المملوكيّ والعثمانيّ ضمن سلسلة كمبردج للأدب العربيّ:

Thomas Bauer, "In Search of 'Post-Classical Literature': A Review Article."

(5) انظر مقالة حاجي عثمان غندز التي يناقش فيها الإطار العامّ لمفهوم الانحطاط وسياقه في الدراسات العربيّة الحديثة:

Hacı Osman Gündüz, "Ottoman-Era Arabic Literature: Overview of Select Secondary Scholarship."

(6) انظر:

Helen Pfeifer, "Encounter after the Conquest: Scholarly Gatherings in 16th-Century Ottoman Damascus"; Helen Pfeifer, *Empire of Salons: Conquest and Community in Early Modern Ottoman Lands.*

الأدبين المملوكيّ والعثمانيّ[7]. ويتّفق هؤلاء الباحثون على ضرورة تحقيق التراث ودراسته وفقًا لمعايير الفترة الزمنيّة التي ظهر فيها لا معايير القرن التاسع عشر. ونشهد اليوم أيضًا اهتمامًا متزايدًا بنشر الدواوين الشعريّة من هاتين الفترتين، بالتزامن مع ظهور دراسات جادّة تركّز على أصحابها من الشعراء[8].

يبحث الشعراء المادحون – كعادتهم – عن رعاة للأدب دومًا، وهذا يسري على شعراء الفترة العثمانيّة سريانه على شعراء الفترة العبّاسيّة. يرى توماس باور وحاجي عثمان غندز (Hacı Osman Gündüz) أنّ ما يميّز الشعر في الفترتين المملوكيّة والعثمانيّة هو تغيّر الفضاء الذي أُلقي فيه هذا الشعر. فالسلاطين المماليك والعثمانيّون نادرًا ما أتقنوا العربيّة[9]، مع أنّهم كافأوا الشعراء المادحين[10]. ويبدو ممّا وصلنا من الآثار أنّ فئتي الشعراء والكتّاب قد اختلطتا بفئة العلماء، وأنّ أشخاصًا من مختلف المهن والطبقات الاجتماعيّة قد نظموا الشعر[11]. كما وصلنا كمّ كبير من الدواوين الشعريّة والرحلات وكتب المختارات التي تشي بحياة أدبيّة زاخرة.

(7) انظر:

Adam Talib, *How Do You Say "Epigram" in Arabic?*

(8) انظر:

Hacı Osman Gündüz, "Ottoman-Era Arabic Literature: Overview of Select Secondary Scholarship," 117–118.

(9) يشير غندز إلى استثناءات منها مجلس السلطان المملوكيّ قانصوه الغوري (حكم 906–922/ 1501–1516)، ومجالس قضاة دمشق.

(10) انظر على سبيل المثال مدح ابن سلطان (ت 950/ 1544) للسلطان سليم الأوّل:

Kristof D'hulster, "Caught Between Aspiration and Anxiety, Praise and Exhortation: An Arabic Literary Offering to the Ottoman Sultan Selīm I."

وانظر مديح ماميه الروميّ (ت 985–987/ 1577–1579) للسلاطين العثمانيّين:

Hacı Osman Gündüz, "Between Lamenting Vicissitudes of Life and Celebrating Ottoman Authority in the Sixteenth Century: Māmayya al-Rūmī's (d. 985-7/1577-9) Times and Poetry."

(11) انظر:

Thomas Bauer, "Mamluk Literature: Misunderstandings and New Approaches," 108.

وكذلك:

Hacı Osman Gündüz, "Between Lamenting Vicissitudes of Life and Celebrating Ottoman Authority in the Sixteenth Century," 318.

اتّصل الشعراء في الحجاز في هذه الفترة الزمنيّة بالسلاطين المماليك والعثمانيّين في آن، ولا شكّ أنّ دعم العثمانيّين للشعراء العرب كان غرضه الدعاية وتعزيز الولاء للباب العالي، وبالتالي السيطرة على مكّة المكرّمة. والملاحظ أنّ اهتمام العثمانيّين بمكّة سابق لهذه الفترة، فقد أوقف السلطان محمّد الأوّل (حكم 816–824/ 1413–1421) جزءًا من أمواله على فقراء الحرمين، وكذلك فعل مراد الثاني (حكم 824–855/ 1421–1451)، ومحمّد الثاني (حكم 855–886/ 1451–1481)[12]. وعندما حجَّ السلطان بايزيد في السنة التي تولّى فيها المُلك، توثّقت علاقته بأمير مكّة الشريف محمّد بن بركات (ت 903/ 1497) وكبار العلماء والأدباء فيها، فكان أن زاره بعضهم في إستانبول. وحين دخل السلطان سليم مصر، وافق الشريف بركات بن محمّد بن بركات (ت 931/ 1525) على الدعاء للسلطان العثمانيّ مقابل الإقرار العثمانيّ بإمارته على مكّة[13].

## شهاب الدين ابن العُليف وآثاره

كثيرة هي المصادر التي ترجمت لشهاب الدين ابن العُليف، وقليلة هي المعلومات التي نعرفها عنه، إذ تكرِّر هذه المصادر المعلومات عينها بفروقات طفيفة. وثمّة خلط في بعض المصادر بين عدد من الأشخاص المنحدرين من الأسرة نفسها، وينسحب هذا الخلط على الأشعار المنسوبة لشاعرنا في ديوانه. وقد اهتدى محقّق ديوان ابن العليف ياسر محمّد غريب عبد السلام إلى عدد من الأشخاص الذين ارتبطوا بهذا الاسم إلى جانب الشاعر موضوع الدراسة، وهم[14]:

(12) السباعي، تاريخ مكّة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، 342 و392.

(13) السباعي، تاريخ مكّة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، 393–394.

(14) انظر دراسة ياسر محمّد غريب عبد السلام، ديوان ابن العليف (851–826/ 1447–1520): تحقيق ودراسة، 54 وما بعدها.

- الفقيه أبو الحسن عليّ بن القاسم بن العليف بن هيس الزبيديّ (ت 640/ 1242).
- الفقيه أحمد بن عليّ بن القاسم بن العليف بن هيس الزبيديّ (ت 680/ 1281–1282).
- مسلم بن العليف (من شعراء القرن السابع/ الثالث عشر).
- جمال الدين محمّد بن الحسن بن عيسى العليفيّ (ت 815/ 1412–1413)، وهو جدّ الشاعر موضوع الدراسة.
- نور الدين بن جمال الدين محمّد بن الحسن بن عيسى العليفيّ (ت 847/ 1443–1444)، وهو عمّ الشاعر موضوع الدراسة.
- بدر الدين بن جمال الدين محمّد بن الحسن بن عيسى العليفيّ (ت 856/ 1452–1453)، وهو والد الشاعر موضوع الدراسة.
- عليّ بن بدر الدين بن جمال الدين محمّد بن الحسن بن عيسى العليفيّ، وهو أخو الشاعر موضوع الدراسة (ت 897/ 1491–1492).

وقد نظم معظم أفراد العائلة الشعر واشتهروا به، ولكنّ الشاعر شهاب الدين أحمد بن الحسين ابن العليف كان أشهرهم وأهمّهم لوجود ديوان ضخم يجمع شعره، ولاهتمام كتّاب الطبقات به وبإرثه. وترد ترجمته في المصادر التالية[15]:

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاويّ (ت 902/ 1497)، 1/ 290.

النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ت 1038/ 1628)، 180–185.

(15) وانظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، 1/ 117؛ وعمر كحّالة، معجم المؤلّفين: تراجم مصنّفي الكتب العربيّة، 1/ 208.

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين الغزّيّ (ت 1061/ 1651)، 1/ 122–124 (ضمن ترجمة "أبو يزيد ابن محمّد آل عثمان).

سلّم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجّي خليفة (ت 1067/ 1657)، 1/ 141.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد شهاب الدين (ت 1089/ 1679)، 10/ 123-124.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لشيخ الإسلام محمّد بن علي الشوكانيّ (ت 1250/ 1834)، 1/ 54–56.

هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين لإسماعيل باشا البغدادي (ت 1339/ 1920)، 1/ 139–140.

نعرف من هذه المصادر أنّ اسمه: شهاب الدين أحمد بن الحسين بن محمّد بن الحسين بن عيسى بن محمّد بن أحمد بن مسلم بن مُحيي المكّيّ الشافعيّ، ويُعرف كأبيه بابن العُليف، وهو تصغير عَلَف. يتّفق معظم هذه المصادر على أنّ مولده كان بمكّة المكرّمة في جمادى الأولى سنة 851/ 1447. وعاش دهرًا من حياته في مكّة لينتقل بعدها إلى المدينة المنوّرة، ثمّ يعود في الشوط الأخير من حياته إلى مكّة التي مات فيها في الثامن من ذي الحجّة سنة 926/ 1520. ويبدو من التواريخ المتوفّرة لدينا أنّه قد عاش يتيمًا، إذ توفّي والده وهو في الخامسة من عمره. ويذكر السخاويّ زواجه غير مرّة، وإنجابه لولد في المدينة هو أبو الفضل محمّد بن أحمد بن العليف، وهو شاعر كذلك، ولبنتين في مكّة. ويشير السخاويّ إلى أنّ أحوال الشاعر المادّيّة كانت صعبة لتكاثر الديون عليه، لذا نراه يطالب في عدد من قصائده بأعطيات تقيل عثرته وتوفي مغارمه[16].

(16) انظر نماذج عن هذه القصائد في دراسة ياسر محمّد غريب عبد السلام، ديوان ابن العليف (851–826/ 1447–1520): تحقيق ودراسة، 66–67.

تخبرنا المصادر بأنّه قد سمع بمكّة على بعض المشايخ، وعمل بالنساخة، وأكثر من مطالعة دواوين القدماء، وأخذ العربيّة والفقه عن القاضي عبد القادر المكّيّ المالكيّ (ت 880/ 1475–1476) وأبي الفتح عليّ بن محمّد نور الدين الفاكهيّ (ت 880/ 1476)، كما أخذ عن السخاويّ ونور الدين عليّ بن عبد الله السمهوديّ (ت 911/ 1506) اللذين يذكرهما في ديوانه. وقد رحل الشاعر أيضًا إلى القاهرة لطلب العلم، فأخذ عن علمائها مثل ابن الخيضريّ (ت 894/ 1489) والجوجريّ (ت 889/ 1484)، وكانت له رحلات إلى دمشق وحلب وطرابلس. ويورد بعض المصادر[17] رحلة للشاعر إلى إستانبول مدح فيها السلطان بايزيد الثاني، وتخصيص الأخير مبلغ ألف دينار جائزة له، وترتيبه مئة دينار ذهبًا كانت تصل إليه في كلّ عام وصارت بعده لأولاده. فهل حقًّا رحل ابن العُليف إلى إستانبول؟

لا يذكر السخاويّ معاصر ابن العليف شيئًا عن هذه الرحلة في ترجمته للشاعر، وظاهر نصّ كتاب الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم أنّه منقول عن مصادر كثيرة لا عن عيان أو لقاء مع السلطان بايزيد، والقصيدة الختاميّة في الكتاب توحي بأنّ الشاعر لم يلتقِ بالسلطان، بل أرسل له القصيدة. ويورد نجم الدين الغزّيّ قصّة كتاب الدرّ المنظوم والقصيدة وعطاء السلطان في ترجمة السلطان بايزيد، ولكنّه يقول إنّها عندما "وصلت إلى السلطان أبي يزيد خان سرّ بها"[18]. لذا ليس هناك من دليل على أنّ ابن العليف قد زار إستانبول.

ذكرت التراجم أعمالًا لابن العُليف لم تصلنا، هي: درر الإفراد في معرفة الأعداد، والشهاب الهاوي على الكاوي (ردّ على السيوطيّ)، والمنتقد اللوذعيّ على المجتهد المدّعي (ردّ على السيوطيّ)، وديوان هالة القمر في مدح خير

(17) انظر مثلًا حاجّي خليفة، سلّم الوصول إلى طبقات الفحول، 1/ 141؛ وابن العماد، شذرات الذهب، 10/ 124؛ وكذلك يرى ياسر محمّد غريب عبد السلام، ديوان ابن العليف (851–826/ 1447–1520): تحقيق ودراسة، 68.

(18) نجم الدين الغزّيّ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 1/ 123.

البشر[19]. وممّا وصلنا من أعماله ديوان شعر وكتاب الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم.

غلب المديح على شعر ابن العُليف، فنراه يمدح بشعره الكثير من معاصريه، غير أنّه خصّ بمعظم مديحه شريف مكّة بركات بن محمّد، ومن بعده أبا نُميّ بن بركات (ت 992/ 1584). ويُعدّ الديوان وثيقة لأحداث عصره، إذ حفظ كثيرًا من الأحداث التاريخيّة مثل صراعات الأشراف على مُلك الحجاز، ونهايات الدولة المملوكيّة، والهجمات البرتغاليّة على البحر الأحمر، وحركات التوسّع العثمانيّ في الشرق. ونرى في ديوان ابن العُليف أيضًا - شأنه شأن معاصريه من الشعراء - اهتمامًا بالمديح النبويّ، ورثاء وهجاء لبعض معاصريه، وبعض الألغاز. وغالبًا ما تتضمّن قصيدة المديح عنده نسيبًا وحماسة وفخرًا وحكمة وشكوى[20].

للديوان نسختان: الأولى في المكتبة الملكيّة الدانمركيّة، كوبنهاجن 244 وعدد أوراقها 281 ورقة[21]، والثانية في مكتبة برلين 7931 وعدد أوراقها 88 ورقة[22].

(19) كتاب ألغاز ابن العُليف وحلّها الموجود في معهد الثقافة والدراسات الشرقيّة في جامعة طوكيو في اليابان 2417 (ورقة 36ب-49ب) هو لبدر الدين حسين بن عيسى بن محمّد والد ابن العُليف مؤلّف الدرّ المنظوم.

(20) انظر موضوعات شعر ابن العُليف في أطروحة الدكتوراه للباحث ياسر محمّد غريب عبد السلام، ديوان ابن العليف (851-826/ 1447-1520): تحقيق ودراسة، 73-118، وانظر أيضًا الدراسة الفنّيّة لشعره في المصدر نفسه، 121-214.

(21) انظر:

T. Rasmussen Stig, *De Orientalske Samlinger-The Oriental Collections*, 332.

(22) انظر:

Wilhelm Ahlwardt, *Verzeichnis der arabischen Handschriften*, 7/109.

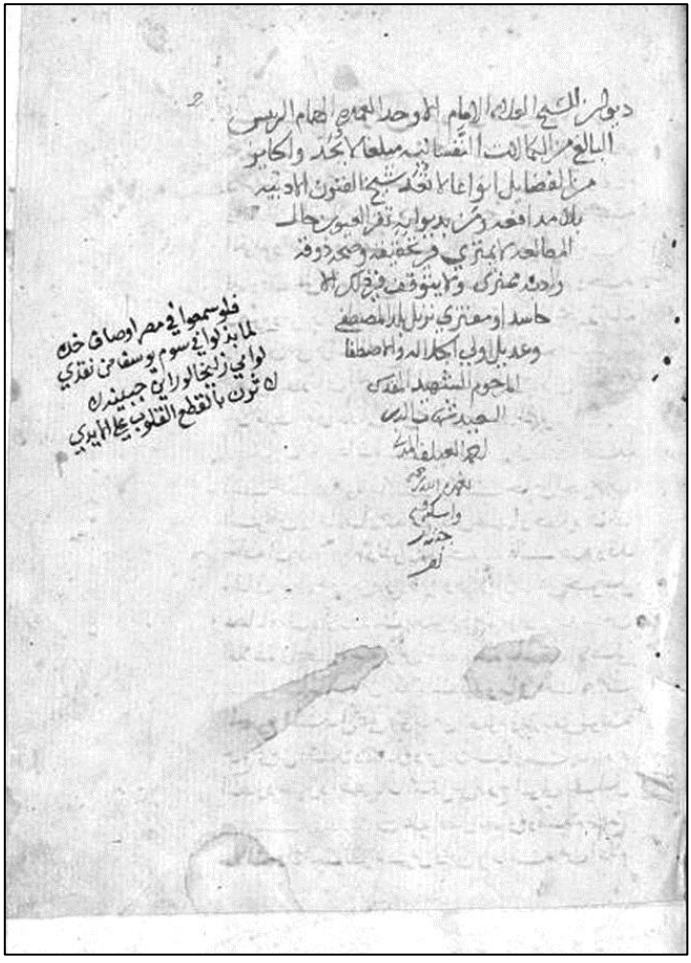

مخطوط المكتبة الملكيّة الدانمركيّة 244، ورقة 2أ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد سيد ولد آدم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم القيام وبعد
فلما وقف على كلام الشيخ الامام العلامة الهمام وحيد
دهره وفريد عصره العالم العامل المحقق الكامل مجتهد زمانه
والفايق على اقرانه الجامع الناظم الناثر المولف المصنف
العكي العدناني اليمني ثم المكي ثم المدني الشهير بالحبشي
بابن العليف العكي العدناني اليمني ثم المكي ثم المدني الشهير بشاعر
البطحاء بين الانام خاتمة شعراء الاسلام ودون لغته هذا
اللقب محمود مولانا السيد بركات حامي الحرمين
الشريفين واعاليهما رحمة الله تعالى عليهما وجعل ذلك في
خلفه الى يوم القيام وغمرهم برحمته فيه قال عنه وقد
اغناني بعظم خبره عن مدح عين وهذا ابدل على جزيل
عطاياه المذكور ذلك معلوم ومشهور وحدثه من
البلاغة في المحل الاسنى ومن الفصاحة بالمقام الاعلى
خصوصا ما فيه من الكلام المنظوم وما في معناه من
المجموع المشتمل على فنون من العلوم ولم يتفق لمولفه
جمع شتى من قضايا وتلاوين وفرايد سيما وسائلها عديم
النظير والمثيل واعظمها ما اشتمل على مدح المولى الجليل
حبيب الله تعالى عليه افضل الصلوة والسلام ثم مدح
سلالة حماة البيت الحرام ثم من وافق زمانه من اعلام

الاول

**مخطوط المكتبة الملكيّة الدانمركيّة 244، ورقة 2ب**

# الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم

للكتاب نسخة واحدة هي مخطوط مكتبة فاتح 4357 بتركيا، تقع في 118ورقة، ووُقّعت بخطّ المؤلّف بتاريخ 16 ذو الحجّة سنة 910/ 29 مايو 1505.

تحيل كلمة "الروم" الواردة في عنوان الكتاب، ضمن سياق استعمالها في القرن السادس عشر الميلاديّ، إلى الشعوب التي تسكن بلاد الأناضول والبلقان. ويشير المؤرّخون إلى أنّ المؤلّفين العرب قد استعملوا مصطلح "التركي" (ج. الأتراك) للدلالة على العثمانيّين وللتفرقة بينهم وبين المماليك، بينما استعملوا لفظة "الروم" للدلالة على الشعوب التي تقطن هذه الأراضي، واستعملوا لفظة "عثماني" للدلالة على الأشخاص العاملين في الدولة[23]. ويشير جمال كفادار إلى أنّ لفظة "الروم" تحمل دلالات طبقيّة لأنّها تحيل إلى فئة برجوازيّة، بينما تشير لفظة "الترك" إلى الأرياف[24].

يقع الكتاب في مقدّمة وثلاث أبواب. بعد البسملة والحمدلة وبراعة الاستهلال المعهودة في مقدّمات الكتب العربيّة، يذكر المصنّف سبب تأليف الكتاب، فيقول إنّ: "تقييد المآثر من أهمّ الأسباب، وتأبيد المناقب من شأن ذوي الألباب، حفظًا لذكر محاسن الأيّام، وضبطًا لآثار أفعال الكرام، وترغيبًا للسير على جادّة أولي الفضل، وتنبيهًا على التحلّي بحلية ذوي العدل." وهو بذلك يقتفي أثر كتّاب السيرة النبويّة وسير الخلفاء، وبالطبع فإنّه بذلك يضع السلطان بايزيد في سلسلة من العظماء، فهو على حدّ قول المصنّف: "سلطان الزمان، صفوة الصفوة من ملوك بني عثمان، كفو الملك، وربّ السرير، ودرّة التاج، وإنسان الحدقة،

(23) انظر:

Bruce Masters, *The Arabs of the Ottoman Empire, 1516-1928: A Social and Cultural History*, 13.

(24) انظر:

Cemal Kafadar, "A Rome of One's Own: Reflections on Cultural Geography and Identity in the Lands of Rum," 11.

وواسطة العقد، ونكتة المسألة، وقطب الدائرة، وقلب الجسد." وهذه صفات سيكرّرها ويثبتها في الكتاب.

يدرك المصنّف أنّه استرسل في الكتاب ليتكلّم عن سلالة السلطان بايزيد وأرض الروم عامّة وأحداث تاريخيّة لا ترتبط مباشرة بالسلطان. ولكنّ هذه الزيادات – بحسب رأيه – "لُمَع مفيدة من نفائس الأخبار، ومحاسن الآثار" و"فوائد حكميّة" فيها "تلقيح للعقل وتنبيه للرأي وصقل للذهن،" "وربّما أدّى الاسترسال إلى أشياء نفيسة [...] على نسق التاريخ."

يندرج الكتاب – علاوة على "السيرة" و"المناقب" – في إطار النوع الأدبيّ المسمّى "مرايا الملوك." ووفقًا لهذا النوع الأدبيّ يتشارك هادي الكتاب والمُهدى إليه في التأليف، فالكتاب عن محاسن السلطان ومناقبه، وهو بذلك صورة لهذا السلطان. يقول ابن العُليف: "علّمتني مكارمه كيف أُثني عليه، ودلّتني مناقبه من أين أدخل إليه، فاختلست من درّ معادنه، وأثنيت على شريف محاسنه، ومدحته بما فيه فكأنّي أنفقت عليه من خزائنه." وبما أنّ صاحب الكتاب ينتقي أو يقتبس من هذه المحاسن، فإنّ الصورة ستقصّر حتمًا عن استيعاب مجموع المحاسن والمناقب الموجودة في الأصل، ولو أوتي جميع العدّة اللازمة لذلك. ونرى ابن العُليف يعتذر عن هذا التقصير، مصرّحًا بأنّه قد بذل "جهد المستطيع" وأنّ السلطان غير محتاجٍ إلى "ثناء ناظم ولا ناثر ولا مدح خطيب ولا شاعر" خاصّة "بعد أن شهد له الإجماع." لماذا إذن هذا الكتاب؟

يورد المصنّف سببًا آخر لتصنيف الكتاب، وهو أن يتشرّف قلمه وبنانه ولسانه وتصانيفه وديوانه بذكر السلطان. ولكن علاوة على السبب الأوّل المذكور آنفًا – أي تقييد المآثر ترغيبًا للسير على جادّة أولي الفضل – والسبب الثاني – أي تشريف المصنّف بذكر السلطان – وهما سببان يرتبطان بالعادة والسنّة الأدبيّة والتنميط، يورد المصنّف سببًا آخر مباشرًا – وإن على عجلةٍ واستحياء – يرتبط بالأوضاع

التاريخيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، باللحظة الزمنيّة والبقعة الجغرافيّة التي يكتب فيها ومنها، فيقول: "قصدت أن يكون له نصيب من الأدعية الحَرَميّة والأثنية المدنيّة." فالمصنّف هنا على تمام الوعي بأهمّيّة موقعه في الحرمين الشريفين وهما ليسا بعد تحت السيطرة العثمانيّة، وبأهمّيّة قبول أهل الحجاز – وبخاصّة العلماء منهم – للسلطان العثمانيّ من أجل إضفاء الشرعيّة على حكمه لهذه الأرض المباركة.

في مقدّمة الكتاب نقاش مستفيض يستعرض فيه المؤلّف ثقافته وسعة إلمامه بالتراث الأدبيّ والتاريخيّ العربيّ – الإسلاميّ. يبدأ المصنّف بتقصّي أنساب الروم والأقوال المختلفة في ذلك، وسبب تسميتهم ببني الأصفر، والعلاقة بينهم وبين اليونان، مصرِّحًا في كلّ ذلك بمصادره. ويخصّص مبحثًا عن النبوّة في الروم فيتكلّم عن النبيّ أيّوب، والإسكندر وعلاقته بذي القرنين وأصحاب الكهف. يلي ذلك فصلٌ عن فضل الروم وأخبارهم والحكمة عندهم، يركّز فيه الكاتب على أرسطوطاليس (ت 322 ق.م.) – الذي يعدّه من مقدونية – وهرقل (حكم 610–641) الذي راسله النبيّ (ص) فيورد قصّته من صحيح البخاريّ وغيرها من الأخبار المرتبطة به. يركّز هذا الفصل على دواعي فخر الروم ومنجزاتهم واكتشافاتهم، ووصف لبعض مدنهم، وذكر مَن قدم من هذه المدن. يحاول المصنّف الإيحاء بالتقارب بين العرب والروم، إذ تُنسب إلى الروم بحسب المصنّف طوائف من العرب من تنوخ وغسّان ولخم وجذام وعاملة وغيرهم، ويخصّ بالذكر صهيبًا الروميّ (ت 38/ 659) ويورد الأخبار في قصّة إسلامه.

ينتقل المؤلّف بعد ذلك إلى ذكر أسلاف بايزيد ومديح مدينة إستانبول، معدّدًا الأعمال المعماريّة التي أُنجزت في عهده. ثمّ يتطرّق إلى الحروب التي خاضها. يلي ذلك قسم في مناقب السلطان كإحسانه للفقراء، وتقريبه للعلماء، ونهجه في الحكم. كما ينوّه المؤلّف باهتمام بايزيد بالعلوم العقليّة والنقليّة وعلم الفلك، وبإجادته للنثر والشعر.

يتميّز الكتاب بالتسلسل المنطقيّ والتدرّج في أبوابه، إذ يفضي الواحد منها إلى الآخر. فالباب الأوّل "في مناقب السلطان بايزيد ومآثر سلفه السعيد" وهو "نتيجة المقدّمة." يبدأ المصنّف في هذا الفصل بالحديث عن دولة بني عثمان وسلالتهم التي يقع السلطان بايزيد فيها "موضعَ الواسطة من عقود ملوكهم." ويفصّل المصنّف الأقوال المختلفة في نسب السلالة ويورد رأيًا – سيكرّره لاحقًا – وهو أنّهم ينتسبون إلى الخليفة الراشديّ الثالث عثمان بن عفّان (حكم 23–35/ 644–656)، وأنّ أصلهم من الحجاز (المدينة المنوّرة أو مكّة). يقول المصنّف في هذا الباب:

> أخبرني بعض فضلاء الروم الواردين إلى المدينة الشريفة أنّ نسبهم الشريف يتّصل بكسرى أنوشروان وأنّ هذا شائع بين أهل الروم، وأخبرني بعض أهل المدينة الشريفة أنّ نسبهم ينتهي إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنه. والذي ذكره الحافظ السخاويّ أنّ أصلهم الكريم من مدينة النبيّ ﷺ وأنّ جدّهم عثمان الأعلى هو المنتقل [...].

ونراه يكرّر هذا الرأي في الباب الثاني:

> قلت: فإن صحّ قول من يقول إنّ بني عثمان من ذرّيّة عثمان بن عفّان رضي الله عنه فإنّهم من أهل البيت على قول الإمام أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء إنّ قريشًا كلّهم من أهل البيت وعثمان رضي الله عنه من بني عبد مناف، فإنّ هاشم وعبد شمس ولدا عبد مناف جدّ النبيّ ﷺ.

يفصّل المصنّف في الباب الأوّل الحديث عن أجداد السلطان بايزيد من السلاطين، فيتحدّث عن استتباب الملك لهم وتحلّيهم بالكرم والعدل وإكرامهم العلماء وعمارتهم المساجد والمدارس وجهادهم.

بعدها يبدأ المصنّف بذكر خبر السلطان بايزيد الثاني، فيعزو إليه جميع خصال السلاطين السابقين الحميدة. وبحسب هذه الأخبار، فقد ظهرت نجابة السلطان

بايزيد من صغره، وصار عند تولّيه الملك ملاذًا للجميع. ويورد المصنّف أخبارًا عن طلب السلطان بايزيد للعلم، والكتب التي قرأها، ويذكر جمعه للعلماء من حوله وإكرامه لهم. يلي ذلك فصل في ذكر كرم السلطان، وهنا يرسم المصنّف صورةً للسلطان الكريم تكاد تكون نمطيّة، غير أنّ ما يميّزها هو الحديث عن كرمه تجاه أهل الحرمين الشريفين، فيقول:

> وأمّا إحسانه وبِرّه بالخصوص لأهل الحرمين الشريفين، وسكّان المحلّين المنيفين، فأمر لم يُعهد مثله لملكٍ من ملوك الإسلام، فيما سلف من الدهور والأيّام، [...] فإنّه لمّا أفضى الملك إليه، وصار المُعوَّل في الأمور عليه، جعله الله باقيًا فيه وفي عقبه، ووصل سبب الخيرات بسببه. صرف همّته الشريفة إلى النظر في أوقاف سلفه إليهم، وفيما أضافه من صدقاته المضاعفة عليهم، راجيًا بذلك من الله جزيل الثواب، وعظيم الأجر والاحتساب. وصار يرسل إلى أهل الحرمين الشريفين في كلّ عامٍ مالًا جزيلًا يشترك فيه الخاصّ والعامّ، ويتناول منه أمراء الحرمين الشريفين ما جرت عادتهم به، ويختصّ العلماء، والقضاة، والنظّار، والفقهاء، ومشايخ الحرم الشريف النبويّ وخدّامه، وأرباب الوظائف بهما من الأئمّة، والخطباء، والمؤذّنين، والفرّاشين، والوقّادين، والبوّابين بجملة. ويعمّ معظم الناس من أهل السنّة والواردين والمجاورين من الغرباء، وزيادةً على ما يرسله من أوقافه وأوقاف آبائه ما رتّبه، بارك الله في حياته، من المرتّبات السنيّة بالمدينة الشريفة بالمسجد الشريف من قراءة قرآن، وحديث، ودروس على الأربعة مذاهب في كلّ يوم، وقدّر على ذلك مرتّبات سنيّة تُحمل في كلّ سنة لأرباب الوظائف المذكورة. وفوق هذا مرتّبات حسنة من خالص ماله بأسماء الجماعة في غير عمل، لكلّ إنسان منهم نحو مائة دينار فما

دونها تُحمل إليهم في كلّ سنة أيضًا. وجلّ اعتماد أهل الحرمين الشريفين الآن على ما يصل إليهم من صدقاته وكريم صلاته بحيث ضعف ما يصل إليهم ممّا عدا بلاد الروم.

ينتقل المصنّف بعد ذلك إلى وصف مركز دولة السلطان بايزيد، إستانبول، فيفصّل الحديث عن سبب اختيارها مركزًا للدولة وصفاتها الطبيعيّة وانعكاس ذلك على ازدهارها الفكريّ والحضاريّ، كما يتحدّث عن صفة سكّانها. يلي ذلك فصل عن المباني التي بناها السلطان بايزيد في المدن المختلفة من مدارس ومارستانات وحمّامات ومساجد وجسور. يليه فصل عن جهاد السلطان بايزيد وفتوحاته، يسوق فيه المصنّف عددًا كبيرًا من الأحاديث النبويّة التي تحثّ على الجهاد، ويعدّد إنجازات السلطان في هذا المجال. يليه فصل في حسن سيرة السلطان وعدله وحلمه وسياسته وفضله، يفصّل المصنّف فيه خصال السلطان بايزيد الحسنة. ويورد المصنّف هنا رسالة طويلة كتبها الطاهر بن الحسين الخزاعيّ (ت 207/ 822) إلى ابنه عبد الله حين ولّاه المأمون العبّاسيّ (حكم 198–218/ 813–833) مصر. بعد ذلك ينتقل المصنّف إلى ذكر أولاد السلطان بايزيد ليصل بعدها إلى الباب الثاني.

يخصّص المصنّف الباب الثاني من الكتاب لذكر طرف من أخبار الروم يصل فيه بين "ملوك بني عثمان" و"ملوك الروم،" فيبدأ بذكر الإسكندر ذي القرنين، ويتكلّم في الحرب بين الروم والفرس، وأخبار هرقل، وذكر الهدايا والمراسلات بين ملوك الإسلام وملوك الروم في الحرب والسلم والمهادنة.

أمّا الباب الثالث والأخير فمخصّص لخبر القسطنطينيّة وما يتّصل بها من بعض مدن الروم المشهورة. يورد المصنّف الأسماء المختلفة للقسطنطينيّة، وسبب تسميتها وبنائها، وعمارتها، ووصفها، وخبر دفن أبي أيّوب الأنصاريّ (ت نحو 52/ 672) فيها، وفي أنّ فتحها من أشراط الساعة. يورد المصنّف هنا بعضًا من تاريخ الصراعات البيزنطيّة العربيّة ومنها حكاية فتح المعتصم العبّاسيّ (حكم 218–

227/ 833–842) لعمّوريّة. يصف المصنّف كذلك هرقلة، وورومة وإقامة البابه فيها، وسردانية، وطليطلة.

نرى أنّ صوت ابن العُليف بصفته المؤلِّف حاضرٌ في الكتاب عند تعليقاته وعند تخلّصه من باب إلى آخر، ولكنّ هذا الصوت يغدو جليًّا في خاتمة الكتاب. يختم ابن العليف كتابه في مناقب السلطان بايزيد بقصيدة رائيّة مدحيّة طويلة تقع في 73 بيتًا من البحر الطويل، وهو يُعلّل اختياره لخاتمة شعريّة بولعه بالآداب عامّة وبأنّ الشعر "زبدة محضها، وحلبة ركضها، وثمرة نَورها، ووردة زهرها، لأنّه حليّ اللسان، وحلية الإنسان، وروضة النفس، وفاكهة الكلام، وفخر الملوك، وغوث الصعلوك." وهو يسوق عددًا من الأحاديث الشريفة والآثار التي تحثّ على نظم الشعر والاستماع إليه، مشدّدًا على دور الشعر في مديح السلطة:

> فما زالت الخلفاء، والملوك، والأمراء، والوزراء، والأكابر يستدعون الشعراء لمديحهم ويثيبونهم على المديح أجلّ مثوبة، ويفتخرون بذلك ويعدّونه من المآثر الباقية والمفاخر السامية، كلّ ذلك تخليدًا لمناقبهم وحرصًا على بقاء ذكرهم.

لكنّ خبرًا يسوقه ابن العُليف من كتاب العمدة لابن رشيق (ت 456/ 1063–1064 أو 463/ 1071) يُنبئ بأكثر من ذلك:

> وقيل لسعيد بن المسيّب رحمه الله إنّ قومًا بالعراق يكرهون الشعر فقال: نسكوا نسكًا أعجميًّا.

إذن من يكره الشعر أعجميّ النسك، وبالتالي فإنّ مدح السلطان بايزيد بالشعر يوحي بنُسكه العربيّ ويزيد من أهليّته لقيادة العرب. تنظم القصيدة المعاني نفسها المبثوثة في ثنايا الكتاب. وتبدأ بحنين الشاعر إلى أحبابه الذين نأت بهم الديار بعيدًا منه، ورغم هذا البعد فإنّه يراهم بضميره وفكره (الأبيات 1–6). وهو يشتاق أرضهم السهلة المباركة التي تأخّر عن زيارتها (7–12). ونراه يسأل الركبان أن يوافوا بُرصا وبعدها إستانبول

ليصلوا إلى دار الملوك ويطلب منهم تقبيل ثراها (13–17). يبدأ الشعر بعد ذلك في وصف خصال "بايزيد الخير" (19)، فهو شريف المساعي (18)، نافذ النهي والأمر (18)، حمى بيضة الإسلام (19)، وأباد الطواغيت والكفر (20)، وجاهد في الله حقّ الجهاد (21)، وفتح البلاد (22)، سيرته في العدل أكرم سيرة (23)، وأيّامه غرر (24)، له هيبة (25)، أطاع له من بين روم وفارس (26)، هو البحر (29)، والبدر (30)، والليث (31)، والغيث (32)، والسيف (33). يصفه الشاعر بعد ذلك بأنّه سليل بني عثمان (34) منتقلًا بذلك إلى مدح السلالة (34–40)، ولكنّ الشاعر يؤكّد على أنّ السلطان بايزيد وإن اشترك معهم في لفظ الملك فإنّه يتعالى عنهم جميعًا رفعةً وجلالة وذاتًا وأوصافًا (42–44)، وهو كلّما دنا تواضعًا زاد سموًّا (45)، وزهت به أرض الروم ملاحةً (46) وملأ قلب العدوّ مهابةً (47). فهو ابن عثمان الذي سار ذكره (49)، همام جواد ملقى رجال الحمد والمدح والشعر (50)، ومحطّ ركاب الآملين (51)، ملك الإسلام (52). يركّز الشاعر في ختام قصيدته على جود السلطان (53–56)، فيمينه تروي عن يسار ونائل ووجهه يروي في البشاشة عن بِشر (56)، وهو بكرمه هذا قد علّم الآخرين الشكر (57). ونرى الشاعر هنا يصرّح بطلب النوال لجبر صدع نفسه الكسيرة (58–59). فالمدح عزيز عليه في غير السلطان (60). وهو يطلب من السلطان مقابلة الشكر بمثله وتحقيق رجاء الشاعر (61–62)، ويدعو له في البيت الأخير بدوام التوفيق والعزّ والنصر (63).

أمّا بالنسبة لمصادر الكتاب فقد اعتمد ابن العُليف على عددٍ كبير من الكتب المتوفّرة لديه، منها على سبيل المثال: عرائس المجالس للثعلبيّ (ت 427/ 1036)، والآثار الباقية للبيروني (ت 440/ 1048)، ومروج الذهب للمسعوديّ (ت 346/ 957)، ووفيات الأعيان لابن خلّكان (ت 681/ 1282)، والروض المعطار لابن عبد النور[25] (ت. الربع الأوّل من القرن الثامن/ الرابع عشر)، والمنتظم لابن الجوزيّ

(25) نسبة الكتاب شائكة، وقد نسبه إحسان عبّاس في مقدّمته للكتاب إلى محمّد بن عبد المنعم الحميريّ؛ وانظر: أحمد الباهي، "حول هويّة ابن عبد المنعم الحميريّ مؤلّف كتاب: الروض المعطار،" وفيه نقاش حول نسبة الكتاب لابن عبد المنعم بن عبد النور الحميريّ.

(ت 597/ 1201)، والمجالسة للدينوريّ (ت 333/ 944)، ودرر العقود الفريدة للمقريزيّ (ت 845/ 1442)، وغيرها. ولكنّنا نراه متنبّهًا إلى قصور هذه المصادر. ونسوق هنا فقرة تدلّ على منهجه في استعمال المصادر المتاحة له:

> واعتمادي على ما حرّرته في هذه الأوراق من التراجم وغيرها من الحوادث والوقائع على بعض كتب المؤرّخين التي اطّلعت عليها، ومن ذكر القربات التي سقتها على ما أخبرني به من يترجّح عندي صدقه من فضلاء الروم الواردين علينا، مع علمي أنّ كلًّا منهم غير موفٍ بالمقصود ولا مؤدٍّ للأحوال على حقيقتها، إمّا لعدم اطّلاعه وتصدّيه لذلك، أو قصور عبارته، أو جهله [...].

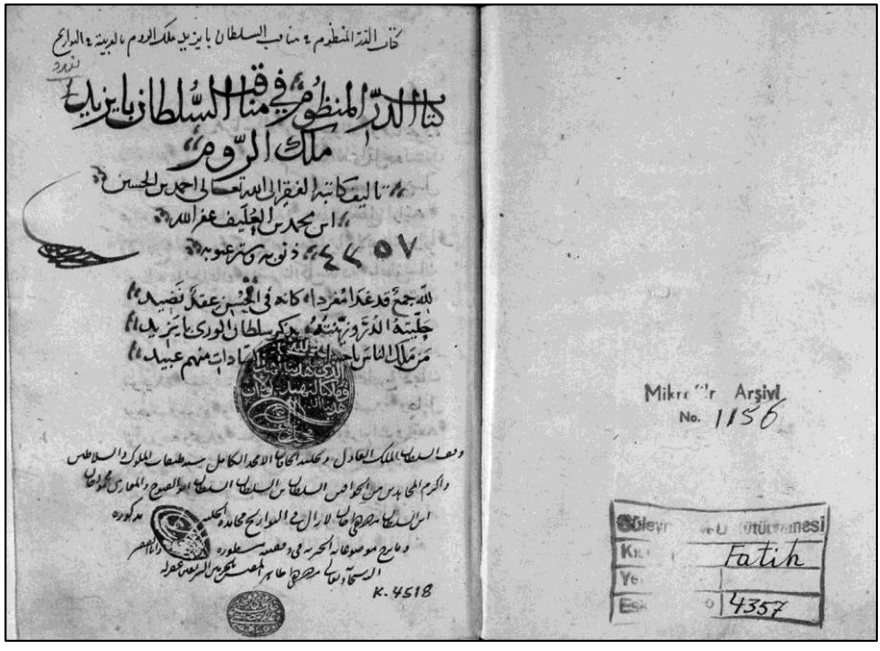


**مخطوط فاتح 4357، ورقة 1أ**

مخطوط فاتح 4357، ورقة 117ب–118أ

## تحقيق الكتاب

لقد حاولنا جهدنا في تحقيق الكتاب أن نضبط النصّ على نحوٍ منهجيّ. وإلى ذلك خرّجنا المادّة النثريّة والشعريّة حيثما أمكن ذلك وزدنا أوزان الشعر. وكذلك ألحقنا بالكتاب فهارس بالآيات القرآنيّة، ومتون الحديث، والأعلام، والأمم والقبائل والجماعات، والأيّام والغزوات، والبلدان والمواضع، والأشعار.

# كتاب الدرّ المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الرّوم

**تأليف كاتبه الفقير إلى الله تعالى أحمد بن الحسين بن محمّد بن العُلَيف، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه. [1ب]**

**بسم الله الرحمن الرحيم، ربِّ يسّر**

الحمد لله الذي غمرنا بنواله، وأمرنا بسؤاله، وعمّنا بجوده وأفضاله، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، الذي أقلّ نعمه تستغرق أكثر الشكر، وتستوعب أكبر الذكر، أحمده على جميل عوائده، وأشكره على جزيل فوائده، حمدًا لا انقطاع لراتبه، ولا إقلاع لسحائبه، يكون لإنعامه مجازيًا، ولإحسانه موازيًا، يجزينا به على أجمل عادة، ويقسم لنا أكمل سعادة، ما نطق لسان بحمده وشكره، وانطلق بنانٌ بعدّ رفده، فأقلّ ما يجب للمُنعم أن يُشكر، ولذي الفضل بفضله أن يُذكر، وأشهد أنّ لا إله إلا الله الكريم القادر، المنزّه عن الأشباه والنظائر، شهادة مقرٍّ بتوحيده، معترف بكمال فضله وجوده، مخلص في الإيمان بوجوب وجوده، وأنّ محمّدًا المصطفى سيّد عبيده، وحامل لواء مدحه وتمجيده، سليل أكرم نبعة، وقريع أشرف بقعة، نبيّ الرحمة، وكاشف الغمّة عن الأمّة، خير من أُفسحت بذكره الدعوات، واستُنجحت بالصلاة عليه الطلبات، الذي بعثه الله رحمةً وأرسله، وختم به ديوان

الرسالة وكمّله، وجعله أجود بالخير من الريح المرسلة، وعلى آله وأصحابه وأعوانه [2أ] وأحزابه.

أمّا بعد، فلمّا كان تقييد المآثر من أهمّ الأسباب، وتأبيد المناقب من شأن ذوي الألباب، حفظًا لذكر محاسن الأيّام، وضبطًا لآثار أفعال الكرام، وترغيبًا للسير على جادّة أولي الفضل، وتنبيهًا على التحلّي بحلية ذوي العدل، فقد اعتنى بذلك جماعة من علماء السلف وقيّدوا في ذلك كتبًا جمّةً كسيرة النبيّ ﷺ وسير الخلفاء الراشدين والملوك من ثَمَّ وهلمّ جرًّا.

ولمّا كان الأمر كذلك جمعت هذا الديوان اللطيف، البديع التصنيف، الحسن الترصيف، في مناقب سلطان الزمان، صفوة الصفوة من ملوك بني عثمان، كفو الملك، وربّ السرير، ودرّة التاج، وإنسان الحدقة، وواسطة العقد، ونكتة المسألة، وقطب الدائرة، وقلب الجسد، من طابت أخباره، وحَسُنَت في ذات الله مآثره وآثاره، السلطان السعيد، الملك الأعظم بايزيد، حسنة الله على أهل مصره، وحجّته البالغة على ملوك عصره، خلّد الله ملكه، وجعل الممالك كلّها مُلكَه.

وجعلته عَلَمًا لتخليد مآثره، وتأبيد مفاخره، وما بناه من المجد المشيّد، والذكر الجميل المخلَّد، الذي لا يُبليه الليل والنهار، ولا يعفّي جديده توالي الأعصار، وأضفت إليه لُمَعًا مفيدةً من نفائس الأخبار، ومحاسن الآثار. وأودعته فوائد حكميّةً فيها [2ب] تلقيح للعقل وتنبيه للرأي وصقل للذهن ونبّهت فيه على فضائل الرّوم ونبذة من أخبار ملوكهم وحكمائهم، وربّما أدّى الاسترسال إلى أشياء نفيسةٍ أذكرها على نسق التاريخ وأُتبعها بما يناسبها لارتباط الكلام.

ولم أقصد بهذا التأليف استيعاب محاسن هذا السلطان، واستيفاء مناقبه الحسان، إذ لو كان الحسام لساني والصباح بياني، والدهر ترجماني، والنجوم الزهر نظامي، والبحر والشجر مدادي وأقلامي، لما بلغت كنه صفته، ولا أحطت ببعض معرفته، لكنّي بذلت بذلك جهد المستطيع، وإنّي مُبْلِغُ الظالع شأو الضليع، هذا مع

علمي أنّ ما اشتمل عليه من المحاسن والشيم، وانطوى عليه من بديع السجايا والكرم، لا يحوجه إلى ثناء ناظم ولا ناثر، ولا مدح خطيب ولا شاعر: [من الطويل]

ولـيسَ يزيـدُ الشـمسَ نـورًا وبهجـةً إطالـةُ ذي وَصْـفٍ وإكثـارُ مـادحِ[1]

وإنّما قصدت أن يكون له نصيب من الأدعية الحَرَميّة، والأثنية المدنيّة، وأن يتشرّف بذكره نزير قلمي وبناني، وفهمي وبياني، ويفتخر نظم تصنيفي وديواني، وقلائد عقياني، وفرائد لساني، وإلّا فما مبلغ قولي بعد أن شهد له الإجماع، وشاع شريف ذكره في الآفاق وذاع، ونطق به لسان المحامد عن شرف الاصطناع: [3أ] [من البسيط]

مَـن كـانَ فـوقَ محـلِّ الشـمسِ موضـعُه فلـيسَ يرفَعُـه شـيءٌ ولا يَضَـعُ[2]

كـالبحرِ يمطـرُه السـحابُ ومـا لَـهُ فضـلٌ عليـه لأنّـه مِـنْ مائِـهِ[3]

ولعمري لقد علّمتني مكارمه كيف أُثني عليه، ودلّتني مناقبه من أين أدخل إليه، فاختلست من درّ معادنه، وأثنيت على شريف محاسنه، ومدحته بما فيه فكأنّي أنفقت عليه من خزائنه: [من الكامل]

أهـدي لمجلسِـه الشـريفِ وإنّمـا أهـدي لَـهُ مـا كـانَ مِـنْ نعمائِـهِ

ورتّبت هذا التأليف على مقدّمة وثلاثة أبواب وخاتمة، فجاء بحمد الله بديعًا في صنعه، رفيعًا في وضعه، حسنًا في بابه، جيّدًا في بنائه وإعرابه، اسمه مطابقًا لمسمّاه، ولفظه موافقًا لمعناه، راجيًا من فضل الله تعالى أن تهبّ نسماتُ القبول عليه، وأن يُنظر بعين الرضى والإقبال إليه. وعلى الله الكريم الاعتماد، وإليه التفويض والاستناد، وحسبنا ونعم الوكيل.

(1) الشاعر مجهول. انظر الضوء اللامع 3/ 137.

(2) ديوان أبي الطيّب المتنبّي 1/ 532.

(3) البيتان لهبة الله بن الحسين بن أحمد البغداديّ المعروف بالبديع الأسطرلابيّ. انظر معجم الأدباء 6/ 2771.

# المقدّمة في ذكر نسب الرّوم وذكر من اصطفاه الله تعالى منهم للنبوّة واجتباه للرسالة وخصّه بالولاية

اعلم أنّ الرّوم شعوب وقبائل كقبائل العرب وأفخاذها وتشعّبها في أنسابها ولهم مراعاة في حفظ أنسابهم. وينتسب الرجل منهم إلى عدّة آباء، وقد ذكر العلماء في أنسابهم أقوالًا كثيرةً. روى الحسن عن سمرة [3ب] ابن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: ولدُ نوح عليه السلام ثلاثةٌ: سام وحام ويافث؛ فسام أبو العرب وفارس والرّوم، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، وحام أبو السودان[1]. والذي عليه أكثر علماء النسب أنّ الرّوم من ولد روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام[2].

قال الثعلبيّ في كتابه العرائس: إنّ إسحاق عليه السلام نكح بنت بتويل[3] بن فاهت فولدت له عيصًا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستّون سنةً، ولهما قضيّةٌ عجيبةٌ على ما ذكر السُّدّيّ قال: حملت رفقا بغلامين في بطن واحد، فلمّا أرادت أن تضع اقتتل الغلامان في بطنها فأراد يعقوب أن ينزل قبل العيص. فقال العيص: والله لئن خرجت قبلي لأعترضنّ في بطن أمّي ولأقتلنّها. فتأخّر يعقوب وخرج عيص قبله فسُمّي عيصًا لأنّه عصى بخروجه قبل يعقوب، وسُمّي يعقوب لأنّه خرج آخذًا بعقب عيص. وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكنّ عيصًا[4] خرج قبله، فلمّا كبر

(1) انظر سنن الترمذيّ 6/ 213، برواية مُختلفة.

(2) انظر تاج اللغة وصحاح العربيّة 5/ 1939.

(3) في الأصل: بنويل.

(4) في الأصل: عيص.

الغلامان صار عيص أحبّهما إلى أبيه وكان يعقوب أحبّهما إلى أمّه. وكان عيص صاحب صيدٍ، فلمّا كبر إسحاق عليه السلام وعمي قال لعيص: يا بُنيّ أطعمني صيدًا واقترب منّي أدع لك بدعاء دعا به أبي. وكان عيص رجلًا أشعرَ وكان يعقوب أجردَ، فخرج عيص [4أ] لطلب الصيد وسمعت أمّه فقالت ليعقوب: يا بنيّ اذهب إلى الغنم فاذبح شاةً ثمّ اشوها والبس جلدها ثمّ قدّمها إلى أبيك وقل له أنا ابنك عيص. ففعل ذلك يعقوب، فلمّا جاءه قال له: يا أبتاه كُلْ. قال: من أنت؟ قال: أنا ابنك عيص فادع لي، قال: فمسّه فقال: المسّ مسّ عيص والريح ريح يعقوب. قالت أمّه: هو ابنك عيص فادع له. قال: قدّم طعامك. فقدّمه فأكل ثمّ قال: ادن منّي. فدنا منه فدعا له أن يجعل الله في ذرّيّته الأنبياء والملوك. وقام يعقوب وجاء عيص فقال له: قد جئت بالصيد الذي أردت. فقال: يا بنيّ قد سبقك أخوك يعقوب. فغضب عيص وقال: والله لأقتلنّه. فقال: يا بنيّ قد بقيت لك دعوةٌ فهلمّ أدعو لك. فدعا له فقال: تكون ذرّيّتك عدد التراب ولا يملكهم غيرهم ثمّ قالت أمّ يعقوب ليعقوب: الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتله عيص. فانطلق يعقوب إلى خاله فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار، ولذلك سمّاه الله إسرائيل وهو أوّل من سرى بالليل. فأتى يعقوب خاله ونكح امرأةً من بنات خاله يُقال لها ليّا، ونكح أختها راحيل. وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى عليه السلام وأنزل التوراة. وأقام يعقوب عند خاله ثمّ فارقه وانصرف بولده وامرأتيه إلى منزل أبيه من فلسطين [4ب] على خوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه إلّا خيرًا. فأنزله أخوه عيص وتألّفه وتلطّف به حتّى ترك له البلاد وانتقل من الشام فصار إلى السواحل، ثمّ عبر إلى الرّوم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده. قال ابن إسحاق: وتزوّج عيص بن إسحاق بنت عمّه نسَمة[5] بنت إسماعيل عليه السلام فولدت له روم بن عيص، فكلّ بني الأصفر من ولده. فكان عيص فيما ذكر يُسمّى آدم لأُدمته ولذلك سُمّي ولده بني

(5) ويُروى أيضًا: بسمة ونُسَيمة.

الأصفر. قال: وعاش إسحاق بعدما وُلِدَ له عيص ويعقوب مائة سنة، وتُوفّي وله مائة وستّون سنةً، ودفنه ابناه عند قبر أبيه إبراهيم عليه السلام في مزرعة جيرون[6]. انتهى كلام الثعلبيّ رحمه الله. وقيل: مات عيص ويعقوب في يوم واحد ودُفنا في قبر واحد[7].

وقد خالف الثعلبيّ في نسب الرّوم ابن حزم الظاهريّ في مؤلّف أفرده في نسب الفرس والرّوم وألحقه بجمهرة الأنساب، فقال: كان لإسحاق عليه السلام ولد آخر غير يعقوب اسمه عيصاب[8]، كان بنوه يسكنون جبال الشراة التي بين الشام والحجاز. وقد بادوا جملةً إلّا أنّ قومًا يذكرون أنّ الرّوم من ولده وهذا خطأ، وإنّما وقع لهم هذا الغلط لأنّ موضعهم يقال له أروم فظنّوا أنّ الرّوم من ذلك الموضع وليس كذلك، لأنّ الرّوم إنّما نُسبوا إلى روملش[9] باني رومة. وقد ظنَّ ظانٌّ أنّ قول النبيّ صلى الله عليه وسلم [5أ] للجدّ بن قيس: هل لك في بلاد بني الأصفر العام، وذلك في غزوة تبوك، فيه أنّ الرّوم من بني الأصفر وهو عيصاب[10] المذكور فليس كما ظنّ. وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حقٌّ، وإنّما عنى عليه السلام بني عيصاب على الحقيقة لا الرّوم لأنّ مغزاه عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة كان إلى ناحية الشراة مسكن القوم المذكورين[11]، انتهى.

وفيه نظر لأنّ أهل العلم بالنسب متّفقون على أنّ روم من عيص بن إسحاق عليه السلام، هذا أصحّ ما قيل في نسبهم. ويؤيّده قوله عليه الصلاة والسلام: لا تقوم الساعة حتّى يغزو القسطنطينيّة سبعون ألفًا من بني إسحاق[12]. فإنّ قوله من بني

(6) انظر العرائس 112–114.
(7) انظر تفسير الثعلبيّ 15/ 173.
(8) ويُروى أيضًا: عيص وعيصو.
(9) ويُروى أيضًا: روملس.
(10) ويُروى أيضًا: عيص وعيصو.
(11) جمهرة أنساب العرب 511.
(12) صحيح مسلم 4/ 2238. لم تُذكر القسطنطينيّة صراحةً في الحديث.

إسحاق يؤيّد ما ذهب إليه الجمهور كون الرّوم من سلالة روم بن عيص بن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام على الصحيح، وهم بنو عمّ بني إسرائيل. قلت: ليس في سائر العجم أقرب نسبًا للعرب منهم لأنّهم بنو عمّ العرب من قبل إسماعيل عليه السلام وهو أب العرب. والخلاف جارٍ بين العلماء في العرب والرّوم أيّهم أولاد الذبيح إذ كان إسماعيل جدّ العرب وإسحاق جدّ الرّوم. وقد وقع الخلاف بين ابن عبّاس ومولاه عكرمة في ذلك فقال ابن عبّاس: المأمور بذبحه إسماعيل، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿... **وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾[13]. ألا ترى أنّه بشّر إبراهيم بإسحاق وكان يأمره [5ب] بذبحه. فقال له عكرمة: أنا أوجدك أنّ الذبيح إسحاق من القرآن، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ...**﴾[14]. فنعمته على إبراهيم أن نجّاه من النار ونعمته على إسحاق أن فداه من الذبح.

وأمّا قولهم بنو الأصفر، قال ابن هشام في التيجان: إنّما لُقّب الأصفر لأنّ جدّته سارة زوج إبراهيم عليه السلام حلّته بالذهب[15].

وحكى [ابن] الأنباريّ أنّ جدّهم روم بن عيص بن إسحاق تزوّج بنت ملك الحبشة، فجاء لون ولده من البياض والسواد فقيل له الأصفر[16].

وقال صاحب بدء الدنيا: إنّ الذي تزوّج بنت ملك الحبشة عيص[17]، وهو مخالف لما تقدّم.

وقال القاضي شمس الدين بن خلّكان في وفياته في آخر ترجمة ياقوت الرّوميّ: وههنا نكتة غريبة يُحتاج إليها ويكثر السؤال عنها وهي أنّ الرّوم يقال لهم بنو

(13) سورة هود: 71.

(14) سورة يوسف: 6. لم نهتدِ إلى هذا الخبر.

(15) لم نهتدِ إلى هذا القول في كتاب التيجان لابن هشام.

(16) انظر الزاهر في معاني كلمات الناس 2/ 171–172.

(17) قصص الأنبياء 1/ 154.

الأصفر واستعمله الشعراء في أشعارهم، فمن ذلك قول عَديّ بن زيد من قصيدته: [من الخفيف]

وبنُو الأصفرِ الملوكُ ملوكُ الر روم لَمْ يبقَ مِنهُمُ مَذْكورُ[18]

ولقد تتبّعت ذلك كثيرًا فلم أجد أحدًا أشفي فيه الغليل حتّى ظفرت بكتاب قديم اسمه المقتف ولم يُكتب عليه اسم مؤلّفه، فنقلت [6أ] منه ما صورته عن العبّاس عن أبيه قال: انخرق ملك الرّوم في الزمان الأوّل فبقيت امرأة فتنافسوا في الملك حتّى وقع بينهم شرٌّ، فاصطلحوا على أن يُملّكوا أوّل من يُشرف عليهم. فجلسوا مجلسًا وأقبل رجلٌ من اليمن معه عبدٌ حبشيٌّ يريد الرّوم، فأبَقَ العبد منه فأشرف عليهم فقالوا: انظروا في أيّ شيء وقعتم. فزوّجوه تلك المرأة فولدت له غلامًا فسمّوه الأصفر، فخاصمهم المولى فقال الغلام: صدّقي أنا عبده فأرضوه، فأعطوه حتّى رضي. فبسبب ذلك قيل للروم بنو الأصفر لصفرة لون الولد لكونه مولّدًا بين الحبشيّ والمرأة البيضاء[19]، انتهى.

وقال المجد اللغويّ: وبنو الأصفر ملوك الرّوم أولاد الأصفر بن روم بن يعصو[20] بن إسحاق عليه السلام، أو لأنّ جنسًا من الحبش غلب عليهم فوطئ نساءهم فوُلد لهم أولاد صُفر[21]، أو يقال لهم بنو الأصفر لأنّ أباهم الأوّل، وهو روم، كان أصفر.

وفي حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما: اغزوا تغنموا بنات الأصفر[22]، وهم الرّوم. فهؤلاء كلّهم متظافرون على أنّ روم بن عيص بن إسحاق عليه السلام هم بنو الأصفر.

(18) انظر ديوان عديّ بن زيد 65.
(19) انظر وفيات الأعيان 6/ 126.
(20) ويُروى أيضًا: عيص وعيصو وعيصاب.
(21) القاموس المحيط 425.
(22) المعجم الكبير 11/ 63.

والعجب من انفراد ابن حزم الظاهريّ بمقالته مع سعة اطّلاعه ومعرفته بعلم النسب كيف اقتصر على هذا القدر من نسب الرّوم مع شهرته، ولم يستقص كعادته [6ب] مع اتّفاق علماء النسب والسير على ذلك.

وقد اختُلف في نسب اليونان، فذهب طائفة من أهل النسب إلى أنّهم ينتمون إلى الرّوم ويضافون إلى ولد إسحاق. وقالت طائفة إنّ يونان من ولد يافث بن نوح عليه السلام. وقال آخرون إنّهم من ولد يافث بن الأصفر بن نفر. وقال المسعوديّ إنّ يونان أخو قحطان[23]، والله أعلم.

والدليل على كونهم ليسوا من الرّوم أنّ آخر من ملك منهم أقلاحطرة ابنة بطليموس الحكيمة المتفلسفة وكانت مقرّبةً للعلماء، معظّمةً للحكماء، ولها كتب مصنّفة في الطبّ وغيره مترجمة باسمها، منسوبة إليها. ولها خبر ظريف وهو أنّه لمّا أراد الله تعالى ذهاب ملك اليونانيّين أيّد عليهم ملوك رومة، فسار إليها أغسطس[24] ملك رومة، وهو أوّل من سُمّي بقيصر وإليه تُنسب القياصرة. قيل: وإنّما سُمّي أغسطس[25] هذا قيصر لأنّ أمّه ماتت وهي حامل به فشُقّ بطنها عنه، فكان هذا الملك يفتخر بأنّ النساء لم تلده. وحقيقة هذه اللفظة بالعجميّة جيشر. وقد قيل أيضًا إنّه إنّما سُمّي جيشر لأنّه ولد بشعر يبلغ عينيه. واسم الشعر بالعجميّة جشاريه فعُرّبَ فقيل قيصر[26]. وهذا لقب لكلّ من ملك الرّوم ككسرى للفرس، وبطليموس لليونان، وقارلة للإفرنج، وخاقان للترك، وجالوت للبربر، ويعفور لملوك [7أ] الصين، وقيل البغبوغ، وبلهرا لملوك الهند، وطرخان للخزر، والراي لملوك سيلان وسرنديب، وهرقل للشام، وفرعون لمصر، وتبّع لليمن، والنجاشي للحبشة.

(23) مروج الذهب 1/ 216.
(24) في الأصل: أغشطس.
(25) في الأصل: أغشطس.
(26) انظر نهاية الأرب 15/ 263–264.

وولد المسيح عليه السلام لاثنتين وأربعين سنةً من ملك قيصر هذا، وكان له مع أقلاحطرة حروب كثيرة حتّى قتل زوجها أقطوفيوس ملك مقدونية وهي مصر. وأراد أغسطس[27] إعمال الحيلة في أخذها لعلمه بحكمتها وليتعلّم منها لأنّها كانت بقيّة الحكماء اليونانيّين، فراسلها فعلمت مراده منها وما وتَرَها به من قتل زوجها. فطلبت الحيّة التي تكون بين الحجاز ومصر والشام، وهي نوع من الحيّات تراعي الإنسان حتّى إذا تمكّنت من النظر إلى عضو من أعضائه وثبت أذرعًا نحوه كالريح، فلم تخطئ لك العضو بعينه حتّى تنقل عليه سمًّا فتأتي عليه ولا يعلم بها لجموده من فوره ويُتوهّم أنّه مات فجأة حتف أنفه. فبعثت أقلاحطرة الملكة فاحتُمل لها حيّة من تلك الحيّات، فلمّا كان في اليوم الذي علمت أنّ أغسطس[28] يدخل في قصر ملكها أمرت بأنواع الرياحين والزهر أن يُبسط في مجلسها وقدّام سريرها، وعمدت لما احتاجت إليه وجلست على سرير مُلكها، ووضعت تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينتها وفرّقت حشمها فاشتغلوا بأنفسهم، وقرّبت يدها من الإناء الذي فيه الحيّة [7ب] فضربتها فماتت مكانها وخرجت الحيّة من الإناء فلم تجد جحرًا ولا مذهبًا تذهب فيه لإتقان ذلك المجلس بالرّخام والمرمر فاسترت تلك الحيّة بين تلك الرياحين. ودخل أغسطس[29] حتّى انتهى إلى المجلس فنظر إليها جالسةً والتاج على رأسها، فلم يشكّ أنّها تنطق فدنا منها فتبيّن أنّها ميتةٌ. وأعجب بتلك الرياحين فمدّ يده إلى كلّ نوعٍ منها يلمسه وهو لا يدري ما سبب موتها ومتأسّفٌ على ما فاته منها، فبينا هو كذلك إذ وثبت عليه الحيّة فرمته بسمّها فيبس شقّه الذي ضربته منه فتعجّب من قتلها لنفسها ثمّ ما كادته به من إلقاء تلك الحيّة بين الرياحين، وهي آخر من ملك من اليونانيّين[30]. وفي هذا الخبر دلالةٌ على أنّ اليونان ليسوا من الرّوم، واللّه أعلم.

(27) في الأصل: أغشطس.
(28) في الأصل: أغشطس.
(29) في الأصل: أغشطس.
(30) انظر نهاية الأرب 15/ 254–255.

## فصلٌ فيمن اصطفاه الله تعالى لنبوّته من أهل الرّوم وهو السّيد أيّوب الصابر عليه الصلاة والسلام

قال الثعلبيّ في قصص الأنبياء: هو أيّوب بن أموص بن رزاح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام. وقال وهبٌ وكعبٌ وغيرهما من أهل الكتاب: كان أيّوب عليه السلام رجلًا من الرّوم مكتوبٌ على جبهته المبتلى الصابر، وكانت أمّه من ولد لوط عليه السلام، وزوجته رحمة بنت أفراثيم بن يوسف الصدّيق عليه السلام. وكان الله تعالى [8أ] قد نبّأه واصطفاه وبسط عليه الرزق، وكانت له البثنة من أرض الشام كلّها سهلها وجبلها وكلّ ما فيها من أصناف المال. وكان الله تعالى قد أعطاه ولدًا ومالًا وأهلًا من رجال ونساء، وكان برًّا تقيًّا رحيمًا شاكرًا لأنعم الله مؤدّيًا لحقّه[31]. قال الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ...**﴾ إلى قوله: ﴿... **إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[32]. وقضيّة بليّته وامتحانه مشهور، أقام فيه سبع سنين على اختلاف فيه ثمّ عافاه الله تعالى فأذهب عنه كلّ ما كان به من البلاء وردّ عليه أهله، كما أخبر بقوله تعالى: ﴿... **فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ...**﴾[33]. ثمّ مات وعمره ثلاث وتسعون سنةً.

قال كعب الأحبار ووهب بن منبّه: لم يكن بعد يوسف عليه السلام نبيٌّ إلّا أيّوب عليه السلام، ولمّا مات بعث الله بعده ابنه ذا الكفل بشر بن أيّوب عليه السلام رسولًا إلى الرّوم فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه. قال وهب: لمّا بعث الله بشر بن أيّوب عليه السلام واسمه ذو الكفل بعد أبيه رسولًا إلى الرّوم آمنوا به وصدّقوه واتّبعوه، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ أمرهم بالجهاد فكفّوا عن ذلك وضعفوا وقالوا: يا بشر إنّا قوم نحبّ الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصي الله ورسوله، فلو سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا إلّا إذا

(31) انظر العرائس 168.

(32) سورة ص: 41–44.

(33) سورة الأنبياء: 84.

شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه. فقال لهم بشر: سألتموني عظيمًا [8ب] وكلّفتموني شططًا. ثمّ قام وصلّى ودعا وقال: إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلّغتها وأمرتني بجهاد أعدائك وأنت تعلم أنّي لا أملك إلّا نفسي، وإنّ قومي قد سألوني ما أنت أعلم به فلا تؤاخذني بجريرة غيري فإنّي أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقابك. قال: فأوحى الله تعالى إليه يا بشر إنّي قد سمعت مقالة قومك وإنّي قد أعطيتهم ما سألوني وأطلت أعمارهم فلا يموتون إلّا إذا شاؤوا فكن كفيلًا لهم منّي بذلك. فبلّغَهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى إليه فيهم وتكفّل لهم بما أمر الله عزّ وجلّ فسُمّي ذا الكفل بذلك. ثمّ إنّهم توالدوا وكثروا ونموا حتّى ضاقت عليهم بلادهم وتنغّصت عليهم معيشتهم وتأذّوا بكثرتهم، فسألوا بشرًا[34] أن يسأل الله أن يردّهم إلى حالهم. فأوحى الله تعالى إلى بشر أعلم قومك أنّ اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم، ثمّ ردّهم إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم. قال: فلذلك كثرت الرّوم حتّى يُقال إنّ الدنيا درهم خمسة أسداسه الرّوم. قال ابن حزم: وُجد في كتاب بطليموس عند ذكر الأمم القديمة وعدّ ما شاء الله، ثمّ قال: التي بادت ممالكها بغلبة الرّوم عليها[35]. ويشهد لذلك قوله ﷺ: إنّ الرّوم ذات قرون إلى آخر الدهر. ذكر ذلك القاضي عياض في الشفا فيما أطلع الله تعالى نبيّه عليه من الغيب[36]. [9أ] وسُمّوا رومًا لأنّهم نُسبوا إلى جدّهم روم بن عيص بن إسحاق عليه السلام. قال وهب: وكان بشر مقيمًا بالشام حتّى مات وعمره خمس وتسعون سنةً. وقال بعض العلماء بأخبار الأنبياء إنّ الذي تنبّأ بعد أيّوب ابنه حومل، فلمّا مات بعث الله بعده أخاه بشرًا. ذكر ذلك كلّه الثعلبيّ في العرائس[37].

وأمّا الإسكندر ذو القرنين فإنّه روميّ على قول أكثر المفسّرين ورواة الأخبار وأهل العلم بالنسب، وفيه خلاف يأتي. وقد اختُلف في نبوّته، فقال قوم: لم يكن نبيًّا

(34) في الأصل: بشر.
(35) انظر جمهرة أنساب العرب 1/ 8.
(36) الشفا 1/ 337.
(37) انظر العرائس 177.

ولكن كان عبدًا صالحًا وملكًا عادلًا. وقال آخرون: بل كان نبيًّا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتاب أنّه لمّا استحكم ملكه واستجمع أمره أوحى الله تعالى إليه يا ذا القرنين إنّي بعثتك إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجّتي عليهم. وقد استدلّ من قال بنبوّته بقوله تعالى: ﴿... **قُلْنَا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ...**﴾[38]، وخطاب الباري عزّ وجلّ لا يكون إلّا مع الأنبياء. وقال المانعون: المراد منه الإلهام، وقيل: يحتمل أن يكون الخطاب على لسان غيره. ورُوي عن ابن عمر رضي الله عنه أنّه سمع رجلًا يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال تسمّيتم بأسماء الأنبياء فلم ترضوا حتّى تسمّوا بأسماء الملائكة. ويُروى عن النبيّ ﷺ: لا أدري أكان ذو القرنين نبيًّا أم لا. قال الثعلبيّ: إن صحّ هذا الحديث [9ب] كان الخوض في هذه المسألة تكلّفًا. وقد قصّ الله تعالى خبره في كتابه العزيز فقال: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾[39] أي علمًا[40]. هذا الكلام نقلته من العرائس للثعلبيّ في قصّة الإسكندر ذي القرنين، وفيه أنّه صاحب الخضر عليه السلام وكان على مقدّمته إلى عين الحياة. وذكر الأقوال المختلفة في نسبه وأنّه من ولد دارا الأكبر من ابنة ملك الرّوم التي تزوّجها ثمّ وجد منها رائحةً أنكرها في القصّة المشهورة، وقول من قال إنّه من اليونان ثمّ ساق نسبه فقال: إنّه إسكندر بن فيلفوس بن مطربوس بن هرمس بن قنطور بن رومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن بربر بن سرجون بن روميه بن سوقط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن أيليفن[41] بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام[42].

(38) سورة الكهف: 86.
(39) سورة الكهف: 83–84.
(40) انظر العرائس 403.
(41) ولعلّها أيليفز.
(42) انظر العرائس 400.

ثمّ ذكر الأسباب في تلقيبه بذي القرنين، ثمّ ساق ما وقع بينه وبين دارا من الحروب وقتله أباه واستيلاءه على مملكة فارس، واستوفى جميع أخباره. ثمّ قال في الكتاب المذكور عند ذكر الخضر عليه السلام: إنّ الخضر كان على مقدّمة ذي القرنين الذي كان أيّام إبراهيم عليه السلام وهو الذي قضى له ببئر السبع وهي بئر كان إبراهيم قد احتفرها في صحراء الأردن، وأنّ قومًا من أهل الأردن [10أ] ادّعوا الأرض التي كان احتفر فيها إبراهيم عليه السلام بئره. فحاكمهم إبراهيم إلى ذي القرنين الذي كان الخضر على ميمنته أيّام مسيره في البلاد وأنّه بلغ مع ذي القرنين عين الحياة[43]. ولا يخفى ما في هذا الكلام من الاضطراب من وجوه، إحداها أنّ ذا القرنين لو أدرك إبراهيم لم يكن روميًّا وقد عدّه هو وغيره من الرّوم. وثانيها بُعد ما بين ذي القرنين وإبراهيم عليه السلام من آبائه المذكورين في نسبه. وثالثها استحالة بقاء الإسكندر ذي القرنين من أيّام إبراهيم عليه السلام إلى أيّام أخباره ووقائعه، فإنّ أهل الأخبار متّفقون على موته وهو ابن ستّ[44] وثلاثين سنةً. وقد وافق الثعلبيّ في معظم كلامه في الإسكندر ذي القرنين شارح البسّامة ابن بدرون، ولكنّه خالفه في أنّه ليس صاحب الخضر عليه السلام إنّما هو الإسكندر ذو[45] القرنين الرّوميّ المقدونيّ[46].

وقال بعضهم: ذو مراثد الإسكندر الأوّل الذي ملك قرني الدنيا ودخل الظلمات ودخل في طاعته أهل الأرض وبلغ مطلع الشمس ومغربها وسمّاه الله ذا القرنين. ومن الغريب ما نقله الإمام فخر الدين الرازيّ في تفسيره عن أبي الريحان البيرونيّ[47] المنجّم في كتابه المُسمّى الآثار الباقية عن القرون الخالية أنّ الإسكندر

(43) انظر المصدر نفسه 412–413، برواية مُختلفة.
(44) في الأصل: ستّة.
(45) في الأصل: ذي.
(46) في الأصل: المعدويّ. انظر شرح قصيدة ابن عبدون 12 و20.
(47) في الأصل: السدوريّ.

من حِمير واسمه أبو إدّ بن شمر بن غُرّ بن أفريقش[48] الحميريّ[49]، وهو الذي افتخر [10ب] به بعض شعراء حِمير بقوله: [من الكامل]

قدْ كانَ ذو القرنينِ عمّي مُسلمًا ... ملكًا علا في الأرضِ غيرَ مفنّدِ
بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغي ... أسبابَ مُلكٍ مِنْ قديمٍ مرشدِ
فرأى مآبَ الشمسِ عندَ غروبِها ... في عينِ ذي خَلْبٍ وثأطٍ حِرمَدِ[50]

والذي نقله الثعلبيّ أنّ هذه الأبيات لتُبّع وذكرها في سياق كلام جرى بين معاوية وعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿... **وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**...﴾[51] أو حامية. قال معاوية: حامية وقال ابن عبّاس: حمئة، واستشهد ابن عبّاس بقول تُبّع: "قدْ كانَ ذو القرنينِ قبلي مُسلمًا"، هكذا بلفظ قبلي لا عمّي. فقال ابن عبّاس: ما الخلْبُ؟ فقيل: الطين. قال: فما الثأط؟ قال: الحمأة. قال: فما الحِرمد؟ قال: الأسود[52]، انتهى.

قال بعضهم: هذه الآية الكريمة ظاهرها مشكل وهو مغمزٌ للزنادقة لأنّهم يقولون إنّ البرهان قد ثبت في المجسطيّ أنّ الشمس قدر الأرض مائة وستّون مرّةً، فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم في عين من عيونها. والجواب أنّ في هنا ظرفيّة وأنّها على ما ذهب إليه ابن قتيبة بمعنى عند، وهذا محتمل لأنّها ترد بمعنى عند ومعنى مع. قال الشاعر: [من الكامل]

حتّى إذا ألقَتْ يدًا في كافرٍ[53]

(48) في الأصل: أفريتش.
(49) في المصادر هو: أبو كَرْب شِمْر بن عُبَيْر بن أَفْريقِش الحِميريّ.
(50) انظر تفسير الرازيّ 21/ 494.
(51) سورة الكهف: 86.
(52) انظر العرائس 405–406.
(53) شطر بيت من الكامل للبيد بن ربيعة، وتتمّته: "وأجَنَّ عَوْراتِ الثغورِ ظلامُها". انظر ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ 176.

أي عند كافر. [11أ] وقد تكون في الآية بمعنى على كقوله: ﴿... **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**...﴾[54] أي على جذوع النخل[55]، انتهى.

ثمّ رأيت في موضع آخر أنّ أسعد أبا كرب الحميريّ هو ذو القرنين وهو الذي أشار إليه تُبّع في شعره. وقالوا: ويُسمّى بهذا الاسم كلّ من بلغ طرفي الأرض لأنّ أسعد وصل إلى المغرب الأقصى حيث بحر الظلمات الذي لا يُعلم ما خلفه. وبلغ الجزائر الخالدات وبنى على جبل منها صنمًا أحمر وجعله هناك علامةً لمن قصد تلك الناحية ليعرفه ويعلم أنّه ليس وراءه مسلك[56]. وسيأتي ذكر نبذة من أخبار الإسكندر إن شاء الله تعالى.

وممّا ينتظم في سلك هذا الفصل ما ذكره الإمام أبو طاهر زكريّا المخلّص رحمه الله تعالى في جزء لطيف في خبر النيل في خبر يرفعه إلى الليث بن سعد رحمه الله، قال: بلغني أنّ رجلًا من بني العيص يُقال له حائد بن سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليه خرج هاربًا من ملك من ملوكهم حتّى دخل أرض مصر فأقام بها سنين، فلمّا رأى أعاجيب نيلها وما يأتي به جعل الله عليه أن لا يفارق ساحله حتّى يبلغ منتهاه من حيث يخرج أو يموت قبل ذلك. فسار عليه- قال بعضهم: ثلاثين سنةً في الناس وثلاثين في غير الناس، وقال بعضهم: خمسة عشر كذا وخمسة عشر كذا- حتّى انتهى إلى بحر أخضر فنظر إلى النيل ينشقّ مُقبلًا، [11ب] فصعد على البحر فإذا رجلٌ قائم يصلّي تحت شجرة تفّاح. فلمّا رآه استأنس به وسلّم عليه فسأله الرجل: مَن أنت؟ فقال: أنا حائد[57] بن سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، فمَن أنت؟ فقال: أنا عمران بن فلان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. قال: فما الذي جاء بك ها هنا يا

(54) سورة طه: 71.
(55) تأويل مشكل القرآن 298.
(56) انظر الروض المعطار 559.
(57) في الأصل: حامد.

حائد[58]؟ قال: جئت من أجل هذا النيل، فما جاء بك أنت يا عمران؟ قال: جاء بي الذي جاء بك حتّى انتهيت إلى هذا الموضع فأوحى الله تعالى إليّ أن قف حتّى يأتيك أمري. فقال له حائد[59]: أخبرني يا عمران ما انتهى إليك من أمر هذا النيل، وهل بلغك في الكتب أنّ أحدًا من بني آدم يبلغه؟ قال له عمران: نعم بلغني أنّ رجلًا من ولد العيص يبلغه ولا أظنّه غيرك يا حائد[60]. فقال له حائد[61]: يا عمران أخبرني كيف الطريق إليه؟ فقال: لست أخبرك إلّا أن تجعل لي ما أسألك. قال: وما ذاك؟ قال: إذا رجعت وأنا حيّ أقمت عندي حتّى يوحي الله إليّ بأمره أو يتوفّاني فتدفنني، وإن وجدتني ميتًا دفنتني وذهبت. قال حائد[62]: ذلك لك عليّ. فقال له عمران: سر كما أنت على هذا البحر فإنّك ستأتي دابّةً ترى آخرها ولا ترى أوّلها، فلا يهولنّك أمرها فاركبها فإنّها دابّةٌ معاديةٌ للشمس إذا طلعت أهوت إليها لتلقمها حتّى تحول بينها وبين حجبتها، وإذا غربت [12أ] أهوت إليها لتلقمها فتذهب بك إلى جانب البحر. فسر عليها راجعًا حتّى تنتهي إلى النيل فسر عليه فإنّك ستبلغ أرضًا من حديد جبالها وأشجارها وسهولها حديد. فإن أنت جزتها وقعت في أرض من نحاس، جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس. فإن أنت جزتها وقعت في أرض من فضّة، جبالها وأشجارها وسهولها من فضّة. فإن أنت جزتها وقعت في أرض من ذهب، جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب، فيها ينتهي إليك علم النيل. فسار حائد[63] حتّى انتهى إلى أرض الذهب وسار حتّى انتهى إلى سور من ذهب، وشرفة من ذهب، وقبّة من ذهب لها أربعة أبواب. فنظر إلى ماء يتحدّر من فوق ذلك السور

(58) في الأصل: حامد.
(59) في الأصل: حامد.
(60) في الأصل: حامد.
(61) في الأصل: حامد.
(62) في الأصل: حامد.
(63) في الأصل: حامد.

حتّى يصير في القبّة ثمّ ينصرف من الأبواب الأربعة. فأمّا ثلاثة فتغيض في الأرض، وأمّا واحدٌ فيسير على وجه الأرض وهو النيل. قال: وأهوى حائد[64] إلى السور ليصعد فأتى ملك فقال له: قف مكانك فقد انتهى إليك علم هذا النيل وهذه الجنّة وإنّما ينزل منها. فقال حائد[65]: أريد أن أنظر إلى ما في الجنّة، فقال: إنّك لن تستطيع دخولها اليوم. فقال: وأيّ شيء هذا الذي أرى؟ قال: هذا الفلك الذي تدور فيه الشمس والقمر وهو يشبه الرحا. فقال: إنّي أريد أن أركبه فأدور فيه. قال بعض العلماء: إنّه ركبه حتّى دار الدنيا، وقال بعضهم: [12ب] لم يركبه. ثمّ قال له الملك: إنّه سيأتيك من الجنّة رزق فلا تؤثر عليه شيئًا من الدنيا. قال: فبينما هو واقف إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة أصناف: لونٌ كالزبرجد الأخضر، ولونٌ كالياقوت الأحمر، ولونٌ كاللؤلؤ الأبيض. ثمّ قال له الملك: يا حائد[66] قد انتهى إليك علم النيل، فقال له: هذه الثلاثة التي تغيض في الأرض ما هي؟ قال: أحدها الفرات، والآخر دجلة، والآخر جيحان، فارجع. فرجع حتّى انتهى إلى الدابّة التي ركبها. فلمّا أهوت الشمس إلى الغروب قذفت به من جانب البحر فأقبل حتّى انتهى إلى عمران فوجده ميتًا فدفنه وأقام على قبره ثلاثة أيّام. فأقبل شيخ متشبّه بالناس أغرّ من السجود، فسلّم ثمّ قال: يا حائد[67] ما انتهى إليك من خبر هذا النيل؟ فأخبره، فقال الشيخ: هكذا نجده في الكتب، ثمّ قال له الشيخ: ألا تأكل من هذا التفّاح؟ فقال حائد[68]: معي رزق قد أُعطيتُه من الجنّة ونُهيت أن أؤثر عليه شيئًا من الدنيا. قال: صدقت يا حائد[69]، ما ينبغي لشيء من الجنّة أن يُؤثَر عليه شيء من الدنيا، ولكن

(64) في الأصل: حامد.
(65) في الأصل: حامد.
(66) في الأصل: حامد.
(67) في الأصل: حامد.
(68) في الأصل: حامد.
(69) في الأصل: حامد.

هل رأيت في الدنيا مثل هذا التفّاح؟ إنّما هذه الشجرة من الجنّة أخرجها الله تعالى لعمران يأكل منها وما تركها إلّا لك، ولو قد وُلّيت عنها رُفعت. ولم يزل الشيخ يُطريها لحائد[70] حتّى أخذ منها تفّاحةً فعضّها، فلمّا عضّها عضّ يده [13أ] ثمّ قال الشيخ: أتعرفها؟ هو الذي أخرج أباك من الجنّة. أمّا إنّك لو سلّمت بهذا معك لأكل منه أهل الدنيا قبل أن ينفد وجهدك أن يُبَلِّغَك فكان جهده أن بلّغه. وأقبل حائد[71] حتّى دخل مصر فأخبرهم الخبر ثمّ مات بها، رحمه الله تعالى[72]، انتهى.

وفي الخبر أنّ الفتية أصحاب الكهف كانوا من أشراف الرّوم وكانوا ثمانية نفر[73]. رُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فيما أخبر به عن النبيّ ﷺ أنّه كان بأرض رومية مدينة يُقال لها أنسوس[74]، فلمّا جاء الإسلام سمّوها طرسوس. قال: وكان لهم ملك صالح فمات فانتشر أمرهم وسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس، وكان كافرًا جبّارًا فأقبل في عساكره حتّى دخل أنسوس[75] فاتّخذها دار مملكته وبنى بها قصرًا وعتا وطغى وتجبّر وادّعى الربوبيّة من دون الله تعالى، ودعا الناس إلى عبادته فمن أجابه أعطاه وحباه ومن لم يتابعه قتله. وكان ممّن امتنع عليه الفتية أصحاب الكهف فكان منه في أمرهم ما أخبر الله به في كتابه العزيز[76].

ويُروى أنّ النبيّ ﷺ سأل ربّه أن يراهم فقال إنّك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعةً من خيار أصحابك ليبلّغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان. فقال النبيّ ﷺ لجبريل: كيف أبعثهم؟ فقال: ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه [13ب] أبا بكر، وعلى الثاني عمر، وعلى الثالث عليّ، وعلى الرابع أبا ذرّ، ثمّ

(70) في الأصل: حامد.
(71) في الأصل: حامد.
(72) حسن المحاضرة 2/ 343–346.
(73) العرائس 476.
(74) ويُروى أيضًا: أبسوس وأفسوس وأمسوس.
(75) ويُروى أيضًا: أبسوس وأفسوس وأمسوس.
(76) انظر العرائس 468–469.

ادع الريح الرخاء المسخّرة لابن داود فإنّ الله أمرها أن تطيعه. ففعل النبيّ ﷺ فحملتهم الريح حتّى انطلقت بهم إلى باب الكهف فقلعوا منه حجرًا، فقام الكلب ونفر وحمل عليهم. فلمّا رآهم حرّك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا فدخلوا وقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إنّ نبيّ الله محمّد بن عبد الله يقرأ عليكم السلام. فقاموا بأجمعهم وقالوا: على محمّد رسول الله السلام ما دامت السماوات والأرض وعليكم بما بلّغتم. ثمّ آمنوا بمحمّد ﷺ وقبلوا دينه ثمّ أخذوا مضاجعهم[77]. ذكر ذلك الثعلبيّ وغيره.

وذكر ابن الجوزيّ في المنتظم في أخبار الأمم والثعلبيّ كذلك أنّه كان في الفترة رجل صالح من قرية من قرى الرّوم يقال له شمسون[78] وكان قومه يعبدون الأوثان. قال وهب بن منبّه: فكان شمسون[79] يغزوهم ويجاهدهم فيقتل ويسبي ويصيب المال وكان لا يقاتلهم إلّا بلَحْي جمل. وكان قد أعطي قوّة في البطش فلا يوثقه حديد ولا غيره فلم يقدروا عليه فدخلوا على امرأته وجعلوا لها جُعلًا، فقالت: أنا أوثقه لكم. فأعطوها حبلًا وثيقًا وقالوا لها: إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه حتّى نأتي ونأخذه، ففعلت. فلمّا هبّ [14أ] من نومه جبذه بيده فوقع من عنقه وقال لها: لم فعلت هذا؟ قالت: أجرّب قوّتك. فأرسلت إليهم تخبرهم فأرسلوا إليها جامعة من حديد فلمّا نام جعلتها في عنقه، فلمّا هبّ جبذها فوقعت وقال: لم فعلت هذا؟ قالت: أجرّب قوّتك. ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمسون[80]، أما في الأرض شيء يغلبك؟ قال: لا، إلّا شيء واحد. قالت: أخبرني به. قال: ما أنا بمخبرك. فلم تزل تسأله حتّى قال: ويحك إنّ أمي جعلتني نذرًا لا يغلبني شيء ولا يضبطني إلّا شعري. فلمّا نام أوثقت يديه إلى عنقه بشعر رأسه، فأوثقه ذلك وبعثت إلى القوم

(77) انظر تفسير الثعلبيّ 17/ 48–49.
(78) ويُروى أيضًا: شمشون.
(79) ويُروى أيضًا: شمشون.
(80) ويُروى أيضًا: شمشون.

فأخذوه وجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤوا عينيه. فدعا الله أن يسلّطه عليهم فأُمر أن يأخذ بعمود من عمد المدينة، وكانت المدينة ذات أساطين فأخذ بالعمود من اللذين عليهما الملك والناس ينظرون إليه، فجذبهما فردّ الله إليه بصره وما أصابوا من جسده ووقعت المدينة بالملك والناس فهلكوا[81]، انتهى.

## فصلٌ في ذكر ما ورد في فضل أهل الرّوم ونبذة من أخبارهم وفضائلهم ومن ينسب إليهم

روينا بالإسناد المتّصل إلى الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجّاج رحمه الله: حدّثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث قال: حدّثني عبد الله بن وهب: أخبرني الليث بن سعد عن أبيه قال: قال المستورد القرشيّ عند [14ب] عمرو بن العاص رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقوم الساعة والرّوم أكثر الناس. فقال له عمرو: أبصر ما تقول. قال: أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ. قال: إن قلت ذلك، إنّ فيهم لخصالًا أربعًا: إنّهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة، وأوشكهم كرّةً عند فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك. وفي رواية: وخير الناس لمساكينهم وضعفائهم[82].

وعن أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا سابق العرب إلى الجنّة، وصهيب سابق الرّوم إلى الجنّة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنّة، وسلمان سابق فارس إلى الجنّة. هذا الحديث أخرجه الطبرانيّ في معجميه الأوسط والصغير[83]. وله شاهد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول

(81) انظر العرائس 493–494؛ والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم 2/ 150.

(82) صحيح مسلم 4/ 2222.

(83) المعجم الصغير 1/ 182؛ والمعجم الأوسط 3/ 241.

الله ﷺ: السُّبّاق أربعة، أنا سابق العرب، وصهيب سابق الرّوم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة. أخرجه البزّار هكذا في مسنده[84]. وله طريق آخر رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده[85]، وناهيك بهذه المنقبة.

## ذكر ما يُؤثر عن الرّوم من الحكمة من أجلّ علمائهم وأعظم حكمائهم [15أ]

أرسطاطاليس فيلسوف الرّوم وعالمها وطبيبها وجهبذها وخطيبها، فإنّه من مدينة مقدونية[86] قاعدة الرّوم الإغريقيّين، وهو معلّم الإسكندر ذي القرنين وله الرسائل البديعة الصغيرة في حجمها الكبيرة في معناها. قالوا إنّها تشتمل على مصالح الدنيا والآخرة، أحببت إيرادها هنا ليُعرف بها فضل أهل الرّوم وتميّزهم على غيرهم.

قال عليّ بن رضوان المصريّ: وقد وقّع العارف أرسطاطاليس مقالةً كتبها على طريق البلاغة، جمع فيها ما إذا نصبه الإنسان غرضًا في مطلوب من مطالب السعادة الذاتيّة المسمّاة فلسفةً، والعرضيّة المسمّاة بحثًا[87] وصل إلى مطلوبه. قال: وأنا أشير على كلّ من وقف عليها أن يعمل فيها ما عملناه وفرضناه على أنفسنا، وذلك أنّي أقرأها في كلّ يوم مرّةً واحدةً أتدبّر معانيها وألزمها في مطلوباتي فأبلغ منها إلى ما ألتمسه، وهذا لفظ العارف. قال: أمّا بعد، فإنّ حقًّا على العارف أن ينظر إلى محاسن الناس ومساوئهم وموقعها منهم في مضارّها ومنافعها ثمّ يلتمس المنافع لنفسه من مثل ما نفعهم، وينفي المضارّ عنها من مثل ما ضرّهم، فيوظّف الأمور وظائفها ويجعل بين طبقاتها حدودًا يزايل بينها، ثمّ يأخذ لنفسه آلة تأديبها في إحياء عِلم ما عُلم من الأمور بعمل، [15ب] واستجلاب ما جُهل بالتعلُّم. ثمّ يكون تأديبه لنفسه في غير

(84) مسند البزّار 13/ 307.
(85) مسند الحارث 2/ 873.
(86) في الأصل: مجدونية.
(87) في الأصل: بختًا.

وقت واحد ولا معلوم، فإنّه واجد في كلّ حين من أحايينه[88] وطبقة من طبقات الدهر التي هو راكبها، أو في حال من حالات نفسه التي تتحرّك لأنّها من ضروب الجدّ أو الهزل، إذ الفرح والحزن، أو الإقامة والظعن موضع تأديب لنفسه وتقويم لها حتّى لا يكون لأهل طبقة من الطبقات رفيعةً كانت أو وضيعةً عليه في طبقتهم التي يشاركهم فيها فضل. فإنّ امرأً لا يلتمس أن يكون له فضلٌ على أهل منزلة من المنازل إلّا دعاه فضله عليهم إلى الرغبة عنهم حتّى ترقى به منزلته إلى مشاركة أهل المنزلة التي فوق منزلته، فإنّ التماس الراحة بالراحة يذهب إلى الراحة ويورث النصَب لأنّ تأديب المرء نفسه داعية إلى نقله إلى الأرفعين[89] إن كان ذا رفعة ومن الأخسّين إن كان ذا خساسة. وترك التأدّب ضرر وذو الضرر نَصِب عامل فقير، فمنهاج التأدّب تيقيظ النفس بالأدب، ثمّ لا يمنعك عصيانها من إدامة تيقيظها فإنّ إلحاحك عليها مع حبّها الراحة سيحملها على طلب الراحة بنقيض الطاعة. ولا يلبث الذي ينتقض وإن كان كثيرًا أن يُترك قليلًا، وإذا همّت النفس ببعض الإجابة كان أولى ما يؤخذ إعطاء الدين لحقّه وإشعار [16أ] النفس حظّها. ثمّ تعهُّد الإخوان بالملاطفة فإنّ التارك متروك، ثمّ الاستكثار من فوائد الإخوان فإنّ كثرتهم تقيل العثرة وتنشر المَحمدة، ثمّ تأدية الفروض إلى أهل المكاشرة المتشبّهين بالإخوان والصبر عليهم، إمّا طمعًا في تحويل ذلك عنهم صدقًا وإمّا اتّقاء كلمة فاجر وقعت في سمع مائق ذي دولة، ثمّ إعطاء إخوان الإخوان شعبةً من الحفظ والتذكير فإنّ إخوان الإخوان من الإخوان وهم بمنزلة العلم المستدلّ به على الوفاء، ثمّ أن تقضي محن الإخوان التي يُمتحنون بها عند الناس. أمّا عند الموت فبحفظه في العقب، وأمّا عند الزمانة فبحفظه على حال الضعف، وأمّا عند الحاجة فبحفظه عن المسألة. ثمّ زن ما نلت بما أنلت ثمّ حسّن التقاضي إن كان لك فضل بإسقاط المنّ وإحراز الفضل والسخط على نفسك في

(88) في الأصل: أحاينه.

(89) في الأصل: الأرفعيّين.

التقصير، ثمّ تعهّد الملوك بالتقريظ والملازمة فإنّ همّتها في نفسها الامتداح وفي الناس الاستغناء، ثمّ تعهّد النصحاء بالممالأة فإنّ نصيبهم منك واستفادتك منهم في الخلوة، ثمّ تعهّد الصلحاء بالمصافاة لتُعرف بمثل ما عُرفوا من الخير، ثمّ تعهّد الأكفاء بالمكارمة فإنّها تحسم البخل وتجزي الإخاء، ثمّ تعهّد الخاصّة بتفتيش الدِّخْلة، ثمّ تعهّد ذوي الرحم بالرحمة وأقويائهم بالتعليم [16ب] فإنّ رحمتك ذوي الرحم تورثك برّهم وتعليمك ذوي القوّة منهم تورثك نفعهم، ثمّ تعهّد المعيشة بالإصلاح من غير تحبّس للمستوجبات لما يجب لها، ثمّ تعهّد الأعداء بالأذى، وذوي الاغتيار بالمناقضة، وذوي التنصّل بالمغفرة، وذوي الاعتراف بالرأفة والرحمة، وذوي المواتية بالوقار، وأهل المشاتمة بالمحقرة، وأهل المنافسة بالمكاثرة، وأهل الموادعة بالاحتراس، وفي المجهولات بالإرجاء، وفي الواضحات بالعزيمة، وفي المستريبات بالبحث، ثمّ إحياء الحزم عند المكاره، والصبر عند النوائب، والتحمّل عند الغيظ، والكظم عند الغضب، والوقار عند المستجهلات، ثمّ تعهّد الجار بالرفق، والغريب بالمواساة، والصاحب بالمطاوعة، والزائر بالتحفة، ثمّ صحبة الملوك بكتمان السرّ وإرشاد الأعمال وتقريظ الأفعال. ثمّ قس بين خيار إخوانك وشرارهم، ثمّ انظر أيّ الفريقين تستجمع به مودّتهم فإن كان تشبّهك بخيارهم زادك عند شرارهم نفاقًا، وإن كان تشبّهك بشرارهم زادك عند خيارهم كسادًا، فإنّ أحقّ الأمرين بجمعهم جميعًا لك والسلام[90].

فانظر يا أخي، وفّقك الله ونوّر قلبك، إلى حسن هذه الرسالة وما اشتملت عليه من المحاسن الجمّة والفوائد المهمّة. فللّه درّ قريحة صاغتها وفكرة اخترعتها، ولو لم يكن لأهل الرّوم [17أ] إلّا هذا الرجل لكفاهم فضلًا. قيل: هو أوّل من صنّف علم المنطق، ومن بديع كلامه: العالم كرة، والأرض نقطة، والأفلاك قسيّ، والحوادث سهام، والإنسان هدف، والله تعالى رامٍ، فأين المفرّ؟

(90) الروض المعطار 523–524.

ولمّا ظهر الإسكندر على دارا بن دارا، كما سيأتي ذلك، وفرّق ملك فارس كتب إلى أرسطاطاليس يستشيره في أمر الفُرس فقال له: ولِّ كلّ رجل من أكابرهم على جهته فإنّهم يتنافسون الملك فلا يجتمعون على ملك واحد، فمتى خالفك واحد منهم كانت مؤنته عليك قريبةً. فلم يزالوا كذلك أربعمائة سنة لم يجمعهم ملك واحد. فلمّا قام أزدشير[91] بن بابك بن ساسان الأصغر، وهو آخر ملوك الطوائف، بأمرهم بعد أن كابد منهم مشقّةً كبيرةً قال: إنّ كلمةً فرّقتنا أربعمائة سنة لكلمة ميشومة[92]، يعني كلمة أرسطاطاليس.

وكان هرقل عظيم الرّوم واسمه قليطس المذكور في أوّل الصحيح حكيمًا عارفًا، قال لأهل الرّوم في أيّام حروبهم مع المسلمين على وجه اللوم والتقريع والتوبيخ: لقد كانت حكمتي قد نتجت لكم أن تنسجوا منوال المصالحة بينكم وبين هؤلاء العرب، فأبيتم ذلك لأنّ ظلمة جهلكم لم تقبل ضوء نور الحكمة. أما علمتم أنّه وُجد لوح من الحجر الأخضر على قبر صماوت[93] فيه مكتوب: الحكمة سلّم العالم إلّا على من عدمها فقد عدم القرب إلى باريه. [17ب] الحكمة حياة القلوب ونعيم الأذهان ونزهة النفوس وأنوار العقول، من لم يكن حكيمًا لم يزل سقيمًا، من تدبّر نظر، ومن نظر عرف، ومن عرف عمل، ومن عمل لقح ذهنه وعقله، ومن نهد عقله صفت نفسه.

وقصّته في كتاب الإيمان من أوّل صحيح البخاريّ رحمه الله دالّة على صحّة عقله ومتانة فهمه وحسن تصوّره[94]. وأدلّ دليل على ذلك ما ذكر ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أنّه عندما قرأ كتاب النبيّ ﷺ قال لصاحبه: ويحك، والله إنّي لأعلم أنّه نبيّ مرسل ولكنّي أخاف الرّوم على نفسي ولولا ذلك لاتّبعته[95]. قلت:

(91) ويُروى أيضًا: أردشير.
(92) كذا في الأصل.
(93) كذا في الأصل.
(94) صحيح البخاريّ 1/ 62–65. اهتدينا إلى القصّة في آخر كتاب بدء الوحي وقبل بدء كتاب الإيمان.
(95) تاريخ الطبريّ 2/ 650؛ وفتح الباري 1/ 37.

وبهذا أخذ ابن عبد البرّ في القول بإيمانه[96]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله إنّه نبيّ يدلّ على أنّ هرقل وصاحبه أقرّا بنبوّة نبيّنا ﷺ[97]. وللطبرانيّ من طريق ضعيف عن عبد الله بن شدّاد عن دحية: أعرف أنّه كذلك ولكن لا أستطيع أن أفعل، ولئن فعلت ذهب ملكي وقتلني الرّوم[98]. وقوله: ولو أخلص لتجشّمت الوصول إليه ولغسلت عن قدميه، قال بعض العلماء: هو مبالغة في العبوديّة والخدمة. وزاد في الرواية: ولقد رأيت جبهته تتحادر عرقًا لمّا قُرئ عليه كتاب النبيّ ﷺ، وقال: ليبلغنّ ملكه تحت قدمي[99]. وفي قول النبيّ ﷺ في كتابه: أسلم [18أ] يؤتك الله أجرك مرّتين دليل على أنّه كان مأجورًا[100]. قال القرطبيّ رحمه الله: الكتابيّ الذي يُضاعَف أجره هو الذي كان على الحقّ في شرعه عقلًا وفعلًا إلى أن آمن بنبيّنا ﷺ فيؤجر على اتّباع الحقّ الأوّل والثاني[101]. وفي قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ**...﴾[102] يعني بإيمانهم بالكتاب الأوّل وبالكتاب الآخر كما عليه أكثر المفسّرين. قال الحافظ ابن حجر: لمّا كان أمر هرقل في الإيمان عند أكثر الناس مشتبهًا لأنّه يحتمل أن يكون عدم تصريحه بالإيمان للخوف على نفسه ويحتمل أن يكون استمرّ على الشكّ حتّى مات، ثمّ قال: إن صدقت نيّته انتفع بها في الجملة[103]. وقال الواقديّ وغيره قالوا: ما خرج هرقل من أنطاكية عندما حاصره أبو عبيدة رضي الله عنه والمسلمون إلّا وهو مسلم، وذلك أنّه كتب إلى عمر رضي الله عنه في السرّ من قومه: أنّ بي صداعًا لا يسكن فانفذ[104] إليّ بالدواء. فأنفذ إليه عمر

(96) لم نجد في كتب ابن عبد البرّ ما يؤكّد هذا القول.
(97) فتح الباري 1/ 43.
(98) المعجم الكبير 4/ 225.
(99) انظر فتح الباري 1/ 37.
(100) انظر صحيح البخاريّ 1/ 64، مع بعض الاختلاف.
(101) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مُسلم 1/ 369.
(102) سورة القصص: 54.
(103) انظر فتح الباري 1/ 44.
(104) في الأصل: فنفذ.

قلنسوته فكان إذا وضعها على رأسه سكن ما به وإذا رفعها عن رأسه عاد الصداع، فتعجّب من ذلك فأمر ففُتشّت فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: ما أكرم هذا الدين وأعزّه، شفاني الله بآية واحدة منه[105]. وقال ابن الأثير رحمه الله: لمّا كان يوم اليرموك وقُتل من قُتل من عظماء الرّوم، جاء المخبر بذلك إلى هرقل فقال لشرطته: أنزلوه. فأنزلوه وجاؤوا [18ب] به فقال له: ألست كنت أشدّ الناس عليّ في أمر محمّد نبيّ العرب حين جاءني كتابه ورسوله، وكنت أردت أن أجيبه إلى ما دعا إليه وأدخل في دينه، فكنت من أشدّ الناس عليّ حتّى تركت ما أردت من ذلك. فهلّا قاتلت الآن قوم محمّد وأصحابه دون سلطاني وعلى قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتني من الدخول في دينه؟ اضربوا عنقه، فضربوا عنقه[106]. وقال في تاريخه إنّه مات في سنة عشرين[107]، وقيل: قُتل مسلمًا في الباطن[108]. وقد ذكره أبو القاسم بن الخيّاط الطليطيّ المرتدّ في قصيدة مدح أدفونش[109] طاغية النصارى الذي تغلّب على طليطلة بقوله، فضّ الله فاه: [من البسيط]

ألستَ يا ابنَ هرقلَ ربَّ مملكةٍ ... ما كان مِثْلٌ لها في العُرب والعجمِ
وخصَّه أحمدٌ بالكتبِ حينَ رأى ... ما حازَ مِنْ سُؤددٍ يُربْي على الأُممِ[110]

قال الحجاريّ وغيره: كان ابن الخيّاط، لعنه الله، من عِلْية الفقهاء بطليطلة الذين يُشار إليهم ويُعتمد في الفتوى عليهم. فلمّا حلّ الطاغية بعرصتها كان من أسبق الناس للدخول في دينه، وكان على المسلمين في تنصّره بلاء عظيم لكونه فقيهًا عالمًا مشهورًا. فلمّا رآه الجهّال المذبذبون سهل أمره عندهم وجعلوه أسوةً، وكان الناس

(105) انظر فتوح الشام 1/ 301.
(106) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتب ابن الأثير، إنّما وقعنا عليه في الروض المعطار 39.
(107) الكامل في التاريخ 2/ 388.
(108) مرآة الجنان 1/ 66.
(109) ويُروى أيضًا: أذفونش.
(110) لم نجد مصدر هذين البيتَين.

إذا دعوا على من يبالغون فيه قالوا: جعل الله عاقبته مثل عاقبة ابن الخيّاط، اجتهد عمره في الفقه ولازم الورع والعفاف حتّى نيّف على الخمسين فعلّق الصليب في عنقه [19أ] ونبذ كتاب الله وراء ظهره[111]، انتهى مختصرًا.

قلت: الذي عليه أكثر المؤرّخين أنّ أدفونش[112] ليس من ولد هرقل، وأنّ البابوج صاحب بلاد الجوف من ولد هرقل وهو ابن بنت أدفونش[113] المعروف عندهم بالسليطين.

ثمّ إنّ من أوكد الأدلّة في صدق نيّة هرقل تعظيمه لكتاب النبيّ ﷺ. ذكر السهيليّ أنّ هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيمًا له وأنّهم لم يزالوا يتوارثونه حتّى كان عند ملك الإفرنج[114] الذي تغلّب على طليطلة ثمّ كان عند سبطه[115].

قال اليسع[116] في مُغربه: حدّثني الفقيه أبو الحسن بن زيدان قال: لمّا توجّهت إلى ابن بنت أدفونش[117] الملقّب بالسليطين رسولًا عن ابن حمدين أمر بإخراج سفط فيه حُقٌّ ذهبٍ مرصّع بالدرّ والياقوت، فأخرج منه كتاب النبيّ ﷺ إلى جدّه هرقل، نصّه في الجامع الصحيح. فلمّا رأيناه بكينا فقال: هذا الكتاب عندي شرفي وشرف آبائي من قبلي[118]. وساق ابن حجر في فتح الباري قضيّةً نظير هذه[119].

(111) لم نهتدِ إلى كتاب المسهب للحجاريّ، فعدنا إلى كتاب ابن سعيد المغربيّ الذي أخذ عن كتاب المسهب هذا الخبر برواية مُختلفة. انظر المغرب في حلى المغرب 2/ 22.

(112) ويُروى أيضًا: أذفونش.

(113) ويُروى أيضًا: أذفونش.

(114) في الأصل: الفرنج.

(115) انظر الروض الأنف 7/ 400.

(116) في الأصل: ابن اليسع.

(117) ويُروى أيضًا: أذفونش.

(118) انظر المغرب في محاسن المغرب 138–139.

(119) انظر فتح الباري 1/ 44.

وأخرج أبو عُبيد[120] في كتاب الأموال من مرسل عُمَير[121] بن إسحاق قال: كتب النبيّ ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأمّا كسرى لمّا قرأ كتاب النبيّ ﷺ مزّقه، وأمّا قيصر لمّا قرأ الكتاب طواه ثمّ رفعه. فقال رسول الله ﷺ: [19ب] أمّا هؤلاء فيمزَّقون وأمّا هؤلاء فستكون لهم بقيّة[122]. ويؤيّده ما رُوي أنّ النبيّ ﷺ لمّا جاءه جواب كسرى قال: مزّق الله ملكه، ولمّا جاءه جواب هرقل قال: ثبّت الله ملكه[123]. وهذا وأمثاله ممّا يدلّك على فضل أهل الرّوم ورجحان عقولهم ووفور معرفهم.

قال بعض العلماء بأخبار الأنبياء: لمّا أرسل عيسى عليه السلام الرسولين إلى القرية كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ**...﴾[124]، قال المفسّرون: المراد بالقرية أنطاكية وكان ملكها من ملوك الرّوم يعبد الأصنام يُقال له شلاحن[125]، فلمّا رأى منهما ما رأى من إبراء المريض وإحياء الموتى صدّق بذلك وآمن به[126].

وقال الواقديّ: فاخر بعض علماء الرّوم وحكمائهم رفاعة بن زهير رضي الله عنه فقال الرّوميّ: الحكمة من بلادنا ظهرت، ومن حكمائنا اشتُهرت، والفضائل كلّها في علمائنا، والعدل في ملوكنا، منّا الإسكندر، وبطليموس، وأرمويل، وجرجس، وأرسطاطاليس، وفيثاغورس التوحيديّ وهو الذي بنى أنطاليا، وأرميا وكان نبيًّا ملكًا، وبلتيوس[127] وهو الذي بنى أنطاكية، وطاطاغورس[128] وهو الذي بنى الرها ومنبج، وأطسيس وكان

(120) في الأصل: أبو عبيدة.
(121) في الأصل: عمر.
(122) انظر الأموال 31.
(123) فتح الباري 1/ 44.
(124) سورة يس: 14.
(125) ويُروى أيضًا: سلاحين.
(126) انظر تفسير الثعلبيّ 22/ 260–261 و263.
(127) لسنا متأكّدين من صحّة قراءة الكلمة، ولعلّها بلينوس أو يلينوس.
(128) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: طاغورس.

كاهنًا، وهو الذي أخبر ملك زمانه أنّه قد وُلد مولود يخاطبه الربّ [20أ] ويكون له شأن عظيم ويهلك على يديه فيلاطون وهو فرعون. ومنّا قيطس الحكيم ومعناه بحر العلوم، ومنّا رمينوا[129] وهو الذي بنى رومية الكبرى، ومنّا سطانيوس وهو واضع الكتاب الأوّل فيه صورة الأرض بجبالها وبحارها ونباتها وحيوانها، ووصف أمّة كلّ إقليم بألوانهم من معدن ذهب أو فضّة أو جوهر، وأحصى عيون الأرض جميعها بأسمائها وكذلك جبالها وأوديتها وشعبها وعمرانها وعجائبها[130].

وقال بعضهم إنّ الرّوم أوّل من عمل اللجم للخيل، وإنّهم الذين ابتدعوا رياضة الخيل والبيطرة، وأوّل من لعب بالعُقاب. وقال المسعوديّ في مروج الذهب: لمّا اخترع أهل الأقاليم آلات الملاهي اتّخذت الفرس الناي والعود والطنبور، واتّخذت الرّوم الأرغن وعليه ستّة عشر وترًا وله صوت بعيد المذهب، والسلياق وتفسيره ألف صوت وله أربعة وعشرون وترًا، واللوز وهي الرباب وله خمسة أوتار، والقيثارة[131] ولها اثنا عشر وترًا. وقال قندودوس الرّوميّ: جُعلت الأوتار الأربعة بإزاء الطبائع الأربعة، جعلوا الزير بإزاء المرّة الصفراء، والمثنّى بإزاء الدم، والمثلّث بإزاء البلغم، واليمّ بإزاء المرّة السوداء[132].

قال ابن عبد النور في الروض المعطار في خبر الأقطار عند ذكر مدينة بونية: وفي هذه المدينة قصر عظيم، على بابه صورة فارس من نحاس متناهية [20ب] العظم بعثها في الدهر القديم ملك القسطنطينيّة. قال: وبهذه المدينة ثلاثمائة فقيه من المسلمين وعندهم يتحاكم أهلها ويعقدون لهم وثائق أشريتهم وبيوعهم، وفيها من المسلمين تجّار أغنياء عددهم أزيد من أربعمائة، ولهم مبانٍ[133] سرّيّة ومتاجر قويّة

(129) في الأصل: رمييوا، ولعلّ الصواب ما أثبتناه.
(130) انظر فتوح الشام 1/ 285–286.
(131) في الأصل: الكيثارة.
(132) انظر مروج الذهب 4/ 176.
(133) في الأصل: مباني.

ولذلك صار المتوجّهون من التجّار والحجّاج إلى رومة لا بدّ لهم من بونية[134].

وقال المسعوديّ إنّه أقدم على الواثق العبّاسيّ شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أدنة، وهي إذ ذاك منتظمة في سلك مملكة الرّوم، مقيّد بإكديد طُوال، حسن الشيبة، فسلّم غير هائب ودعا وأوجز. قال الحاكي: فرأيت في عين الواثق الرحمة له، فقال له الواثق: يا شيخ، أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي دُؤاد عمّا يسألك عنه. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، أحمد يضيق ويصغر عند المناظرة. قال: فرأيت الواثق وقد صار مكان الرحمة عليه غضبًا وقال له أبو عبد الله: يضيق ويصغر ويقلّ عن مناظرتك؟ فقال الشيخ: هوّن عليك يا أمير المؤمنين، أتأذن في كلامه؟ قال له: أذنت لك. فأقبل الشيخ على أحمد فقال: يا أحمد إلى ما دعوت الناس إليه؟ فقال له أحمد: إلى القول بخلق القرآن. فقال له الشيخ: مقالتك هذه التي دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن داخلة في الدين فلا يكون الدين تامًّا إلّا بالقول بها؟ قال: نعم. [21أ] فقال له الشيخ: رسول الله ﷺ دعا الناس إليها أو تركهم؟ قال: علمها عند الله. قال: فلم دعوت الناس إلى ما لم يدعهم إليه رسول الله ﷺ وتركهم منه؟ فأمسك أحمد، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين هذه واحدة، ثمّ قال: أخبرني يا أحمد، قال الله عزّ وجلّ: ﴿... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**...﴾[135]، فقلت أنت: الدين لا يكون تامًّا إلّا بمقالتك بخلق القرآن، والله أصدق في كماله وتمامه أم أنت في نقصانك؟ فأمسك أحمد. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين وهذه ثانية، ثمّ قال: أخبرني يا أحمد، قال الله في كتابه: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**...﴾[136] الآية فمقالتك هذه التي دعوت الناس إليها فيما بلّغه رسول الله ﷺ أم لا؟ فأمسك أحمد. فقال الشيخ: يا أمير

(134) الروض المعطار 115–116.

(135) سورة المائدة: 3.

(136) سورة المائدة: 67.

المؤمنين وهذه ثالثة، ثمّ قال: أخبرني يا أحمد، لمّا علم رسول الله ﷺ مقالتك هذه التي دعوت الناس بها من خلق القرآن أوسعه أن أمسك عنهم أم لا؟ قال أحمد: بل اتّسع له. قال: فكذلك لأبي بكر، وكذلك لعمر، وكذلك لعثمان، وكذلك لعليّ، رحمة الله عليهم. قال: نعم. فصرف الشيخ وجهه إلى الواثق وقال له: يا أمير المؤمنين، إذا لم يتّسع لنا ما اتّسع لرسول الله [21ب] ﷺ ولا لأصحابه فلا وسّع الله علينا. فقال الواثق: نعم، لا وسّع الله علينا إذا لم يتّسع لنا ما اتّسع لرسول الله ولأصحابه، ثمّ قال الواثق: اقطعوا قيده. فلمّا فُكّ عنه جاذب عليه فقال الواثق: دعوه. ثمّ قال له: يا شيخ لم جاذبت عليه؟ قال: لأنّي عقدت في نيّتي أن أجاذب عليه، فإذا أخذته أوصيت أن يجعل بين بدني وكفني حتّى أقول: يا ربّ سل عبدك هذا لم قيّدني ظلمًا وأراع بي أهلي. فبكى الواثق وبكى الشيخ وجميع من حضر، ثمّ قال الواثق: يا شيخ اجعلني في حلٍّ. فقال: يا أمير المؤمنين ما خرجت من منزلي حتّى جعلتك في حلٍّ إعظامًا لرسول الله ﷺ ولقرابتك منه. فتهلّل وجه الواثق وسُرّ ثمّ قال له: أقم عندي آنس بك. فقال: مكاني في ذلك الثغر أنفع. قال: سل ما بدا لك. قال: تأذن لي يا أمير المؤمنين في الرجوع إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم، فقال: قد أذنت لك. فأمر له بجائزة فلم يقبلها[137]، انتهى.

ويُنسب إلى الرّوم طوائف من العرب من تنوخ، وغسّان، ولخم، وجُذام، وعاملة وغيرهم كانوا سكّانًا بالشام. فلمّا أجلاهم المسلمون عنها دخلوا بلاد الرّوم فاستوطنوها فاختلطت أنسابهم، منهم أبو عبد الله الزاهد الرّوميّ مولى لابن أبي غيلان الثقفيّ وكان اسمه قسطنطين فلمّا أسلم [22أ] تسمّى عبد الرحمن، روى عن معاوية رضي الله عنه وهو في عداد أهل الشام. ومنهم أحمد بن محمّد بن إبراهيم الرّوميّ، ومحمّد بن عمر بن عبد الله البصريّ الرّوميّ، وابن الرّوميّة أحمد بن محمّد بن مفرح، وابن الرّوميّ بيت كبير وخلق كثير من الموالي صار منهم ملوكَ

(137) انظر مروج الذهب 4/ 154–155.

الديار المصريّة غيرُ واحد. وأبو روميّ صحابيّ وحبيب بن مسلمة الفهريّ يُقال له حبيب الرّوم لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم. وأبو الرّوم ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف أخو مصعب لأبيه رضي الله عنهما، أمّه روميّة، قديم الإسلام، وخلق لا يُحْصَون.

ويُنسب إلى الرّوم أيضًا صهيب الرّوميّ رضي الله عنه وهو من العرب، وأبوه سنان بن مالك ويُقال خالد ونسبه ينتهي إلى النمر بن قاسط وكان اسمه عميرة فسمّاه الرّوم صهيبًا، وأمّه من بني مالك بن عمرو من تميم. وقيل له الرّوميّ لأنّ الرّوم سبوه صغيرًا فنشأ بها فصار ألكن ثمّ اشتراه رجل من كلب فباعه بمكّة فاشتراه عبد الله بن جُدعان القرشيّ التيميّ فأعتقه. ويُقال: بل هرب من الرّوم فقدم مكّة وحالف ابن جُدعان.

وروى ابن سعد أنّه أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكان يُعذَّب في الله وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا والمشاهد بعدها. وقال: صحبت رسول الله ﷺ قبل أن يُبعث [22ب] وفيه نزل قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ...**﴾[138]. وعن مجاهد: أوّل من أظهر إسلامه سبعة فذكره منهم[139]. ولمّا مات عمر رضي الله عنه أوصى أن يصلّي عليه صهيب وأن يصلّي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام، رواه البخاريّ في تاريخه[140]. ومناقبه كثيرة، وفيه قال النبيّ ﷺ: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. قلت: قد اختلف أهل الحديث في هذا الأثر اختلافًا كثيرًا؛ وقع في عبارة بعضهم أنّه من كلام النبيّ ﷺ، وفي عبارة آخرين أنّه أثر عن عمر رضي الله عنه، وقال بعض المحدّثين إنّه لا يعرف ذلك حديثًا ولا أثرًا. قال الشيخ بهاء الدين السبكيّ رحمه الله في عروس الأفراح ما نصّه: وقد نسب الخطيبيّ هذا الكلام إلى النبيّ ﷺ ولم أره في شيء من كتب الحديث لا

(138) سورة البقرة: 207. انظر الطبقات الكبرى 3/ 171–172.

(139) التاريخ الكبير 1/ 168.

(140) انظر التاريخ الأوسط 1/ 48.

مرفوعًا ولا موقوفًا عن النبيّ ﷺ ولا عن عمر مع شدّة الفحص عنه[141]. وكذا نسبه القرافيّ في الفروق إلى النبيّ ﷺ[142]. ووقع في عبارة ابن الحاجب في شرح المفصّل أنّ ذلك في الحديث وظاهره أنّه عن النبيّ ﷺ[143]. ونسبه ابن مالك في شرح الكافية إلى عمر[144]، وابن هشام صرّح في المغني أنّه مرويٌّ عن عمر أيضًا[145]. وفي الحلية لأبي نعيم في حديث يرفعه من طريق عمر رضي الله عنه [23أ] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ سالمًا شديد الحبّ لله[146] لو كان لا يخاف الله ما عصاه[147]. وجاء من طريق: لو لم يخف الله ما عصاه[148]. وأخرج الديلميّ في مسند الفردوس من طريق الحافظ أبي بكر بن مردويه يرفعه إلى عمر كما تقدّم[149]. وعلى الجملة فهو في سالم مولى أبي حُذيفة رضي الله عنه لا صهيب، والله أعلم.

ثمّ إنّ ظاهر هذا الحديث مشكل يقتضي أنه خاف الله وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذنبًا، لكن في سياق الحديث ما يؤذن بالمدح وللعلماء فيه كلام كثير. قال ابن عصفور: لو في الحديث بمعنى إن لمطلق الربط وإن لا يكون نفيها ثبوتًا ولا ثبوتها نفيًا فيندفع الإشكال[150]. وقال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام

(141) عروس الأفراح 1/ 346–347.

(142) انظر الفروق 1/ 89.

(143) انظر الإيضاح في شرح المفصّل 1/ 207. استشهد ابن الحاجب بالقول المذكور في كتابه، إنّما لم نجد له تعليقًا على القول بأنّه حديث.

(144) شرح الكافية 3/ 1630–1631.

(145) مغني اللبيب 339.

(146) في الأصل: في الله.

(147) انظر حلية الأولياء 1/ 177.

(148) انظر التخريج الصغير 184.

(149) لم نهتدِ إلى كتاب مسند الفردوس، وهو مُختصر لكتاب الديلميّ وعنوانه الفردوس بمأثور الخطاب. صاحب المُختصر –أي مسند الفردوس– هو ابن الديلميّ واسمه شهردار، فخرّجنا هنا المعلومة من كتاب الأب لا الابن. انظر الفردوس بمأثور الخطاب 1/ 234.

(150) ورد هذا القول في الفروق 1/ 89–90.

رحمه الله: الشيء الواحد قد يكون له سبب واحد فينتفي عنه انتفاءه، وقد يكون له سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لأنّ السبب الثاني يخلف الأوّل كقولنا في زوج هو ابن عمّ لو لم يكن زوجًا لورث بالتعصيب، فإنّهما سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدم الآخر. وكذلك هاهنا الناس في الغالب إنّما لم يعصوا لأجل الخوف فإذا ذهب الخوف عصوا لاتّحاد السبب في حقّهم، فأخبر عليه الصلاة والسلام أنّ صهيبًا رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية: الخوف والإجلال وهذا مدح جميل[151]. [23ب]

(151) ورد هذا القول في المصدر نفسه 1/ 90.

## الباب الأوّل

# وهو نتيجة المقدّمة، والمقصود بهذه الترجمة، في مناقب السلطان بايزيد، ومآثر سلفه السعيد

اعلم أنّ دولة الملوك بني عثمان، غرّة في جبهة الزمان، جمع الله بهم كلمة الإيمان، ونشر بوجودهم أعلام العدل والأمان، وأعزّ بدولتهم الإسلام، وأيّد بعدلهم الأحكام، طابت أخبارهم، وحسنت في ذات الله مآثرهم وآثارهم، وألقت إليهم الأمور أعنّتها، وملّكتهم الأيّام أزمّتها، ووطّأ الله لهم مهاد الملك، وأعطاهم مفاتيح الأرض، وأعلى كلمتهم، ورفع حكمتهم، وملّكهم أقطار بلاده، ونواصي عباده. لم يدعوا للباطل عَلَمًا إلّا وضعوه، ولا ركنًا إلّا ضعضعوه، فدانت لهم أقاليم الدنيا وأمصارها، وأصبح إلى أمرهم مصيرها، وعلى حكمهم مدارها، أحيوا سنن العدل، وأماتوا سير الجور، واستأثروا بالمحامد والمناقب، وسبقوا الملوك إلى علوّ المراتب والمناصب، وحصّلوا من جميل الذكر، وجزيل الأجر، ما لا تزال الرواة تتهاداه، والتواريخ تتعاطاه: [من البسيط]

قومٌ متى تحتفلْ في وصفِ سؤددِهم ... لا يأخذِ الوصفُ إلّا فوقَ ما يدَعُ[1]

والسلطان بايزيد صاحب الترجمة عين ملوكهم، وموضع الواسطة من عقود سلوكهم، وخيرة خيارهم، ووردة أزهارهم، [24أ] ورائش نَبْلهم، ومطيّة فضلهم، وجُمّة وردهم، وواسطة عِقدهم، ورافع راية مجدهم، فهو السلطان الأعظم

(1) ديوان ابن زيدون 168.

بايزيد بن السلطان محمّد بن السلطان مراد باك بن السلطان محمّد بن السلطان بايزيد يلدرم بن السلطان مراد الغازي بن السلطان أرخان بن السلطان عليّ أردن بن عثمان بن السلطان سليمان شاه بن عثمان حقّ، وهو علم على المكان الذي نشأ عثمان منه: [من الخفيف]

نسبٌ بينَهُ وبينَ الثريّا نسبٌ في الظهورِ والعلياءِ[2]

نسب ما وراءه منتسَب، وحسب ما مثله حسب، وشرف تقعد بالنجوم ذوائبه، وتَخِذُ في مفرق النسر ركائبه، شُهب سماء المجد، وطرز رداء الحمد، ما منهم إلّا من دبّر الملك وقاد الكتائب، وطلع غُرّةً في وجوه المواكب. ويُعرف كلٌّ منهم بابن عثمان ويُقال لكلٍّ خوندكار ومعناه السلطان. أخبرني بعض فضلاء الرّوم الواردين إلى المدينة الشريفة أنّ نسبهم الشريف يتّصل بكسرى أنوشروان وأنّ هذا شائع بين أهل الرّوم، وأخبرني بعض أهل المدينة الشريفة أنّ نسبهم ينتهي إلى عثمان بن عفّان رضي الله عنه.

والذي ذكره الحافظ السخاويّ أنّ أصلهم الكريم من مدينة النبيّ ﷺ وأنّ جدّهم عثمان الأعلى هو المنتقل لوقوع غلاء بها إلى قرمان أحد أقاليم الرّوم عُرف ببني قرمان [24ب] المتّصل نسبهم بالعلاء السلجوقيّ، وذلك في سنة نيّف وخمسين وستّمائة. ووُلد له ابنه سليمان هناك فنشأ على غاية من الشجاعة والفروسيّة وتولّى بعض القلاع وصار له عدّة أتباع. فلمّا استفحل أمره، واتّقد جمره، وقويت شوكته، واجتمعت كلمته، فارق بني قرمان وأخذ في غزو الكفّار وافتتح عدّة حصون من جملتها[3] برصا التي صارت بعد أحد كراسيّ مملكة الرّوم مع غيرها من القلاع وذلك في حدود الثلاثين وسبعمائة.

(2) الشاعر مجهول. انظر الضوء اللامع 6/ 265.

(3) في الأصل: جملتهم.

ومات عن حفيده أردن عليّ فملك بعده وسلك طريقة جدّه في الإحسان إلى أهل مملكته والجهاد وغزو الكفّار فافتتح عدّة حصون واستتبّ أمره وقويت شوكته، وواصل غزو الكفّار حتّى افتتح عدّة حصون أيضًا تلي خليج قسطينة. فحسده بعض ملوك الرّوم وخافوا تطرّقه إليهم وسطوته عليهم فهمّوا بقتاله فلم يستطيعوا ذلك لعدم مقاومته وعجزهم عنه، وربّما قاتله بعضهم فينهزم مغلوبًا. وأعزّ الله به الإسلام والمسلمين وأذلّ الكفرة والمشركين فحملوا إليه الجزية وقرّر عليهم في كلّ عام من العدّة والخيل والرقيق ما يحملونه إليه وأن يقيم داخل قسطنطينيّة قاضيًا يحكم بين المسلمين والرّوم بالشريعة المحمّديّة ولا ينقض ملكهم حكمَه وله نقض أحكامهم المخالفة [25أ] للشريعة المطهّرة. واستمرّ ينشر العدل ويبسط الفضل ويعظّم العلماء والصلحاء ويفتح الفتوحات إلى أن مات على فراشه، تغمّده الله برحمته.

وكانت مملكة الرّوم في أيّامه منقسمة بين جماعة، وهم أولاد أيدين أصحاب أيا سلوق، وبني أرِتْنا أصحاب قيصريّة وسيواس إلى أطراف الأذاع، وبني قرمان أصحاب قونية ولارندة إلى تخوم طرسوس، وبني تكي أصحاب أنطاليا والعلايا، وبني كرميان أصحاب طنغرلو[4] وبلاطية، وبني أبي يزيد أصحاب قستمونيّة[5]، وبني إبراهيم أصحاب أرْزنكان.

ولأردن عليّ رحمه الله مآثر جليلة، وكثرت في أيّامه الجوامع والمساجد وبنى في الأماكن التي ينزل بها للغزو وما يحتاج إليه ومهّد البلاد وأمّن العباد، رحمه الله تعالى.

ثمّ استقلّ بالملك بعده ابنه السلطان أرخان فسار على جادّة أبيه في العدل والإحسان، وسلك طريقته في غزو الكفّار أهل الصلبان، وبنى ببرصا مسجدًا

(4) في الأصل: طغترلو.

(5) في الأصل: قسمتونيّة.

للجمعة ودارًا للمسافرين. وأخبرني بعض أهل الرّوم أنّ طبل غزواته معلّق على قبره إلى وقتنا يخرجونه في الأعياد يضربون به.

ثمّ مات، رحمه الله، واستقرّ بعده في المملكة ابنه السلطان مراد الغازي فأظهر العدل والميل لأهل الفضل وعذق الأمور بقضاة الشرع وركب البحر للجهاد ولم [25ب] يركبه أحد ممّن تقدّمه من آبائه، وأكثر الغزو وافتتح أراضي قسنطينة وغزا ما يقابل كليبولي ممّا يلي قبلي خليج قسنطينة. ثمّ افتتح كليبولي وافتتح أدرنة وحاصر الإفرنج[6] والأفلاق والأنقرس وغيرها حتّى حملوا إليه الجزية. ودام على طريقته في الغزو إلى أن انتُدب لحربه بعض ملوك الإفرنج[7]، فلمّا التقى العسكران قصد السلطان مراد الإفرنجيَّ[8] وحمل عليه فتعاركا طويلًا فقبض كلٌّ منهما على صاحبه وهما على فرسيهما، فسقطا ووقع عدوّ الله على السلطان مراد وضربه بخنجر كان معه حتّى أثخن جراحه. فتداركه أصحابه وحملوه إلى خيمته وهو يجود بنفسه فعهد بالملك لابنه بايزيد، وقتل ابنه الآخر صوجي لأنّ أمّه نصرانيّة فاتّهمه بالميل إليهم فامتثلوا ما أشار به ثمّ فاز بالشهادة، رحمه الله، وذلك في سنة ستّ وتسعين وسبعمائة بعد أن أقام في الملك عشرين سنةً.

وله مآثر جليلة منها مسجد للجمعة ببرصا ومدرسة ودار للمسافرين، وابتنى بها حمّامًا ماؤه في غاية السخونة من غير تسخين، وله غير ذلك بأطراف البلاد، رحمه الله.

ثمّ قام بالملك بعده ابنه السلطان بايزيد يلدرم فأظهر من العدل ما لا مزيد عليه[9].

قال المقريزيّ في عقوده[10]: لمّا وُلّي السلطان بايزيد المشار إليه خالف عليه من حوله من الملوك [26أ] وحاربوه فأيّده الله عليهم وقبض على جميعهم وأوقفهم

(6) في الأصل: الفرنج.
(7) في الأصل: الفرنج.
(8) في الأصل: الفرنجيّ.
(9) انظر الضوء اللامع 11/ 148–149.
(10) انظر درر العقود الفريدة 1/ 439.

بين يديه، وفيهم عيسى باك متملّك أيا سلوق. ثمّ أفرج عنهم جميعهم ووجّههم كلّهم بأموالهم وأولادهم إلى مدينة أزنيك ليقيموا بها أبدًا ما بقوا، وبعث إلى ممالكهم نوّابًا من جهته إلّا ابن قرمان فإنّه كان زوج أخته فشفعت فيه عنده فأعاده إلى بلاده.

ولمّا استقرّت دولته أخذ ممالك قرمان وقتل ملكها علاء الدين وأسر ولديه وسلك طريقة سلفه في الجهاد، وأربى عليهم في إذلال أهل العناد، واجتهد في إعزاز الدين، وخذلان المتمرّدين، وشمّر للغزو عن ساق، وبَعُدَ صيته بذلك في الممالك والآفاق. وأنشأ ثلثمائة غراب وملأها بالسلاح والأزودة وواصل الغزو بحيث ملك سيواس واستولى على البلاد القرمانيّة وحاصر ملطية إلى أن أخذها بالأمان بعد أن أخرب بعض سورها، واتّسعت مملكته وعظمت سلطنته وقويت شوكته وبَعُدَ صيته وارتفعت هيبته وأمِن الناس في أيّامه وأبطل المُكوس ونشر العدل وجلس للمظالم.

وكان ملكًا عادلًا شجاعًا غازيًا مُهابًا إلى الغاية يحبّ العدل لا يؤثر عليه شيئًا، وكان أقصى ما يطلب من الرعايا عدم الخيانة دون ما عداها. ومن عرفه منهم بدين أو علم يبالغ في إكرامه وتعظيمه. وكان لا يتعرّض لأموال رعيّته، [26ب] من مات منهم ولا وارث له يتولّى القاضي تفرقة ما خلّفه ولا يُؤخذ من التجّار في جميع مملكته مَكْسٌ.

واشتهر بإكرام العلماء سيّما الوافدين عليه منهم كشيخ القرّاء الشمس ابن الجزريّ فإنّه وفد عليه فأكرمه وعظّمه وأنزله أعظم منزلة ونشر ببلده علمي القراءات والحديث. وكذا من الواصلين إليه من الأئمّة المجد اللغويّ صاحب القاموس فأكرمه وبالغ في تعظيمه، وغيرهما من العلماء. وكاتبه السلطان برقوق وهاداه وتظاهر بالميل إليه، وكذا هاداه غيره من الملوك.

وله المآثر الجليلة من الفتوحات والآثار، عمّر ببرصا الجامع الكبير ورخّم باطنه وظاهره وأوصل الماء إلى سطحه بتدبيرٍ أحكمه[11] المهندسون، وصار ينزل

(11) في الأصل: أحكمته.

من السطح فيجري في عدّة مواضع، وجعل فيه عشرين قبّة وأربع منائر يصعد الماء إلى رأس إحداهنّ، وعمّر البيمارستان[12].

وبنى ببرصا أيضًا عمارةً جليلةً تشتمل على مسجد للجمعة ودار للمسافرين ومدرسة لطلبة العلم ورتّب لهم فيها مرتّبات ورتّب أيضًا للفقراء ما يرتفقون به. وبنى بأدرنة أيضًا عمارةً تشتمل على مسجدٍ للجمعة ودارٍ للمسافرين وغير ذلك بأطراف البلاد لحفظ الثغور. وكانت عنده آلة إذا مضى من النهار والليل ساعة انفتح باب وسقط منه بندقة من حديد، وإذا كان طلوع الفجر أو غروب الشمس [27أ] انفتح باب وخرج منه جوقة مغانٍ[13] تزفّ.

وكانت دنياه متّسعة ومحاسنه أكثر من أن تُحصر، ترك من الأولاد مصطفى ففُقد ولم يُعرف له خبر فقُتل بسببه جماعة، وعيسى، وموسى، ومحمّد، وسلمان وهو أكبرهم، رحمهم الله تعالى. ولم يزل على طريقته وحسن سيرته في العدل، والكرم، والشجاعة، والهيبة، ومحبّة العلماء والصلحاء، والجهاد إلى أن كان من قضاء الله تعالى أن أسره تمرلنك واستمرّ معه في الأسر حتّى رُزق الشهادة ومات في ذي القعدة من سنة خمس وثمانمائة رحمه الله[14]. ويقال إنّه سمّ نفسه بخاتم كان في يده، والله أعلم. وكانت أيّامه مشهورةً ومساعيه في الخير مشكورةً.

وبعد موته اضطربت مملكة الرّوم حتّى قام بالملك بعده السلطان غياث الدين أبو الفتح محمّد الملقّب بالوتريّ، فقام بالمملكة أحسن قيام، وحسنت به زهرة الليالي والأيّام، وسار على طريقة سلفه في العدل والإنصاف، واقتفى آثار آبائه في رفع الخلاف، وقرّب العلماء واختصّ بهم وقام بأعباء المملكة وسياسة الرعيّة، واصطفى الأستاذ الشهاب ابن عربشاه وقرّبه وارتفعت منزلته عنده وترجم له جامع

(12) انظر درر العقود الفريدة 1/ 443–444.

(13) في الأصل: مغاني.

(14) انظر درر العقود الفريدة 1/ 450 و452.

الحكايات ولامع الروايات في ستّة مجلّدات من الفارسيّ إلى التركيّ، وترجم له أيضًا تفسير [أبي] الليث السمرقنديّ بالتركيّ نظمًا، وكتب عنه إلى [27ب] ملوك الأطراف بالعجميّ والتركيّ والمغليّ والعربيّ. وفي أيّامه قدم عالم الرّوم العلّامة الأستاذ أبو عبد الله الشمس محمّد بن حمزة الفنريّ[15] الحنفيّ فولّاه قضاء برصا. ثمّ لمّا حصل اضطراب الدولة تحوّل لبلاد ابن قرمان ثمّ بعد زوال تلك الفتن عاد فأعاده لقضائها.

وله أيضًا كسلفه آثارٌ جميلة منها مسجد للجمعة ببرصا ومدرسة لطلبة العلم ودارٌ للمسافرين، ولم يزل على طريقته وحسن سيرته حتّى مات، رحمه الله.

وخلفه على الملك ابنه السلطان مراد باك ويُلقّب أيضًا غياث الدين، فطالت أيّامه، وحُمد فيها سَيْرُه ومُقامه، ودام في الملك أزيد من ثلاثين سنةً، وخدمته السعادة، ونالته السيادة، واقتفى آثار سلفه في تعظيم العلماء وفي الجهاد وغزو الكفّار. وأهلك الله تعالى على يده قرال أحد عظماء ملوك الإفرنج بني الأصفر في سنة ثمان وأربعين وثمانمائة، وكانت بينهما واقعة قُتل فيها من الفريقين نحو عشرة آلاف وأمسك السلطان مراد باك من كبار أمرائهم خمسة وأسر زيادةً على عشرة آلاف. وغنم المسلمون من النقد والمواشي وغير ذلك من آلات الحرب ما لا يوصف، وكان الإفرنج[16] في عدد لا يحصى أجمعوا على أخذ سواحل المسلمين والتوصّل إلى[17] الاستيلاء على بيت المقدس فخذلهم الله تعالى لعزّ السلطان مراد [28أ] وأنزل النصر على المسلمين. واتّفق وقت المعركة ثَوَرَانُ غبارٍ شديدٍ بين الفريقين بسبب نفرة بعض الوحوش كانت هناك توهّمها الكفرة نجدةً وصلت للسلطان من بعض الجهات، فاشتدّ رعبهم ونكصوا على أعقابهم وخذلهم الله

(15) ويُروى أيضًا: الفنّاريّ.

(16) في الأصل: الفرنج.

(17) في الأصل: على.

تعالى فانهزموا وركب المسلمون أكتافهم يقتلون ويأسرون، وكفى الله المؤمنين القتال.

وكان السلطان مراد باك محبًّا للعلماء اقتدى بأبيه في تعظيمهم سيّما الفنريّ[18] والشهاب الكورافيّ[19]، وكان شافعيًّا فتحنّف بسؤال السلطان له وترقّى عنده إلى المنزلة العليّة بحيث استقرّ به في قضاء العسكر ثمّ نقله إلى منصب الفتوى فاتّسعت دنياه وأنشأ بإسطنبول[20] جامعًا ومدرسةً سمّاها دار الحديث.

وللسلطان مراد باك، رحمه الله، الفتوحات الجليلة منها بندر سلتيك وسيروس وأمثالهما من البلاد، وكانت له نكاية في الكفّار. وله من المآثر الجسر المشهور على نهر أركنة، يقال إنّ له ثلثمائة وستّين قنطرةً يدخل منها الماء.

حكى لي بعض فضلاء الرّوم أنّ بعض من قصد السلطان مراد باك لمّا نظر إلى هذا الجسر ورأى عظم شأنه قال: إنّ الحاجة لا تدعو إليه. فبلغ كلامه السلطان فأرجأ صلته إلى أن دخل إبّان المطر والثلج وتوعّرت الطرقات بالماء وأنعم[21] عليه وصرفه مكرّمًا. فلمّا عزم على التوجّه لم [يجد] مسلكًا غير ذلك الجسر لكثرة [28ب] المياه والثلوج فاستصوب حينئذ عمله واستهجن ما صدر منه وتحقّق خطأ مقالته.

ومن أبنية السلطان مراد باك، رحمه الله تعالى، المدارس الثلاث[22] بأدرنة يقال لإحداهنّ دار الحديث، وله بها أيضًا مسجد عظيم يُعرف بالجامع الجديد. وبنى بها أيضًا مسجدًا للجمعة ودارًا للمسافرين ورتّب بها طعامًا للفقراء جاريًا في كلّ يومٍ وبيتًا للمولويّين يُسمّى ذلك المحلّ بمولى خانه. وله أيضًا جسر عظيم

(18) ويُروى أيضًا: الفنّاريّ.
(19) كذا في الأصل، ولعلّه القرافيّ.
(20) في الأصل: بإصطنبول.
(21) في الأصل: أنعم.
(22) في الأصل: الثلاثة.

بأدرنة على نهر تونجة[23] وعمارة ببرصا تشتمل على مسجد للجمعة ومدرسة ودار للمسافرين ومأكل جارٍ[24] على الفقراء. وبنى في بولير أيضًا عمارةً تشتمل على مسجد للجمعة ودار على طريق المسافرين لهم بها مرتّبات من أكل وعَليق للدوابّ وغير ذلك من القربات.

ومحاسنه كثيرة، وأفعاله في الخير شهيرة، ولم يزل قائمًا في دفع الكفّار والمشركين، وقمع أعداء الدين، ذا حزم، وعزم، وهمّة عليّة، وضخامة، وشهامة، وفروسيّة إلى أن مات، رقّاه [الله] أعلى المقامات، في سنة خمس وخمسين وثمانمائة، رحمه الله.

واستقرّ بعده في الملك ولده السلطان محمّد فسلك طريقة آبائه في غزو الكفّار، وافتتاح المدن الكبار، وصار ملكًا عظيمًا جليلًا مُهابًا قاهرًا للعدوّ. وقال لي بعض أهل الرّوم إنّه اقتلع ممالك عشرة سلاطين، أربعة من المسلمين [29أ] مملكة قرمان، والكرميان، والتكا، وبلاد إسفنديار، ومن النصارى بصنا، وبلاد ديسيوت، وبلاد الخرسك، وبلاد الأفلاق، وبلاد قربوطان، وبلاد أخرى. ولم تزل المملكة بأدرنة معه محفوظة النظام، متّصلة الالتئام، وهو بسياسته وشدّة شكيمته ومعرفته بالتدبير الملوكيّ يصرف بين ملوك النصارى مجاوريه ويحرّض بعضهم على طلب الملك من بعض إلى أن سمت نفسه الزكيّة وهمّته العليّة إلى فتح القسطنطينيّة.

وكان فتحه لها يُعدّ من عظيم الآيات وخوارق العادات، وكيفيّة ذلك كما أخبرني به بعض الفضلاء من أهل الرّوم الواردين علينا إلى المدينة الشريفة أنّ السلطان أقبل بمراكبه من البحر الأسود إلى أن وصل إلى اللسان الداخل في البحر المقارب للقسطنطينيّة، وأمر أصحابه أن يأخذوا أخشابًا ويبسطوها على الأرض بعضها متّصل ببعض وأن يدهنوها بالصابون ويكثروا فيها منه. ثمّ أمرهم بسحب

(23) في الأصل: تنجة.

(24) في الأصل: جاري.

المراكب على تلك الأخشاب ورفع أقلاع المراكب وجرّها على الخشب والريح تساعدهم في دفعها. وكلّما وصلوا إلى نهاية الخشب قدّموا ما تأخّر منه وما زالوا كذلك وعناية الله تمدّهم مسيرة نصف نهار في عرض ذلك اللسان حتّى وصلوا بالمراكب إلى [29ب] البحر الأبيض. فلمّا عاين النصارى ذلك أيقنوا باقتلاعها منهم وصحّ عندهم ما كانوا يعتقدونه، فإنّهم كانوا يعتقدون أنّه لا يفتح القسطنطينيّة إلّا من يسيّر المراكب على الأرض. وكان فتحها من الفتوحات الكبار الإسلاميّة لامتناعها وصعوبتها. وقال لي بعض أهل الرّوم أيضًا إنّهم سيّروا المراكب على العجل فسارت، والله أعلم.

ولمّا افتتحها السلطان محمّد قفل البحرين الأسود والأبيض وجعل على مضيق كلّ جهةٍ منهما قلعتين شحنهما بالسلاح، والعدّة، والآلات، والمدافع، والحرس، وجميع ما تحتاج إليه لدفع العدوّ فلا يدخل أحدٌ إلّا بإذنٍ. وقُرّت بفتحها عيون المسلمين، وأذلّ الله بهذا الفتح أعداء الدين، ولمّا فُتحت غُلّقت أبوابٌ من الشرّ كثيرة، وأعيدت على الإسلام منفعة كبيرة. وانتظم هذا الفتح الجليل في سلك حسنات السلطان محمّد وادّخره الله له وأصبحت مملكة بني عثمان بها راسية الأوتاد، ثابتة العماد، وارثة الزناد، هامية العهاد، سابغة الأمداد، ضامنة لأرزاق العباد، كافلة ببلوغ المراد، تفوق ببهجتها إرم ذات العماد، رامها الملوك قبله فأعيتهم، وادّخر الله تعالى فتحها للسلطان محمّد كرامةً له وزيادة نعمةٍ عليه، وصارت مقرّ الملك، ورواق [30أ] العزّ، ومجمع العلم، ومركز الرياسة، ومحلّ السياسة، وميدان المجاهدين، ومأوى الفقير، ومأمن الخائف، وملجأ البادي والعاكف.

ولمّا افتتحها صيّر كنيستها مسجدًا واسمها آيا صوفيا[25] تقام فيه الجمعة والجماعات، وترفع إلى الله فيه الدعوات. وكان بها عمودان يعتقد الكفرة أنّ بقاءها

(25) في الأصل: آيا سوفيا.

مع العمودين علامة لعودها إليهم، فأمر السلطان محمّد بهدم ذلك لينقطع ما عندهم من الأكاذيب.

وللسلطان محمّد، رحمه الله تعالى، آثار جليلة منها أنّه بنى بإسطنبول[26] بعد فتحه لها جامعًا يُعرف بالجامع الكبير وحوله ثماني[27] مدارس رتّب لكلّ مدرسة في كلّ يوم عشرة دنانير. وبنى بها أيضًا دار الشفاء وهو المارستان ودار المسافرين، ورتّب بها طعامًا للفقراء وطلبة العلم في كلّ يوم، وبنى بها حمّامين ليس لهما نظير. وله عمارة جليلة على أبي أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه تشتمل على مسجدٍ للجمعة ومدرسة وطعام مرتّبٍ للفقراء، وبنى أيضًا خانقاه للشيخ ابن أبي الوفاء بها مسجد للجمعة وحمّام ومرتّبات للفقراء الواردين إليها. وابتنى قلاعًا كثيرةً بأطراف البلاد لحفظ الثغور، وله غير ذلك من القربات.

أقام في المملكة ثلاثين سنةً وأزيد، وفي أيّامه قصد حسن باك ملك الفرس بلاد الرّوم وأغار على أطراف بلده في عسكر عظيم وأحرق [30ب] فيها بعض القرى، فخرج إليه السلطان محمّد والتقى معه في جُدّ المملكة وكسر حسن باك وهزمه أقبح هزيمة وقتل من عسكره نحو عشرين ألف وسبعة أميرًا وأسر خمسة آلاف. وأدرك بعضُ عسكر السلطان محمّد حسن باك وهمّ بقتله ففرّ بين يديه ورمى إليه بكيسٍ فيه مبلغ ليشغله به عن نفسه، فأخذه وتبعه فرمى إليه بسيفه، فأخذه كذلك وتبعه فرمى إليه عمامته ثمّ اعتصم منه بحبل، فأتى التابع بذلك إلى السلطان محمّد فعنّفه وقال له: لو أتيت برأسه كان لك عندي أضعاف ذلك. أخبرني بذلك بعض من حضر الوقعة والعهدة عليه في النقل، ثمّ أصلح السلطان محمّد ما أفسد من بلاده ورجع مُؤيّدًا منصورًا.

واعتمادي على ما حرّرته في هذه الأوراق من التراجم وغيرها من الحوادث والوقائع على بعض كتب المؤرّخين التي اطّلعت عليها، ومن ذكر القربات التي

(26) في الأصل: بإصطنبول.

(27) في الأصل: ثمانية.

سقتها على ما أخبرني به من يترجّح عندي صدقه من فضلاء الرّوم الواردين علينا، مع علمي أنّ كلًّا منهم غير موفٍ بالمقصود ولا مؤدٍّ للأحوال على حقيقتها، إمّا لعدم اطّلاعه وتصدّيه لذلك، أو قصور عبارته، أو جهله، وإلّا فمحاسن ملوك بني عثمان أكثر من أن يحيط بها ديوان أو يضبطها قلمٌ أو لسان.

وكان السلطان محمّد ملكًا جليلًا [31أ] جوادًا مهابًا مكرّمًا للعلماء، ذا رغبة في لقائهم، محبًّا لأهل الخير والصلاح، سالكًا طريقة سلفه في المحاسن. له همّة عليّة ونفس ملوكيّة، بلغه قتل الدوادار يشبك من مهدي فتحرّك خشيةً من التحرّي[28] على بلاده وعدّى بحر إسطنبول فأدركه أجله سنة ستّ وثمانين وثمانمائة، رحمه الله ورحم آباءه الكرام، فلقد كانوا زهرة الأيّام، وبهجة الإسلام، سموا من المعالي إلى أعلى مقام، ونبوا من جميل الذكر ما خلّدته في الصحف الأقلام، فهم كما قال المعرّي: [من البسيط]

جمـــالُ ذي الأرضِ كـــانوا في الحيـــاةِ وهُـــمْ
بعـــدَ المَمـــاتِ جمـــالُ الكُتـــبِ والسِّـــيرِ[29]

ولمّا مات السلطان محمّد استقرّ في المملكة وليّ عهده، وخليفته من بعده، ولده مولانا السلطان، عين الزمان، وروح جسم الإيمان، خُلاصة الخُلاصة من ملوك بني عثمان، رافع راية الأمان، قامع عَبَدة الصُلبان، ينبوع الفضل والإحسان، ومعدن الجود والامتنان، الملك الهُمام، رافع منار الأحكام، واسطة عِقد النظام، حامي حوزة الإسلام، خاتمة ملوك الأنام، حُليّ جيد الأيّام، القائم بالشريعة المطهّرة أعظم قيام، سيف الله القاطع، وشهابه اللامع، والحامي عن دينه والمدافع، والذابّ عن حُرَمه والممانع، عالم الملوك، ملك العلماء، واسطة عِقد الكرماء،

(28) كذا في الأصل.
(29) شروح سقط الزند 1/ 141.

مفترِض الطاعة، [31ب] المتمسّك بالسنّة والجماعة، المجتهد في إعلاء كلمة الله، المعتني بسنّة رسول الله، ظلّ الله في الأرض، القائم بما شرع الله لعباده من السنّة والفرض، المؤتمن على خلقه، واليد المبسوطة بحقّه، ذو الفتوحات الجليلة، والآثار الحسنة الجميلة، أجلّ الملوك قدرًا، وأبعدهم ذكرًا، وأسماهم فخرًا، وأبرعهم علمًا، وأبدعهم فهمًا، وأوسعهم حلمًا، وأعدلهم حكمًا، وأوفرهم حزمًا، وأصدقهم عزمًا، وأشرفهم سؤددًا، وأعذبهم موردًا، وأطيبهم محتدًا، وأكرمهم مولدًا، وأعظمهم نُبلًا، وأمتنهم عقلًا، وأزكاهم فرعًا وأصلًا، وأسعدهم جدًّا، وأرفعهم مجدًا، وأكثرهم رفدًا، وأغزرهم إحسانًا، وأعلاهم مكانًا، وأسمحهم كفًّا، وأقربهم عُرفًا، وأسخاهم نفسًا، وأشرفهم قنسًا، وأفضلهم سجيّةً، وأوفاهم ذمّةً، وأيمنهم نقيبةً، وأكبرهم حرمةً، وأشدّهم شكيمةً، وأمضاهم عزيمةً، وأطولهم باعًا، وأنورهم شعاعًا، وأوسعهم في الخير ذراعًا، وأكرمهم صباحًا، وأضوأهم مصباحًا، يزيد عليهم زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر، وليلة القدر على بقيّة الشهر، وهو المشهور بسادتهم، وواسطة قلادتهم، السلطان الأعظم، سيّد ملوك العرب والعجم، صاحب السيف والقلم، والبند والعلم، الملك السعيد، المالك الفريد، [32أ] أوحد الملوك بايزيد، سلطان البلاد الرّوميّة، والقلاع الإسلاميّة، مَن تزيّنت باسمه الشريف أعواد المنابر، وتعطّرت بذكره بطون الدفاتر، ونطقت بالثناء عليه ألسن الأقلام وأفواه المحابر، أسبغ الله عليه النعمتين الباطنة والظاهرة، وأورثه المُلكين مُلك الدنيا والآخرة، ولا زالت ربوع الملك بوجوده مأنوسةً، وثغور الإسلام بسطوته محميّةً محروسةً، وصحف محامده بألسنة الأنام متلوّةً مدروسةً، ولا برحت كلمة الإيمان به حسنة التدبير، والأمّة مجموعة الشمل بسلطانه جمع سلامة لا جمع تكسير، وكلمة الشرك وجموعه متفرّقة بشريف رأيه، والحقّ والباطل متصرّف بين أمره ونهيه، آمين آمين لا أرضى بثالثة حتّى أضيف إليها ألف آمينا.

وَلِي المملكة وهو في أوّل الكهولة في الأربعين، فاستقام له وبه الملك. أخبرني بعض الأعيان من أهل الرّوم أنّ السلطان محمّد، رحمه الله، لمّا ترعرع ولده السلطان بايزيد صاحب هذه الترجمة وظهرت له نجابته آثره على سائر ولده وأخذه بالأدب، فبانت براعته وذكت قريحته واشتُهر في الناس فضله. وكان يحضر مجالس أبيه وهو غلام ويشاهد مشورته ويُجيل في الرأي مع وزرائه بما يستبين لوالده صوابه ورجحانه [32ب] فيزداد به عجبًا هو ووزراؤه، فرشّحه للأمر فمدّوا إليه عيونهم وعلّقوا به آمالهم. فكان أبوه إذا غزا صحبه معه فيرى من يمن نقيبته، وسعادة حركاته، وشرف نفسه، وعلوّ همّته ما ازداد به اغتباطًا. فمن ثمّ أخذ السلطان بايزيد بالحظّ الأوفى من الأمور الملوكيّة والعُدد السلطانيّة والآلات الرئاسيّة فاصطنع الرجال، واقتنى الأموال، واكتسب الملابس الفاخرة، وارتبط الخيول السريّة.

ولمّا تحقّقت المملكة فيه، وخلعت على عطفيه رداء أبيه، وخفق علمه، وتمكّنت في مقام أبيه قدمه، ولبس رداء الملك، وحمل لواء الحمد، وقابله طالع السعد، وتوطّد ملكه، وانتظم سلكه، ووضعته المملكة في مفرقها، وأطلعته في مشرقها، فأظهر جمالها، وعطّر صَباها وشَمالها، واستضاع فائح ذكره، واستطار بارق فخره، وشهرت محاسنه على كلّ لسان، وسارت مكارمه مسير الشمس بكلّ مكان، لما سوّغ من كرمه، وأشيع من نعمه، ووطّأ للآملين من أكنافه، وهزّ إلى الراغبين من أعطافه، ورفرفت أجنحة الأهواء إليه، واهتزّت جوانح الآمال لديه، ولا غرو أن يُستمطر الغمام، وتُؤمّل الكرام، ويكثر في المورد العذب الزحام، مع ما خصّه الله به من علوّ الهمم، وسماحة الشيم، وانتظام أشتات الرئاسة، وكمال آلات السياسة، واجتماع المناقب التي أبرزته عن النظراء، وأعلته [33أ] عن مراتب الأكفاء، وألحقته بمناصب الخلفاء، نامت معه الرعيّة على مهاد العافية ملء طرفها، وجرت في ميدان الأمان ثانية من عطفها.

وقصده ذوو الآمال، من سائر الأعمال، وتزاحمت على بابه الطُلّاب، وحنّت إلى جنابه الركّاب، وصار ملكًا جليلًا، مهيبًا، عادلًا، سريًّا، سنيًّا، أبيًّا، بطلًا شجاعًا،

مقدامًا، غازيًا، مجاهدًا، مُؤيَّدًا، منصورًا، جوادًا، ممدّحًا، مرتاحًا للثناء، محسنًا، ليّن الجانب، مُوطَّأ الأكناف، خافض الجناح، حسن الأخلاق، شريف المناقب والمآثر، جمّ المكارم والمفاخر، كثير المحاسن، نفسه الشريفة مهذّبة بالمعارف، مكمّلة بالفضائل، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. جمع الله له بين الملك، والدين، والعلم، والطاعة، والخشية، والخوف من الله، والمراقبة، والخشوع، والوقار، والحلم، والتواضع، والهيبة، وجميل الأخلاق، وكرم السجايا، وعلوّ الهمّة، وبُعد الصيت، وأصالة الرأي، والعدل، وسياسة الملك، والنظر في المصالح، والبصر بالعواقب.

## فصل

وأمّا العلوم النقليّة والعقليّة، فقد ارتقى فيها إلى الرتبة العليّة. اشتغل بالعلوم، وتفنّن في المنطوق منها والمفهوم، وتميّز في المنثور والمنظوم، انفرد بذلك عن ملوك عصره، وأربى فيه على علماء مصره، سمع الحديث وقرأ في الفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، وعلوم الأدب. قال [33ب] الحافظ السخاويّ إنّه قد قرأ الهداية قراءة بحث، وقرأ المشارق للصغانيّ، وقرأ المواقف في أصول الدين، وقرأ المقامات للحريريّ، ونظم بالعربيّة والفارسيّة النظم الرائق، ونثر النثر الفائق[30]. وقال لي بعض فضلاء الرّوم إنّه ملازم قراءة شرعة الإسلام وقد شرحها[31] له بعض علماء الرّوم شرحًا حسنًا.

وإنّ السلطان المشار إليه حسن الفهم، بديع التصوّر، جيّد الحافظة، نظر في علم الفلك، وبرع في معرفة علم النجوم والرمل، وله عناية كبيرة بمطالعة كتب السير والأخبار والتواريخ، كثير التلاوة لكتاب الله تعالى، محافظٌ[32] على ذلك، ملازمٌ

(30) لم نهتدِ إلى هذه المعلومة في كتب الحافظ السخاويّ.
(31) في الأصل: شرحه.
(32) في الأصل: محافظًا.

له، ولم يشغله عن التزيّد من العلوم ومطالعة الكتب ممارسة الحروب برًّا وبحرًا، وجمعَ من كتب العلم ودفاتر الأخبار خزانةً.

ودولته أكثر الدول عُلماء فإنّهم أَنِسوا بمكانه، وخيّموا في ظلّ سلطانه، وانتقلوا إلى كنفه، وتسنّموا ذروةً من ذرى شرفه. واجتمع عنده من العلماء جملة وافرة، وجلبة ظاهرة، وهو في غاية التكريم لهم، والإحسان إليهم، والتعظيم لأعلام الناس، والتقريب لأهل الفضل، والتقديم لأهل العلم وذوي الفقه، والفهم، والأدب من كلّ طبقة، شديد الاختصاص بأهل الفضائل من العلماء، متفقّدًا لأحوالهم، مُحسنًا إليهم، شديد الاغتباط بمن يرد عليه منهم. هذا كلّه مع [34أ] مراعاة سياسة الملك، والقيام بأعباء المملكة، والنظر في أمور الرعيّة، قاصيها ودانيها، مع القيام بحفظ الثغور وتفقّدها، وبناء الجوامع، والمساجد، والمدارس، والعمارات، والرباطات، والخانات، والمعاقل، والحصون، والقلاع، والأبراج، وغير ذلك كما سيأتي بيانه.

## فصل في ذكر نبذة يسيرة من كرمه وسوابغ نعمه

أمّا الكرم فهو صفة لازمة له، قد حكّم الآمال في أمواله، واستعبد الأحرار بفعاله، وأوجب على نفسه الشريفة الراجية تحقيق آماله، مخلوق من طينة كريمة، مجبول على أحسن شيمة، ينابيع الجود تتفجّر من أنامله، وربيع السماحة يضحك من فواضله، غمائم كرمه تفيض، ومآثر جوده تستفيض، وحضرته الشريفة أعلى الله محلّها وأسبغ ظلّها، مطلع الجود، وموقع الوفود، وملقى الرجال، وقبلة الآمال، ومثابة المجد، وكعبة الملك، ومحطّ رِحل الكرم، ومبلغ غاية الهمم، وعرصة الفضل، وساحة العدل، ومفزع الشكر، ومصرع الفقر، وكعبة المحتاج، إن لم تكن كعبة الحاجّ، ومشعر الكرم، إن لم تكن مشعر الحرم، ومِنى الضيف، إن لم تكن مِنى الخَيف، وقبلة الصِّلات، إن لم تكن قبلة الصلاة، وأيّامه مواسم، وثغور بِرّه بواسم،

وعصره أجمل عصر، ومصره أحسن مصر، [34ب] تسفَح فيه دَيمة الكرم، ويفصح فيه لسان سيف وقلم، وناديه مرماة لأهل الأدب، وملاذ لذوي السؤال والطلب، ومطمح للهمم، ومسرح لآمال الأمم، تُزجى إليه الركائب، وتُرجى لديه الرغائب، تساوى في كرمه القريب والبعيد، والسادة والعبيد، وساحته الكريمة لا تخلو من طالب، ونفسه الشريفة لا تسأم من كثرة المواهب، فهو كما قال المتنبّي: [من الخفيف]

كُلّمـــا قيـــلَ قَـــدْ تنـــاهى أَرانـــا كَرمًـا مـا اهتـدَتْ إليـهِ الكِـرامُ[33]

وأمّا إحسانه وبِرّه بالخصوص لأهل الحرمين الشريفين، وسكّان المحلّين المنيفين، فأمر لم يُعهد مثله لملكٍ من ملوك الإسلام، فيما سلف من الدهور والأيّام، لم تزل صدقاته إليهم واصلة، وصلاته نحوهم متواصلة، وحسناته متضاعفة، ومبرّاته مترادفة، لا يخلون من ظلّ إنعامه، وغامر إحسانه، قد عَبّوا من بِرّه في مشارع تغزر ولا تنزر، ورَفلوا من طَوله في ملابس تطول ولا تقصر، فهم من جوده في ظلّ ظليل، وفضل جزيل، وريح بليل، ونسيم عليل، عمّهم بفضله وإحسانه، وغمرهم بجوده وامتنانه، وشملهم بفائض الإنعام، وزاد في إكرامهم على آبائه الكرام، واستوى في نواله الخاصّ والعامّ.

فإنّه لمّا أفضى الملك إليه، [35أ] وصار المُعوَّل في الأمور عليه، جعله الله باقيًا فيه وفي عقبه، ووصل سبب الخيرات بسببه. صرف همّته الشريفة إلى النظر في أوقاف سلفه إليهم، وفيما أضافه من صدقاته المضاعفة عليهم، راجيًا بذلك من الله جزيل الثواب، وعظيم الأجر والاحتساب. وصار يرسل إلى أهل الحرمين الشريفين في كلّ عامٍ مالًا جزيلًا يشترك فيه الخاصّ والعامّ، ويتناول منه أمراء الحرمين الشريفين ما جرت عادتهم به، ويختصّ العلماء، والقضاة، والنظّار، والفقهاء، ومشايخ الحرم الشريف النبويّ وخدّامه، وأرباب الوظائف بهما من

(33) ديوان أبي الطيّب المتنبّي 2/ 333.

الأئمّة، والخطباء، والمؤذّنين، والفرّاشين، والوقّادين، والبوّابين بجملة. ويعمّ معظم الناس من أهل السنّة والواردين والمجاورين من الغرباء، وزيادةً على ما يرسله من أوقافه وأوقاف آبائه ما رتّبه، بارك الله في حياته، من المرتّبات السنيّة بالمدينة الشريفة بالمسجد الشريف من قراءة قرآن، وحديث، ودروس على الأربعة مذاهب[34] في كلّ يوم، وقدّر على ذلك مرتّبات سنيّة تُحمل في كلّ سنة لأرباب الوظائف المذكورة. وفوق هذا مرتّبات حسنة من خالص ماله بأسماء الجماعة في غير عمل، لكلّ إنسان منهم نحو مائة دينار فما دونها تُحمل إليهم في كلّ سنة أيضًا. وجلّ اعتماد أهل الحرمين الشريفين الآن على ما [35ب] يصل إليهم من صدقاته وكريم صلاته بحيث ضعف ما يصل إليهم ممّا عدا بلاد الرّوم.

وصار وزراء السلطان المشار إليه، بارك الله في حياته، يسلكون جانبًا من طريقه في المعروف ويرتّبون وظائف قراءة القرآن بالمسجد الشريف النبويّ بمعلوم أيضًا يصل إلى أرباب الوظائف، والناس على دين مليكهم، فحصل لأهل الحرمين الشريفين بهذا المعروف غاية الرفق لا سيّما أهل المدينة الشريفة، ورغب أهلها وأولادهم بسبب ذلك في الاشتغال بالعلم طلبًا للاستزادة.

والسلطان المشار إليه، فسّح الله في حياته ولطّف به في حركاته وسكناته، في ازدياد من هذا المعروف، ومع ذلك فلا يزال أهل الحرمين الشريفين يقصدون جنابه، ويعتمدون بابه، ويصلون إلى حضرته الشريفة على وجه السؤال، والرغبة في النوال، فيكرمهم غاية الإكرام، ويجري عليهم الرزق إلى أن يعودوا إلى محلّهم مجبورين محبورين يبالغون في الدعاء، وينشرون عظيم الثناء، ويبتهلون إلى الله تعالى بدوام أيّامه، وإدامة إنعامه. ولم يزل يتفقّد العلماء والصلحاء النازحين عن بلاده من أهل الرّوم، والعجم، وغيرهم، ويرسل مبرّاته إلى معظم الجهات، فهو كما قال ابن الرّوميّ: [من الكامل]

(34) في الأصل: المذاهب.

كالشَّمسِ في كَبِدِ السَماءِ مَحلُّها وشُعاعُها في سائرِ الآفاقِ[35]

[36أ] وإسطنبول المحروسة سرير مُلكه، ومقرّ عزّه، وتخت سلطانه، وقاعدة مملكته، ومركز دولته، تخفق بها عليه الألوية، وتشرق منها الأندية، وتكفُّ الأمطار من راحته، وتشرُف الأقطار بحلول ساحته، ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه، ويَقْصُر النسر أن يقاربه أو يضاهيه. قد مهّد الله به البرَّيْن، وأفاض عدله على البحرَيْن.

اختار سُكناها لأنّها في نحر العدوّ، ولم تكن مدينة في بلاد الإسلام أعظم غَناءً ولا أشدّ نكايةً على الكفرة، ولا أجمع للمجاهدين والمرابطين منها. تُراوحها الفتوحات وتُغاديها، لا تزحف منها راية إلّا إلى فتح، ولا يصدر منها تدبير إلّا إلى نجح. ركنٌ للإسلام، ومأوى للضعيف، وملجأ للفقير، مَن دخلها حلّ في حصن حصين، وآوى إلى ربوة ذات قرار ومعين. وهي من صدور المدن وأمّهاتها، بل وجوهها المسفرة عن لثامها، تنافس الناسُ في النزول بأكنافها، والحلول بأطرافها، رغبةً في الدنوّ من صاحبها.

وصارت مجمعًا لمفترق العلوم، وميدان فرسان المنثور والمنظوم، ولكونها مدينةً كريمة البقعة، شريفة التربة، حسنة البناء، طيّبة الثراء، صحيحة الهواء، قليلة الأدواء، من أطيب البلاد هواءً، وأخفّها ماءً، وأغذاها تربةً، وأحسنها [36ب] بهجةً، وأصفاها جوًّا، وأخصبها أرضًا، نزهة الباطن والظاهر، والبرّ والبحر، مخصوصة بحسن ديباجة الوجوه والأجسام، وذكاء القرائح والأفهام.

وقد شرّفها الله تعالى أن أسكنها خلاصة الملوك، واسطة عِقد السلوك، وجعل أهلها من خيار الناس، يرجعون من العفّة، والأمانة، والشفقة، والرأفة، والرحمة، ودماثة الأخلاق، وحسن السيرة والمعاملة، وكثرة الخير، وقلّة الشرّ، وبذل

(35) ديوان ابن الرّوميّ 4/ 1666.

المعروف، وإعانة الملهوف، وسلامة النيّة والصدر، ومحبّة الغريب، وغير ذلك من المحاسن إلى ما يَفْضُلون به سائر الخلق. والناس على دين مليكهم، وفي الحديث: أعمالكم عُمّالكم وكما تكونون يُولّى عليكم[36]. وفي الآثار أنّ السلطان إذا حسُنَت نيّته صلَحت رعيّته[37]، وشاهده: إنّ في الجسد مضغةً، الحديث[38]. وصارت كلمة أهل الرّوم بالسلطان المنوّه باسمه مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، وأيديهم متواصلة، وأعداؤهم في حال ذلّة وخضوع.

## فصل في مبانيه السنيّة ومآثره العليّة

له من الآثار زيادةً على مآثر أسلافه، رحمهم الله تعالى، قرباتٌ جليلة وآثارٌ جميلة انتظمت في سلك حسناته، وعُدّت من كمال آياته، منها، وهو أعظمها، إجراء الماء العذب إلى إسطنبول من مسافة تزيد على [37أ] ستّة أيّامٍ فكثر بسبب ذلك فيها المنافع والسُبل. وحُسب ذلك في مناقبه ومآثره وحصل لأهل إسطنبول بذلك غاية الرفق والتوسّع في الماء ولو لم يكن له إلّا هذه الحسنة كيف وحسناته جمّة. وابتنى بها عمارةً عظيمةً في غاية الكبر ونهاية الحسن للواردين من الغرباء والمنقطعين، رتّب لهم بها المأكل والمشرب وجميع ما يُحتاج إليه. وبنى بها أيضًا مدرسةً جليلةً رتّب فيها جماعة من مشايخ العلم وطلبته أجرى عليهم أرزاقهم وكفايتهم. وبنى بها أيضًا دارًا للمسافرين إلى غير ذلك من المآثر، تقبّل الله منه.

ومن مآثره أيضًا أنّه بنى بمدينة بُرصا مسجدًا للجمعة ومدرسةً عظيمةً رتّب فيها جماعةً من طلبة العلم ورتّب لهم في كلّ يومٍ دينارين. وبنى بها أيضًا عمارةً

(36) المقاصد الحسنة 520، وهو حديث ضعيف.

(37) ثمّة رواية أُخرى لهذا القول هي: "(...) فإذا صلح الملك صلحت رعيّته". انظر طبقات المحدّثين 3/ 551.

(38) صحيح البخاريّ 1/ 90–91، ومتن الحديث: "الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مُشَبَّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمَن اتّقى المُشَبَّهات استبرأ لدينه وعِرضه، ومَن وقع في الشُبهات كراعٍ يرعى حول الحِمى يوشِك أن يُواقعَه، ألا وإنّ لكلّ ملك حِمًى، ألا إنّ حِمى الله في أرضه محارمُه، ألا وإنّ في الجسد مُضغةً، إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب".

برسم الوافدين والغرباء ورتّب لهم بها كفايتهم من المأكل والمشرب. وبنى بها أيضًا دارًا للشفاء، وهو المارستان، وقدّر به جميع ما يحتاج إليه الضعفاء. وبنى بها حمّامًا عظيمًا، وبنى بها خانًا كبيرًا متّسع السوح، شريف المنظر، حسن الترتيب، جيّد البناء، جعله ثلاث طبقات يصعد الماء إلى الطبقة العُليا منه ويتصرّف من هناك لمنافع السكّان. يشتمل هذا الخان على حجرات، ومخازن، ومرابط، وخارجُه دكاكين، وجعله وقفًا على مدرسته [37ب] التي أنشأها بأدرنة، وهي مدرسة عظيمة قدّر فيها مرتّبات جليلة للمدرّسين ومعاليم جيّدة لطلبة العلم فوق كفايتهم. وبنى أيضًا بأدرنة مسجدًا للجمعة في غاية الكبر والعظم، ونهاية الحسن، وكمال البهجة. وبنى بها أيضًا جسرًا عظيمًا محكم البناء على نهر تونجة. كلّ ذلك بالبناء المحكم الإتقان، وحسن المؤنة، وجميل الصنعة، وجودة العمل، وبهجة المنظر، الباطن والظاهر. جمع لذلك حذّاق الفعلة، وسخي بالآلات الرفيعة، وتحرّى في الأجرة من طيّب المال، وخالص الحلال، وإنصاف الصنّاع، وتفقُّدهم بالإحسان، وبالغ في إكرامهم. أخبرني بذلك بعض فضلاء الرّوم، حديث عهد بذلك إلى غير ذلك من القربات بأطراف البلاد لمصالح الثغور وحفظها، المعدود ذلك في صالح أعماله، وتوسّع في الإنفاق في فعل الخيرات، تقبّل الله منه وأعانه.

## فصل في ذكر جهاده ومرابطته وفتوحاته وما مُنحه في ذلك من جزيل الثواب

لمّا كان الجهاد سلطان الله على أهل العناد، وسطوته التي يمضيها في شرّ العباد، قام السلطان المشار إليه في ذلك أتمّ القيام، سالكًا طريق آبائه الكرام، راجيًا بذلك ثواب المجاهد، وفضل درجته على القاعد، قال الله تعالى: ﴿... **وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً**...﴾ [38أ][39]. وقال تعالى:

(39) سورة النساء: 95-96.

﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾[40]، ثمّ قال: ﴿... وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى...﴾[41]. ذكر فضل المجاهدين ووعد القاعدين الحسنى. وبهذا احتجّ من قال إنّ الجهاد فرض كفاية، وأمّا القائلون إنّه فرض عين فاحتجّوا[42] بقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً...﴾[43] الآية، ثمّ قال: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا...﴾[44]. لكنّهم حملوه على من لم يخرج من المدينة وكان يحرسها، وحراستها نوع من الجهاد.

ثمّ إنّ الأحاديث الواردة في فضل الجهاد كثيرة، وها أنا أذكر منها هنا ما يزيد على الثلاثين محذوفة الأسانيد إيثارًا للاختصار.

عن ابن عمر رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ فيما يحكي عن ربّه عزّ وجلّ قال: أيّما عبد من عبادي خرج مجاهدًا في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له إن أرجعته أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة، وإن قبضته غفرت له ورحمته. أخرجه النسائيّ[45].

وقال ﷺ: إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض[46].

وقال ﷺ: مقام أحدكم في سبيل الله ساعة من عمره خيرٌ من عمله عُمُرَه في أهله[47].

وقال ﷺ: من بلغ العدوّ بسهم رفعه الله تعالى به درجةً[48]. [38ب]

(40) سورة النساء: 95.
(41) سورة النساء: 95.
(42) في الأصل: احتجّوا.
(43) سورة التوبة: 41.
(44) سورة التوبة: 39. هذه الآية تسبق آية ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً...﴾ الآنفة الذكر في الجملة.
(45) انظر السنن الكبرى للنسائيّ 4/ 280.
(46) انظر مسند أحمد 14/ 143؛ وصحيح البخاريّ 4/ 408–409؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 27.
(47) انظر مسند أحمد 16/ 459؛ وسنن الترمذيّ 3/ 233؛ ومسند البزّار 15/ 105؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 270، بروايات مُختلفة.
(48) انظر مسند أحمد 29/ 605؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 288.

وقال ﷺ: جاهدوا في سبيل الله، فإنّ الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنّة يُنجّي اللهُ به من الهمّ والغمّ[49].

وقال ﷺ: يومٌ في سبيل الله خير من ألف يومٍ فيما سواه[50].

وقال ﷺ: من مات ولم يغزُ ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبةٍ من النفاق[51].

وقال ﷺ: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره القائم ليله حتّى يرجع متى يرجع[52].

وقال ﷺ: ما خالط قلبَ امرئ رَهَجٌ في سبيل الله إلّا حرّم الله عليه النار[53].

وقال ﷺ: مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم وتكفّل الله للمجاهد في سبيله أن يتوفّاه فيدخله الجنّة أو يرجعه سالمًا بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ[54].

وقال أبو هريرة: سُئل رسول الله ﷺ: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله ورسوله. قيل: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ الجهاد في سبيل الله. قيل: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ حجٌّ مبرور[55].

(49) انظر مسند أحمد 37/ 355.

(50) انظر مسند أحمد 1/ 513 و561؛ وسنن الترمذيّ 3/ 241؛ ومسند البزّار 2/ 63؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 300؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 66.

(51) انظر مسند أحمد 14/ 453؛ وصحيح مسلم 3/ 1517؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 269؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 82.

(52) انظر مسند أحمد 15/ 289 و406–407 و16/ 16 و59–60 و30/ 350؛ وصحيح مسلم 3/ 1498؛ وسنن الترمذيّ 3/ 216؛ ومسند البزّار 14/ 188؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 280؛ والمعجم الأوسط 8/ 333؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 265، بروايات مُختلفة.

(53) انظر مسند أحمد 41/ 100.

(54) انظر صحيح البخاريّ 4/ 407–408؛ ومسند البزّار 14/ 146؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 279.

(55) انظر مسند أحمد 13/ 33 و79؛ وصحيح البخاريّ 9/ 832؛ وصحيح مسلم 1/ 88؛ وسنن الترمذيّ 3/ 237؛ ومسند البزّار 14/ 181؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 7 و281؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 5/ 430 و9/ 264، بروايات مُختلفة.

وقال ﷺ: من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ حرّم الله على وجهه النار[56].

وسُئل ﷺ: أيّ الناس أفضل؟ فقال: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله[57].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلًا من أصحاب النبيّ ﷺ مرّ بشعب فيه [39أ] عين من ماء فأعجبه طيبه وحسنه، فقالوا: لو اعتزلت الناس وأقمت هنا. فقال: حتّى أستأمر رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له فقال: لا تفعل، فإنّ مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في أهله ستّون عامًا، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنّة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ وجبت له الجنّة[58].

وقال ﷺ: مقام الرجل في الصفّ في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجلٍ ستّين سنةً[59].

وقال ﷺ: إنّ لكلّ أمّة رهبانيّة، وإنّ رهبانيّة هذه الأمّة الجهاد في سبيل الله[60].

وجاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: علّمني عملًا يعدل الجهاد. قال: لا أجده، هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدًا فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: لا أستطيع ذاك[61].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: ائذن لي في السياحة. قال: إنّ سياحة أمّتي الجهاد في سبيل الله[62].

---

(56) انظر مسند أحمد 32/ 189؛ وسنن الترمذيّ 3/ 233 و237؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 287؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 286، برواياتٍ مُختلفة.

(57) انظر مسند أحمد 17/ 424 و18/ 351 و29/ 588؛ وصحيح البخاريّ 4/ 407؛ وصحيح مسلم 3/ 1503؛ وسنن الترمذيّ 3/ 238؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 273؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 267.

(58) انظر مسند أحمد 15/ 474 و16/ 458–459؛ وسنن الترمذيّ 3/ 233؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 270.

(59) انظر السنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 270.

(60) انظر مسند أحمد 21/ 317؛ ومسند البزّار 13/ 510.

(61) انظر مسند أحمد 14/ 218–219؛ وصحيح البخاريّ 4/ 407؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 280؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 265.

(62) انظر السنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 271.

وقال ﷺ: لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين على من ناوأهم حتّى يقاتل آخرهم المسيح الدجّال[63].

وقال ﷺ: لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنّم في جوف عبدٍ أبدًا[64].

وقال ﷺ: إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتَّت[65] [39ب] عنه خطاياه كما يتحاتّ عذق النخلة[66].

وقال ﷺ: غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البرّ، ومن أجاز البحر فكأنّما أجاز الأودية كلّها[67].

وقال ﷺ: من فاته الغزو معي فليغزُ في البحر[68].

وقال ﷺ: من لقي الله بغير أثرٍ من جهاد لقيه وفيه ثُلْمة[69].

وقال ﷺ: ما ترك قومٌ الجهاد إلّا عمّهم الله بالعذاب[70].

وقال ﷺ: من اغبرّت قدماه[71] في سبيل الله باعد الله منه النار مسيرة ألف عامٍ للراكب المستعجل[72].

وقال ﷺ: من جُرح جراحةً في سبيل الله ختم الله له بخاتم الشهداء[73].

(63) انظر مسند أحمد 28/ 62 و33/ 83 و125 و149؛ وصحيح مسلم 3/ 1524.

(64) انظر مسند أحمد 14/ 203 و15/ 433؛ ومسند البزّار 7/ 159 و15/ 33؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 275؛ والمعجم الأوسط 2/ 256 و7/ 75؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 9/ 271، بروايات مُختلفة.

(65) في الأصل: تحاتّ.

(66) انظر المعجم الأوسط 8/ 184.

(67) انظر المعجم الأوسط 3/ 280؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 4/ 547.

(68) انظر المعجم الأوسط 8/ 186، برواية مُختلفة.

(69) انظر سنن الترمذيّ 3/ 241.

(70) انظر المعجم الأوسط 4/ 148.

(71) في الأصل: قدمه.

(72) انظر مسند أحمد 45/ 494–495؛ وصحيح البخاريّ 2/ 418 و4/ 415؛ وسنن الترمذيّ 3/ 222؛ ومسند البزّار 1/ 76 و191 و2/ 41؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 4/ 276؛ والمعجم الأوسط 5/ 353؛ والسنن الكبرى للبيهقيّ 3/ 324 و9/ 274، بروايات مُختلفة.

(73) انظر مسند أحمد 45/ 495.

وقال ﷺ: عينان لا تمسّهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله[74].

وقال ﷺ: رباط يومٍ وليلةٍ خير من صيام شهرٍ وقيامه[75].

وقال ﷺ: كلّ ميتٍ يُختم على عمله إلّا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنّه ينمو عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر[76].

وقال ﷺ: من لقي العدوّ فصبر حتّى يُقتل أو يَغلِب لم يُفتن في قبره[77].

وقال ﷺ: الشهداء على بارق نهر بباب الجنّة في قبّة خضراء، يخرج إليهم رزقهم بكرةً وعشيًّا[78].

وعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه أنّ رجلًا جاء إلى الصلاة والنبيّ [40أ] ﷺ يصلّي بنا، فقال حين انتهى إلى الصفّ: اللهمّ آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين. فلمّا قضى النبيّ ﷺ الصلاة قال: من المتكلّم آنفًا؟ فقال: أنا. قال: إذن يُعقر جوادك وتستنّ به في سبيل الله[79].

وهذه الأحاديث الشريفة أخرجها البخاريّ ومُسلم في صحيحيهما، والإمام أحمد في مسنده، وكذا البزّار في مسنده، والطبرانيّ في الأوسط، والترمذيّ، والنسائيّ، والبيهقيّ، رحمهم الله.

إذا عُلم ذلك فأرجو أن يكون صاحب هذه الترجمة السلطان بايزيد المنوّه باسمه من الأمّة الذين يقاتلون على الحقّ ظاهرين على من ناوأهم كما في الحديث

(74) انظر سنن الترمذيّ 3/ 227؛ والمعجم الأوسط 6/ 56، بروايتَين مُختلفتَين.

(75) انظر مسند أحمد 11/ 234 و39/ 132 و138؛ وصحيح مسلم 3/ 1520؛ وسنن الترمذيّ 3/ 240؛ ومسند البزّار 6/ 492؛ والمعجم الأوسط 3/ 273 و4/ 226 و5/ 110.

(76) انظر مسند أحمد 39/ 374؛ وسنن الترمذيّ 3/ 217؛ ومسند البزّار 9/ 207.

(77) انظر المعجم الأوسط 4/ 252 و8/ 152، بروايتَين مُختلفتَين.

(78) انظر مسند أحمد 4/ 220؛ والمعجم الأوسط 1/ 45.

(79) انظر مسند البزّار 3/ 318؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 9/ 41.

الشريف، فإنّه جاهد لتكون كلمة الله هي العُليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وبذل نفسه النفيسة ليفوز بجوهر الآخرة لا العرض الأدنى. واستفرغ وسعه في الجهاد، واستئصال شأفة أهل العناد، ودوّخ أعداء الدين، وطائفة الملحدين، حتّى لاذوا بالفرار، وطاروا كلّ مطار، وما زال يطلبهم برًّا وبحرًا، ويجلب عليهم سهلًا ووعرًا، ويقسم بينهم الفتكات قتلًا وأسرًا.

وتوفيق الله تعالى يفتح له أبواب التدبير، وعنايته تيسّر له كلّ أمرٍ عسير، إلى أن قيّض الله له ببركة نيّته وعزائمه من الفتوحات السنيّة، ما أعزّته الملّة [40ب] المحمّديّة، فصارت عاقبة الإسلام به محفوظة، وحركاته وسكناته بعين الله ملحوظة، وفتح الله عليه من البلدان، ما يقصر عن ضبطه القلم واللسان. وما زال في سبيل الله يطأ موطئًا يغيظ الكفّار ذوي العناد، ويجاهدهم في الله عزّ وجلّ حقّ الجهاد، حتّى افتتح من المدن ما لا عهد بمثله للعاهد، ولم يبلغ إليه في وقته سلطان مجاهد. وكان الدين هناك غريبًا فردّه إلى وطنه، والفوز معروضًا فبذل نفسه الشريفة في ثمنه، وتوالت له فتوحات الحصون والقلاع في البرّ والبحر، وأعلى أمره بين الخلق من له الخلق والأمر. شكر الله سعيه على ما أباحه له من الفتح، وأتاح له من عظيم الأجر والمنح. وعضّد الإسلام بعزماته، وأسكن صدور الأعداء صدور مرهفاته، وأعزّ به الإسلام وصانه، وأذلّ به الشرك وأهانه. ولا زال نَور النصر باسْمِه الشريف باسمًا، ومنار الشرع بقائم سيفه قائمًا، ورایاته المنصورة مغناطيس البلاد، وسيوفه مفاتيح صياصي أهل الشرك والعناد، آمين آمين.

وأوّل ما افتتحه بعون الله وتأييده آق كرماني وكلي، سبق من أبيه السلطان محمّد، رحمه الله تعالى، محاصرته لهما فلم يتهيّأ له فتحهما، وادّخرهما الله تعالى لولده السلطان بايزيد، [41أ] أيّده الله تعالى، ورتّب فيهما الأجناد والأنجاد وجرت فيهما أحكام الشريعة المفترضة على العباد، زاد الله تعالى في اقتداره وجمّل الدنيا بمحاسن آثاره.

وافتتح أيضًا بندر ابن يختى بعد قتال حصل بين عسكره المنصور ومراكب الإفرنج[80] بالبحر، وتولّى الله تعالى نصر المؤمنين وإعزازهم، وقهر الكفّار وإذلالهم، وملّكه وبسط فيه العدل.

وقصد بندر قرون، فلمّا أظلّت عليه راياته المنشورة، وعساكره المنصورة، أُلقيَ من فيه بيده، وأنجز النصر الصادق[81] موعده، واستعاذوا بالأمان، واستسلموا لحكم الملك الديّان، وتسلّمه سَلَمًا بغير قتال، وسهلًا بغير نصال، ونزولًا على حكمه بغير نزال. وسار عنه بعد الفتح وسيوف الجهاد تهتزّ في أغمادها، وخيل الله تشتاق إلى طرادها، وأصبحت به كلمة الإسلام مجموعة، وكلمة الضلال مقموعة.

وافتتح أيضًا بندر أوارنة سَلَمًا بغير قتال فنكث بعد ذلك أهله وغدروا، وجحدوا بعد الاستسلام وكفروا، و﴿... **فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**...﴾[82]. فكرّ السلطان راجعًا إليهم وقد نكصوا على الأعقاب، وأولياء الله يدخلون عليهم من كلّ باب، فوطئهم وطأةً[83] محت رسومهم، واستباحت حريمهم، واجتاحت حديثهم وقديمهم، وقتل منهم نحو [41ب] ثمانمائة قتيل، وأذاقهم الله أشدّ التنكيل. وكانت تلك الرجعة قالعةً لجدرانهم، ماحيةً لآثارهم، مخمدةً لنارهم، مؤذنةً باستئصال شأفتهم وفتح ديارهم. وفُتحت عنوة وتولّى الله إعزاز دينه، وإذلال طواغيت الشرك وشياطينه، فالله يشكر سعيه الذي بلغ به من الشرك الثار، ووطئ المواطئ التي تُغيظ الكفّار.

ثمّ عزم بالنصر الربّانيّ، والعلم العثمانيّ، في أنصار الدين وجنوده، وأوليائه وعبيده، ومعه من عساكره من طال بيكاره، وقلّ مع المشقّة اعتذاره، وسلفت له في الجهاد أعمال وأعمار، وما ادّعى المسلمون له فضيلةً إلّا شهدها الكفّار، من كلّ حامي حقيقة ومدرك أوتار.

(80) في الأصل: الفرنج.
(81) في الأصل: صادق.
(82) سورة الفتح: 10.
(83) في الأصل: وطئة.

وساروا مهتدين بقمرهم الساري، وليثهم الضاري، إلى بندر متون، وكان أهله من النصارى قد شحنوه بالسلاح، وملؤوه بالسهام والصفاح، واستعدّوا للقتال والكفاح، ووعّروا مسالكه وحصّنوه، وحفظوا سوره ومكّنوه، فوصلتهم جنود الإسلام، ورايات النصر منشورة الأعلام، ونفروا إليهم خفافًا وثقالًا، وخرجوا للجهاد أرسانًا وأرسالًا. فنزل عليه السلطان وحاصره أزيد من شهر، ونصب عليه المدافع والمناجنيق، واستعان عليه باللطف والتوفيق، فوصل إلى أعداء الله مارّة [42أ] من النصارى فحالت عساكره المنصورة البحريّة دون وصولهم إليهم. ولم يزل مقيمًا على حصاره بأعوان الدين وأنصاره حتّى أنزل الله النصر على أوليائه فافتتحه عنوةً بغير أمان، وأطلق في قلعته النيران، وقتل مقاتليها وقرومها، وغيّرت النيران معالمها ورسومها. وكان هذا البندر من أعظم البنادر وأقواها بأسًا، وأشدّها مراسًا، وأهله من أكثر الناس عدّةً، وشدّةً ونجدةً، ولكن أذلّتهم عزمات السلطان بايزيد، وسكن رعبه قلب القريب منهم والبعيد. أخبرني من حضر هذا الفتح من المجاهدين أنّ النصارى رموا من قلعتهم مدفعًا بلغ إلى مطبخ السلطان، وبين ذلك مسيرة أربعة أميال وأكثر. قال: وكان الفتح في ليلة الجمعة، وعظمت بهذا الفتح البشائر، واهتزّت المنابر، وقُرّت به عيون المسلمين، وذلّت رقاب المشركين.

وممّا افتُتح في أيّامه السعيدة، بإشارته الحميدة، قلعة دراج على يد الأمير محمّد بن عيسى بك، وقلعة واتقة أيضًا على يد عليّ باشا أمير الأمراء، كلّ ذلك بسعده وسعيه، وبركة إشارته ورأيه.

وأصبحت هذه الممالك منتظمةً في سلك ملكه، تجري فيها شرائع الأحكام، وتعلو بها شعائر الإسلام، وصار السلطان، نصر الله به الدين، وأعزّ بحياته جماعة المسلمين، إذا ملك [42ب] حصنًا أو قلعةً ترك به جندًا من المسلمين يحفظونه ويتديّرونه، ويُرتّب فيه من المقاتلة وآلات الحرب ما يحفظه، وأنوف الكفرة راغمة. ومن دخل منهم في الإسلام أوسعه فضلًا وإحسانًا، ومن بذل الجزية أوسعه عدلًا

وأمانًا، وخضعت له رقاب ملوك النصرانيّة بحسن نيّته، وانتظم ملوكهم في سلك جنده ورعيّته. وصار يُحمل إليه خراج عشرة ملوك من ملوك النصارى، وطلبت منه ملوك الإفرنج[84] بني الأصفر الهدنة، وهادته ملوك الأطراف وعظمت هيبته في قلوبهم. أخبرني بعض علماء الأندلس الفارّين من فتنة ألفنش طاغية النصارى بها أنّ رُعب السلطان بايزيد وهيبته ملآ[85] قلوب النصارى بتلك البلاد، وأنّهم يخافون سطوته وصولته خوفًا شديدًا، أيّد الله الدين ببقائه، وأسكن رعبه في قلوب أعدائه.

وصارت فتوحاته قلائد الأيّام، وتواريخ الإسلام، يُحمل إلينا من طيب أخباره، وحسن آثاره، إلى الحرمين الشريفين ما يشنّف المسامع، ويقرّط آذان السامع، جمّل الله الدنيا بوجوده، وأفاض عليه من بحار كرمه وجوده، وأدام سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه، وأيّد حجّته وبرهانه، وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها، وأرجاء المملكة وأكنافها، وأثبت الملك [43أ] فيه وفي عقبه إلى يوم الدين، وحفظه في بنيه وبني بنيه الغُرّ الميامين.

## فصل في نبذةٍ يسيرةٍ من حسن سيرته وعدله وحلمه وسياسته وفضله

ونبدأ بما ورد من الأحاديث في فضل السلطان العادل. ثبت في الصحيح أنّ النبيّ ﷺ قال: الإمام العادل أحد الذين يظلّهم الله عزّ وجلّ في ظلّ عرشه[86] أي ظلّ رحمته.

وقال ﷺ: السلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه كلّ مظلوم من عباده[87].

(84) في الأصل: الفرنج.
(85) في الأصل: ملأت.
(86) انظر صحيح البخاريّ 1/ 322؛ وصحيح مسلم 2/ 715.
(87) انظر مسند البزّار 12/ 17.

وقال ﷺ: السلطان العادل المتواضع ظلّ الله ورمحه في الأرض[88]. ومعنى كونه ظلّ الله لأنّه يدفع الأذى عن الناس كما يدفع الظلّ أذى حرّ الشمس. ومعنى كونه رمحه فيه إرهابٌ للعدوّ ليرتدع عن قصد الرعيّة وأذاهم. والرمح عند العرب كناية عن الدفع والمنع. زاد في الرواية: يُرفع له عمل ستّين صدّيقًا. وزاد في أخرى: فإذا دخل أحدٌ بلدًا ليس به سلطان فلا يقيمنّ فيه. وفي رواية: فمن أكرمه أكرمه الله[89].

ورُوي: يومٌ من إمام عادل أفضل من عبادة الرجل ستّين سنةً[90]. والعادلون عند الله عزّ وجلّ على منابرَ من نورٍ[91]. وأحبّ الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسًا إمام عادلٌ[92].

وفي الصحيح عن النبيّ ﷺ أنّ السلطان العادل [43ب] لا تُردّ دعوته[93]. والدعاء للسلطان العادل متأكّد، قال بعض العارفين: لو كانت لي دعوة صالحة لدعوتها للإمام، فبصلاحه صلاحهم وبفساده فسادهم[94].

ويُروى أنّه ﷺ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي. فإن العباد أطاعوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن هم عصوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فاشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرّع إليّ أكفكم أمر ملوككم[95].

(88) انظر السنن الكبرى للبيهقيّ 8/ 281؛ والجامع الكبير للسيوطيّ 3/ 763.
(89) انظر الجامع الكبير للسيوطيّ 3/ 763.
(90) انظر السنن الكبرى للبيهقيّ 8/ 280.
(91) انظر صحيح مسلم 3/ 1458؛ والسنن الكبرى للنسائيّ 5/ 395.
(92) انظر سنن الترمذيّ 3/ 10.
(93) انظر مسند أحمد 15/ 451؛ وسنن الترمذيّ 4/ 253 و5/ 470، بروايتَين مُختلفتَين.
(94) انظر المقاصد الحسنة 689.
(95) انظر المعجم الأوسط 9/ 9، وهو حديث ضعيف.

وقال بعض السلف: ليس لله في الأرض سلطان إلّا وقد أخذ عليه شرائط العدل، ومواثيق الإنصاف، وشرائع الإحسان. وبالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد، وتنال الزلفى إلى الله تعالى والفوز بالجنّة[96].

إذا عُلم ذلك فالسلطان بايزيد المنوّه باسمه ممّن اشتُهر عدله في الآفاق، وعظمت به على الخلق نعمة الخلّاق. برز به الحقّ في أحسن ملابسه، ونجم به العدل في أزكى مغارسه. افتتح دولته بالعدل فامتدّت آمادها، وثبت بعون الله عمادها. جدّد للرعيّة سنن العدل والإنصاف، وأسبغ عليهم شآبيب الإسعاد والإسعاف، وبسط لهم بساط العدل، وردّ إليهم رياش الفضل. [44أ] وأنامهم في ظلّه، وشملهم برأفته وعدله، فصارت نفوسهم في ظلال السكون وادعة، وفي رياض الأمن راتعة، وأصبح الإسلام بدولته متّسع النطاق، والعدل ممدود الرواق، والمكان ساطع الإشراق. وحِمى الدين منيع، وجناب الملك مَريع، قائمًا في سرّه وعلانيته، بما يعود على رعيّته.

له عنايةٌ عظيمةٌ بعمارة الثغور، والذبّ عنها، وتفقّدها، والعناية التامّة بمصالح المسلمين، متصفّحًا للأعمال والعُمّال، يبعث من ثقاته إلى كور أعماله من يسأل الرعيّة عن سير عُمّالهم، ويخبرونه بحقائقهم فإذا بلغه عن أحدٍ حيفٌ أو جورٌ أسقطه أو عنّفه ظاهرًا وباطنًا، ناظرًا في تدبير المملكة، حريصًا على إنصاف الضعيف من القويّ والأخذ على يدِ الظالم، مؤثرًا للعدل في سائر أحواله، سديد المذهب في السير السلطانيّة، يرجع إلى نفس أمّارة بالخير، بعيدة عن الشرّ، مدلولة على سبيل البرّ، صليبًا في دين الله، شديدًا على أعداء الله، أبيًّا للضيم، ذائدًا عن السلطان، راغبًا في العمارة، مثابرًا على الجهاد، مشيعًا للعدل، مقسطًا في السيرة.

يذهب في عدله وحسن سيرته إلى اقتفاء آثار آبائه، ويزيد عليهم. ذا أناةٍ، وحلمٍ، ويقظةٍ، وتواضعٍ، عفيفًا عن سفك الدماء، متنزّهًا عن العقوبة إلّا في حدٍّ من

(96) انظر سراج الملوك 45.

حدود الله، فإنّه لا تأخذه في الله [44ب] لومة لائم أو فيما تقتضيه سياسة الملك وعزّة السلطان. ومع حِلمه ولين عَريكته نافذ العزمات، أليم السطوات، يصرّف رعيّته بين لين ميعاده، وخشونة إيعاده، ويريهم بروق حسامه، مشفوعًا ببروق إنعامه.

يمشي في السياسة بين رفق من غير ضعف، وشدّة من غير عنف، محسنًا إلى أولي السابقة في الدولة، وإلى الأجناد والأولياء مدرًّا لأرزاقهم وأعطياتهم، متخيّرًا للعمّال والكتّاب، منتقيًا لأهل الخدمة. تهابه ملوك بني الأصفر المجاورين له والنازحين عنه، ويلتمسون السلم منه في أغلب أحوالهم. وإذا سُلب أحد منهم ملكه أو طُلب بأوتار و﴿... **ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ...**﴾[97] قصدوه وتفيّؤوا ظلاله فيوسع مكانهم ويضاعف إحسانهم.

ومن مشهور عدله وحسن تواضعه أنّ سائر خطباء مملكته ينزلون عند الدعاء له درجةً عن محلّ الدعاء للنبيّ ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين تأدّبًا وتواضعًا، وناهيك بهذه المنقبة الجليلة التي لا تُفعل في غير مملكته من بلاد الإسلام. وهو الآن أعدل ملوك الإسلام على الإطلاق، وأحقّهم بالتقدّم في حلبة السباق، بصير بمواقع العدل، خبير بمواضع الفضل، ذو رأي لا يضعه إلّا موضع الإصابة، وتدبير [45أ] لا يصرفه إلّا في موضع السداد والأصالة. يعرف من مبادئ الأفعال، من خواتم الأعمال، ومن صدور الأمور، إعجاز ما في الصدور. يرى العواقب في مرآة فكره، وعقله، وبصيرته كأنّه ينظر إلى الغيب من وراء سترٍ رقيق، ويطالعه بعين الإلهام والتوفيق.

وحيث انتهى بنا الحال إلى هنا، فلنذكر قطعةً في حسن السياسة من كلام بعض السلف. قال بعض الحكماء: ينبغي للملك إذا صحّ له المُلك أن يحمد الله على تلك النعمة، ويضاعف الشكر، ويسأله أن تقيه في كمالها العين، ويُظهر العدل، ويكثر الصدقات، ويواسي ممّا أنعم الله عليه، ويكافي على الشكر، وليكن أهمّ

(97) سورة التوبة: 118.

الأمور إليه ذلك، ويطالع قصص الناس، ويتفقّد الحكّام، ويبثّ العيون لمتجدّدات الأخبار ليبني على ذلك، ويعطي نفسه من الراحة والنعمة بقدر ما أعطاه الله تعالى، ولا يجهدها في شيء قد وطّدته السعادة له، ويحرص على إظهار الشرائع وإقامة حدود الله، فإن أخلّ بشيء منها كان الناس له تبعًا فإنّ الناس على دين مليكهم.

والعدل قوام الملك وحافظ السلطان، وملاك ذلك كلّه تقوى الله ما استطاع في السرّ والعلانية. والعدل في الأحكام وتخيُّر الحكّام، وليتفقّد المراتب فبالمحافظة عليها تصلح أحوال الملك، فإن ارتفع من لم يصدر [45ب] منه سبب ارتفاع أنكر ذلك منه وأحدث تخاذلًا وتكاسلًا، وإن ضاع اجتهاد أحد قدح ذلك أيضًا في نشاط المجتهدين.

وليتفقّد جنده بالحركات والخروج بهم في كلّ وقت يحبّ فيه الخروج، وإن لم تكن حاجة إلى ذلك فإنّهم إن تركهم يخلُدون إلى الراحة تعوّدوا ذلك. وقد يحدث في ملكه ما يُحوج إلى بعثهم فيطلبهم بما تعوّدوا غيره لطول عهدهم بما يطالبهم به فيظهرون التكاسل عن أمره.

وليحافظ على حفظ ذوي الأحساب فإنّهم يحافظون على حفظ أصولهم، ومع ذلك فلا يردّ من ليس له حسبٌ فإنّه ليس له إلّا ذاته واجتهاده فقد يتّكل ذو الحسب على حسبه وما له من البيت والسؤدد. ومن ليس له ذلك ليس عنده ما يتّكل عليه فيجتهد في إظهار نفسه بما تبرزه له ذاته فيكون أصلح للخدمة وأكثر إظهارًا ومراعاةً.

وليتحفّظ من أن يكون كثير الولاية والعزل فشرّ مَن عُرف خيرٌ مِن خير مَن لم يُعرف.

وليتحفّظ كلَّ الحفظ من أن يحكّم شخصًا بَعُدَ صيتُه وعَظُمت شهرته في الرجال والأموال ثمّ يغفل عن تفقّد أحواله، فإنّه متى وجد الفرصة في أن يخطب موضعه لم يقصّر. وعلى ذلك جُبلت النفوس فإيّاك والخديعة التي لا تُقال آخر الدهر.

وينبغي للملك أن يضرب بين [46أ] خدّامه من حيث لا يشعرون ولا يتركهم متّفقين، فإنّه بذلك تعمى عليه أخبارهم وتُستر عنه مساوئهم.

وليحرص كلَّ الحرص على أن يتفقّد مُخلَّفي مَن قُتل في طاعته ويجعل الولد عوضًا عن والده، ففي ذلك صلاحٌ عظيمٌ وتقويةٌ للقلوب في محبّته.

وليتحفّظ من كثرة الكلام فيما لا ينبغي وليزنه وزنًا، فإنّ الأسماع لا تصغي إلّا إليه والألسن لا تُحيل إلّا عليه. وليُعطِ خدّامه وخواصّه من كلامه بقدرِ ما يتأنّسون به، ولا يقدح ذلك في آدابهم ويحملهم على الدالّة ويكيل من ذلك لكلّ أحدٍ بمقدار منزلته وما يحتمله عقله. وإن أعجبه شخصٌ واسترضى خدمته وأراد الإحسان له فليترك له موضعًا للرجاء ولا يبلِّغه الغايةَ، فإنّ ذلك مفسدة للجانبين.

وليتفقّد أصحابه فمتى كان فيهم ذو كسل وسوء أدب، أو ذو وقحةٍ وإقدام، أو كفر للنعمة وما أشبه ذلك فلينزعه من بينهم، فإنّه مفسدةٌ لهم يُخاف عليهم أن يكسبوا منه ما يبدّل حالهم.

وليتوسّط في أمر قبول السعايات، فإنّه إن أطاع السُّعاة من غير تثبّتٍ وعلمٍ بذلك هلك معه. وإن لم يوجد للسعاة سبيلًا في القول جَسُرَ عليه وأمن من جهته فدخل الخلل على إيالته[98].

وقال بعضهم: ينبغي للملك أن يصغي للسُّعاة، والمنافسين، والمعارضين [46ب] كما حُكيَ أنّه دخل على ملك من الملوك بعض أهل الدالّة عليه فوجده مطرقًا قد استولى الفكر عليه فقال: يا مولاي، لا تكثر التأسّف، والفكرة، والندم على ما لم يجنه إلّا أنت. قال: وكيف؟ قال: لأنّك لم تزل تجعل النصائح سعايات، والمنافسات محاسدات، والمعارضات غيبة. والمُلك متى خلا من هذه ولم يُوجد المُلْكُ سبيلًا إلى استمرارها فسد، وذلك أنّ الناصح إذا جُعل ساعيًا، وأُهين على ما رجا به الكرامةَ، ونُهي عن العودة، صان نفسه بالإضراب عن ذلك ولم يَعُد. وعلم

(98) لم نهتدِ إلى مصدر هذا النصّ.

الشخص الذي يُنصح في شأنه أنّه أمن فكثر استبداده وتأتّى له مراده وأنّ المنافس إذا ليم على منافسته في عُلويّ المراتب وجسيم المنازل، وصيّر ذلك منه حسدًا، وعُنّف عليه، ركدت ريحه، وخمدت ناره، وسقط بسقوطه أبّهة الدولة، وربّما لو ظهر أظهر ما يكون لها فيه أكبر نفع. وإنّ المُعارض إذا فُسح له فيمن يعارض غائبًا أو حاضرًا ظهرت بذلك للسلطان منافع، ووقع الاحتراز والتحفّظ، وجهد كلٌّ فيما يعارض به صاحبه ويشقّ به عليه، فإذا صُيّر ذلك غيبةً وكرهًا[99] من مبديه زهد فيه، ووقع التخاذل، وأراح نفسه من قوام الملك في أتعابها، وبطل الرجاء الذي به صلاح خدّام الملك[100]. [47أ]

قيل: وينبغي للملك أن لا يترك إضمار الخير والشرّ والمجازاة عليهما لأنّه إذا ترك ذلك اجتُرِئ عليه ونسب للضعف والغفلة. وهل رأيت أخسر صفقةً من ملك أحقده غيره فنسي ذلك، وعدوّه لا يغفل عنه، وحاسده لا يقنعه إلّا الراحة منه وهو في وادٍ آخر[101]، ولله درّ أبي الطيّب حيث قال: [من الطويل]

ووَضْـعُ النـدى في مَوْضـعِ السـيفِ بـالعُلا
مُضـرٌّ كوَضْـعِ السـيفِ في مَوْضـعِ النَّـدى[102]

وقال بعضهم: والأصوب أن يكون الرأي ميزانًا لا يزن الوافي لناقص، ولا يزن الناقص لوافٍ، ويدبّر أمره على ما اقتضاه الزمان وقدّر فيه حسن العاقبة[103].

وقال آخر: ينبغي للملك إذا كدح عنده كادح في أحدٍ بدون إقامة برهان أن يردّ قوله ولا يَبْلُغ عدوّ لديه في عدوّه تمامَ حيلة[104].

(99) في الأصل: كره.
(100) لم نهتدِ إلى مصدر هذا النصّ.
(101) ورد هذا القول في نفح الطيب 1/ 287.
(102) ديوان أبي الطيّب المتنبّي 1/ 307.
(103) ورد هذا القول في نفح الطيب 1/ 287.
(104) لم نهتدِ إلى مصدر هذا القول.

روينا في المجالسة للدينوريّ: حدّثنا محمّد بن موسى القطّان قال: حدّثنا عبد الله بن جعفر الرقّيّ قال: وشى واشٍ برجلٍ إلى الإسكندر فقال له: أتحبّ أن نقبل منك ما قلت فيه على أن نقبل منه ما قال فيك؟ فقال: لا. فقال له: فكفّ عن الشرّ يكفّ الشرّ عنك[105].

ورُفعت إلى الوزير فخر الملك قصّة سُعي فيها بهلاك شخصٍ فوقف عليها وكتب في ظهرها: السعاية قبيحة [47ب] وإن كانت صحيحةً، فإن أجريتها مجرى النصح فخُسرانك فيها أكثر من الربح، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوكٍ في مستورٍ، ولولا أنّك في خفارة شيبك لقابلناك بما يُشبه مقالك ونردع به أمثالك، فاكتم هذا العيب واتّقِ من يستر الغيب، والسلام[106].

وقد وقفت على رسالة بديعة كتبها طاهر بن الحسين الخزاعيّ إلى ابنه عبد الله لمّا ولّاه المأمون العبّاسيّ مصر جمع فيها كلّ ما يحتاج إليه الولاة من الآداب والسياسة، فرأيت سردها هنا لما اشتملت عليه، وهي هذه:

أمّا بعد، فعليك بتقوى الله ومراقبته وحفظ رعيّتك في الليل والنهار، فإنّ الله قد أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة والرحمة بمن استرعاك وألزمك الذبّ عنهم، والدفع عن حريمهم، والأخذ لضعيفهم من قويّهم، والحقن لدمائهم، والأمن لسُبلهم، وإدخال الراحة على قلوبهم. ففرّغ لذلك فهمك، وعقلك، وبصرك، ولا يَشغلك عنه شاغل. وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه بالمشاورة ثمّ قُم فيه بما يوافق كتاب الله وسنّة رسوله من تحليل وتحريم ولا تمِل عن العدل فيما أحببت أو كرهت.

وعليك بالاقتصاد في الأمور فإنّه داعية إلى الرشد، والرشد [48أ] دليل التوفيق. ولا تتّهمنّ أحدًا من الناس فيما تولّيه قبل أن تكشف أمره. وأحسن الظنّ بأصحابك

(105) المجالسة 3/ 514.

(106) انظر وفيات الأعيان 5/ 125–126.

يُعنْك ذلك على اصطناعهم. ولا يمنعك حسن الظنّ بهم عن البحث عنهم والمباشرة لأمورهم. وتفرّد بنفسك تفرُّدَ من يعلم أنّه مسؤول عمّا صنع، مأخوذ بما فرّط. وأقم الحدود في أصحاب الجرائم ولا تعطّل ذلك ولا تتهاون به. وإذا عاهدت عهدًا فأوفِ به، وإذا وعدت الخير فأنجزه. واقبل الحسنة وأعرض عن عيب كلّ ذي عيب من رعيّتك. ونزّه لسانك عن الكذب، وأقصِ أهل النميمة، وواسِ الضعفاء، وصلِ الرحمَ، واملك نفسك عند الغضب. وإيّاك أن تقول أنا مسلّط أفعل ما أشاء فإنّ ذلك سريع النقض.

واعلم أنّ الملك لله يؤتيه من يشاء من عباده وينزعه ممّن يشاء، ودع عنك شَرَهَ نفسك ولتكن ذخائرك عمارة البلاد وإصلاح الرعيّة.

واعلم أنّ الأموال إذا ادُّخرت في الخزائن لا تنمي وإذا صُرفت في عمارة البلاد وإصلاح الرعيّة نمَت وزكَت. وليكن كنز خزانتك تفريق الأموال في نصرة الإسلام وأهله، ووفّر منه على أولياء أمير المؤمنين فتلك حقوقهم. وأوف رعيّتك من ذلك حصصهم وتعهّد ما يُصلح أمورهم ومعايشهم. فإذا فعلت ذلك قَوَتِ النعمة عليك وكنت به على جباية خراجك [48ب] وجمع الأموال وعمارة البلاد أقدر.

واعرف للشاكرين شكرهم وأَثِبهم عليه، ولا تحقّرنّ ذنبًا، ولا تُمالينَّ حاسدًا، ولا تداهننَّ[107] عدوًّا، ولا تأتمننَّ غادرًا، ولا ترُدّنّ سائلًا، ولا تُخلفنَّ وعدًا. واستعمل نفسك بالحلم، وخُذ عن أهل التجارب، ولا تُدخلنّ في مشورتك أهل البخل. قال الله تعالى: ﴿... **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[108]. وتفقّد أمور الجند في دواوينهم وأدْرر عليهم أرزاقهم يُذهِب الله بذلك فاقتهم فيقوى لك أمرهم. وأقم منار الدين، وأَجْرِ السنن والشرائع على مجاريها، واشتدّ لأمر الله، وامضِ لإقامة الحدود، وتوقَّ العجلة، وإيّاك والضجر والقلق. وانتفع بتجربتك، وانتبه من غفلتك، وسدّد في

(107) في الأصل: تداهن.

(108) سورة الحشر: 9؛ وسورة التغابن: 16.

منطقك، وأنصف الخصم، وقفْ عند الشبهة، وأبلغ في الحجّة، وسلّط الحقّ على نفسك. ولا تُسرِعنّ في سفكِ دمٍ فإنّ الدماء من الله بمكان عظيم. وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعيّة وجعله الله للإسلام عزًّا ورفعةً، ولأهله توسعةً ومنعةً، ولعدوّه وعدوّهم كبتًا وغيظًا، فوزّعه بين أربابه بالحقّ ولا ترفعنّ منه شيئًا عن شريفٍ لشرفه، ولا عن غنيٍّ لغَنائه، ولا عن كاتبٍ لك، ولا عن أحدٍ من خاصّتك وحاشيتك، ولا تأخذ منه فوق الاحتمال [49أ] له، ولا تُكلّف أمرًا فيه شططٌ[109].

واعلم أنّك جُعلت بولايتك خازنًا، وحافظًا، وراعيًا، وإنّما سُمّي أهل عملك رعيّتك لأنّك راعيهم وقيّمهم، تأخذ ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتُنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أَوْدِهم فاستوصِ بهم خيرًا. وولِّ عليهم ذوي الرأي، والتدبير، والتجربة، والخبرة بالعمل، والعلم بالسياسة، والعفاف، ووسّع عليهم في الرزق فإنّ ذلك من الحقوق اللازمة لك. فإنّك متى قمت في أمرهم بالواجب استدعيت زيادة النعمة من ربّك، وفَشَت العمارة في بلدك، وظهر الخصب في كُوَرك، وكثر خراجك وتوفّرت أموالك، وقويتَ بذلك على ارتباط جندك، وكنت محمود السيرة، مرضيّ العدل، فنافس في هذا ولا تقدّم عليه شيئًا تحمد عاقبة أمرك. واجعل في كلّ ولاية لك أمينًا يُخبرك بخبر عُمّالك ويكتب إليك بسيرهم حتّى كأنّك مع كلّ عاملٍ في عمله مُعاينٌ لأموره كلّها. وإذا أردت أن تأمرهم بأمرٍ فانظر في عواقبه، فإن رأيت السلامة والعافية فيه فأمضه وإلّا فتوقّف عنه وراجع أهل البصيرة والعلم به فإنّه ربّما نظر الرجل في أمره قد واتاه على ما يهوى فأعجبه وأغواه، فإن لم ينظر في عواقبه أهلكه. فاستعمل الحزم في كلّ ما أردت وباشره بعون الله وبالقوّة، وافرغ من عمل يومك [49ب] ولا تؤخّره لغدك، وأكثر مباشرته بنفسك فإنّ لغدٍ أمورًا وحوادثَ[110] تلهيك عن عمل يومك.

(109) في الأصل: شططًا.

(110) في الأصل: حوادثًا.

واعلم أنّ اليوم إذا مضى ذهب بما فيه، وإذا أخّرتَ عملَه اجتمع عليك ليومٍ عملُ يومين فيثقلك ذلك حتّى تعيا به. وإذا أمضيت لكلّ يومٍ عمله أرحت نفسك بذلك وأكملت أمور سلطانك. وانظر أحرار الناس وذوي السنّ منهم ممّن تستيقن صفاء طويّتهم وتشهد بمناصحتهم فأحسن إليهم. وتعاهد أهل البيوتات ممّن دخلت عليه الخَلّة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتّى لا يجدون لخَلّتهم مسًّا. وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على دفع مظلمةٍ إليك. والمحتقَر الذي لا علم له بطلب حقّه فسل عنه أوكد مسألة، ووكّل بأمثاله أهل الصلاح من رعيّتك، ومُرهم برفع حوائجهم ووسائلهم إليك لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم. وتعاهد ذوي البأساء ويتاماهم وأراملهم واجعل لهم أرزاقًا من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين، أعزّه الله تعالى، في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله لهم أسباب معيشتهم ويرزقك الله بركة دعائهم. وأجرِ على الأمراء من بيت المال وقدِّم حَمَلة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجرائد على غيرهم. واعمُر لمرضى المسلمين دُورًا تأويهم، وقُوّامًا [50أ] يرفقون بهم، وأطبّاء يعالجون أسقامهم، ومتّعهم بشهواتهم ما لم يؤدِّ إلى سَرف أو تلَف.

واعلم أنّ الناس إذا أُعطوا حقوقهم وأفضل أمانيهم لم يُرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى وُلاتهم طمعًا في الزيادة. وربّما تبرّم المتصفّح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذهنه، وليس من يرغب في العدل، ويعرف محاسن الأمور في العاجل، وفضل الثواب في الآجل كالذي يستثقل ما يقرّبه إلى الله تعالى. وأكثِر الإذنَ عليك للناس، وأبرِز لهم وجهك، وأوصِ بهم حُجّابك، واخفض لهم جناحك، وأظهر لهم بشرك، ولِنْ لهم في المنطق، واعطف عليهم بجودك. وإذا أعطيت فأعطِ بطيبِ نفسٍ من غير تكدير ولا امتنان، فإنّ العطيّة على ذلك تجارة مُربحة. واعتبر بما ترى من أمور الدنيا وبمن مضى قبلك من أهل السلطان والرئاسة في القرون الخالية، ثمّ اعتصم في أحوالك بحول الله وقوّته، وارغب إليه في محبّته

والعمل بكتابه وشريعته. واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى غضب الله وسخطه، وابحث عمّا يجمعه لك عُمّالك من الأموال وفيما ينفقوه. فاجتهد أن لا تجمع حرامًا ولا تنفق إسرافًا، وأكثر مُجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم، وليكن [50ب] أعظم مرادك إيثار مكارم الأمور ومعاليها، وليكن أعزّ خُلطائك وخاصّتك عليك مَن إذا رأى عيبًا فيك لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سرٍّ، فإنّ أولئك أنصح أوليائك. وانظر عُمّالك الذين بحضرتك وكُتّابك، فوقِّت لكلّ رجلٍ منهم وقتًا يدخل عليك فيه بما عنده من حوائج جُندك ومصالح رعيّتك، ثمّ فرّغ لما يورده عليك سمعك، وبصرك، وفهمك، وعقلك، وكرّر النظر فيما يقوله والتدبّر له، فما كان موافقًا للحقّ والجزم فأمضه، وما كان مخالفًا لذلك فاصرفه إلى التثبّت فيه والمسألة عنه. ولا تهن على رعيّتك، ولا تستعمل المزح مع أحدٍ منهم، وأقلل من الضحك في مجالس الأمر والنهي، ولا تمنن عليهم ولا على غيرهم بمعروفٍ أسديته إليهم، ولا تقبل من أحد إلّا الوفاء، والاستقامة، والمناصحة لأمير المؤمنين، ولا تضعنَّ المعروف إلّا على ذلك. فتفهّم كتابي إليك، وأكثر النظر فيه والعمل به، واستعن بالله على جميع أمورك، ولتكن أحسن سيرتك وأفضل رغبتك فيما كان لله فيه رضًى، ولدينه نظامًا، ولأهله عزًّا، وللملّة والذمّة عدلًا وإصلاحًا، وأنا أسأل الله أن يحسن عونك، وتوفيقك، ورشدك، وكلاءتك، والسلام. [51أ]

قال: ولمّا شاع بين الناس ذكر هذا الكتاب تنازعوه وكتبوه ودرسوه واشتُهر أمره حتّى وصل خبره إلى المأمون، فأرسل إلى عبد الله بن طاهر مَن أتاه بنسخة الأصل. فلمّا وقف عليه وفهم معانيه قال: ما ترك أبو الطيّب، وبها كان يُكنّى طاهر بن الحسين، شيئًا من أمور الدنيا، والدين، والرأي، والسياسة، وإصلاح المُلك، والسلطان، وحفظ الرعيّة، وتقويم الخلافة إلّا وقد أوصى به. وأمر أن تُكتب نسخته إلى سائر أعماله وعُمّاله فكُتبت وسُيّرت إليهم[111]، انتهى.

(111) انظر كتاب بغداد 26–34؛ والكامل في التاريخ 5/ 517–527.

وقد تغلغل بنا الكلام إلى هذه الغاية، واسترسل بنا اتّصاله إلى حدّ النهاية، ولنرجع إلى ذكر شرف السلطان، حَسَنة الزمان، فأقول: رأيتُ في الليلة التي عزمت في صبيحتها على جمع مناقبه الشريفة كأنّي واقف على حافّة[112] نهرٍ ماؤه في غاية الصفاء، فتجرّدت عن ثيابي وسبحت فيه فإذا هو قد تحوّل بحرًا زاخرًا لا يُدرك طرفه تتلاطم أمواجه. فلا زلت أتلطّف في الخروج منه حتّى خرجت ووقفت مفكّرًا فخطر لي في تلك الحالة أنّ الأمر الذي عزمت عليه لا أطيق الخروج من عهدته. وعبّرتُ رؤياي أنّ وصفي لا يبلغ عشر معشار ما انطوى عليه هذا السلطان الذي يقصّر عن كنه وصفه القلم واللسان، ويعجز عن إدراك محاسنه [51ب] الإيضاح والبيان، لكنّي أتيت بهذه اللمعة اليسيرة، والنبذة الحقيرة، مع اعترافي بالعجز عن إدراك وصفه الأسنى، وشمائله الحسنى. واعترافي شاهد لصحّة رؤياي إذ كانت الرؤيا الصادقة جزءًا[113] من ستّة وأربعين جزءًا من النبوّة كما في الصحيح[114].

وأصل ذلك ما ذكر العلماء أنّه ﷺ أقام بعد البعثة ثلاثًا وعشرين سنةً، منها ستّة أشهر كان يرى الرؤيا فتأتي كفلق الصبح ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إليه. وإذا نسبت ستّة أشهر إلى ثلاث وعشرين سنةً كانت جزءًا من ستّة وأربعين[115].

## فائدة

قال القاضي عضد الدين في المواقف: وأمّا الرؤيا فخيال باطل. قال تلميذه السيّد نور الدين بن عفيف الدين الإيجيّ: هذا الكلام كفر لأنّ الرؤيا الصادقة جزء من ستّة وأربعين جزءًا من النبوّة كما صحّ في الحديث، وإذا نفى الحقيقة عن الجزء انتفى عن الكلّ. وقال التقيّ الكرمانيّ: ليس مقصود العضد من ذلك القول ما فهم

(112) في الأصل: حفّة.

(113) في الأصل: جزء.

(114) انظر صحيح البخاريّ 9/ 650؛ وصحيح مسلم 4/ 1774.

(115) انظر المنهاج 15/ 21؛ وفتح الباري 12/ 364.

هذا، بل مقصوده أن يبيّن أنّ معنى الرؤيا ليس أمرًا خارجيًّا بل أمرًا خياليًّا لا بروز له في الخارج[116]، انتهى.

ومناقب السلطان المنوّه باسمه الشريف أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر. وليس القصد كما تقدّم في صدر هذا الكتاب استيفاء محاسنه، واستخراج الدرّ من معادنه، والإعلام [52أ] بما انطوت عليه ذاته الشريفة التي هو أعلم بها إذ هو تحصيل الحاصل، لكن لمّا كانت الهديّة من السنّة المندوب إليها لقوله ﷺ: نعم الهديّة كلمة حكمةٍ تسمعها ثمّ تحملها إلى أخٍ لك مسلمٍ فتعلّمها إيّاه[117]. وفي حديث آخر: ما أهدى المرء إلى أخيه هديّةً أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هُدًى أو يردّ بها عنه ردًى[118]. وقد أهدى النبيّ ﷺ واستهدى وأُهدي إليه. وكانت الهديّة أيضًا تزرع الحبّ وتضاعفه، وتعضد الشكر وتساعفه، أهديت لحضرته الشريفة هذه الحديقة الباسقة، والروضة الفائقة، وأودعتها من المحاسن ما حَسُن موقعه، وعَذُب مشرعه، ولَطُف مأخذه ومنزعه، وشُفّ أدبه، وشَرُف منصبه، لعلمي أنّه مُغرمٌ بالعلوم والأخبار، ومشغوف بالسير القديمة والآثار، وهي وإن كانت حقيرةً في جنب علومه، وصغيرةً في كبير مَعلومه، فستره الضافي يسترها، وعفوه الوافي يغفرها. وإليه الرغبة في قبول العمل، وتحقيق الأمل، والهديّة على مقدار الهادي، والسيل على قدر الوادي، مع علمي أنّ خزائن السلطان طافحة بأحسن من ذلك، وأشرف ممّا هنالك.

يُحكى عن خرشيد الأصبهند صاحب طبرستان أنّ رجلًا أهدى [52ب] إليه ديكًا من ذهبٍ عيناه ياقوتتان حمراوان فأكرمه وقبل هديّته، فكان الرجل يكثر أن يقول: حملت إلى الملك شيئًا ليس عند أحدٍ من الخلق. فانتهى الخبر إلى الأصبهند فأمر من الغد بنصب سماطَيْن وأحضر أصحابه وأحضر الرجل وأمر أن لا

(116) انظر التبر المسبوك 3/ 132.

(117) انظر المعجم الكبير 12/ 43، والحديث ضعيف الإسناد.

(118) انظر شعب الإيمان 3/ 264، وهو حديث ضعيف.

يُخرَج يومَه ذلك من الجابيات إلّا ديَكةٌ مكلَّلةٌ بالجواهر، ودفع لكلِّ رجلٍ من السماطَيْن ديكًا من الديَكة التي أُخرجت من الخزائن. فبُهِتَ الرجل ممّا رأى وفطن أنّه إنّما عرّض به لما كان يكثر من قوله، فقام وقال: أيّها الملك، أخطأت فأقلني، فأمر له بصلةٍ جزيلة[119].

وقريب من ذلك ما يُحكى أنّ كسرى أبرويز أرسل إلى النعمان بن المنذر يخطب ابنته لما وُصفت له بالجمال والأدب، فقال النعمان: ما يصنع الملك بنسائنا وأين هو عن مها السواد؟ فبلغ كسرى كلامه فقال: رُبَّ عَبدٍ قد صار من الطغيان إلى أكثر من هذا. فلمّا بلغ النعمان فرّ بنفسه يتنقّل عند العرب ثمّ مشى إلى كسرى ليرى فيه رأيه، فأقبل حتّى أتى المدائن فصفّ له كسرى ثمانية آلاف جارية عليهنّ المُصبَّغات صَفّين. فلمّا كان النعمان بينهنّ قلن له: أما فينا للملك غنًى عن مها السواد؟ فعلم النعمان أنّه غير ناجٍ ثمّ أمر [53أ] به فأُلقي بين أرجل الفيَلة فتواطأته فمات[120].

والأصل في ذلك أنّه لمّا أرسلت بلقيس هديّتها إلى سُليمان ﷺ كان في جملتها أربع لَبِنات ذهب فجاءه الهدهد مسرعًا فأخبره، فأمر الجنّ أن يضربوا لَبِنات الذهب والفضّة ففعلوا. ثمّ أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانًا واحدًا بلَبِنات الذهب والفضّة. ثمّ أقاموا الدوابّ على يمين الميدان ويساره على لَبِنات الذهب والفضّة وألقوا عليها علوفاتها. فلمّا دنا القوم من الميدان نظروا الدوابّ تروث على لَبِنات الذهب والفضّة، فقاصرت إليهم أنفسهم واحتقروا ما معهم ورموا بالهدايا[121].

وهذا كلّه استطراد لمناسبة الكلام وما يليق بالمقام، والعذر في إهداء الحقير إلى الخطير، ومقابلة الجليل بالقليل، والله سبحانه وتعالى وليّ المكافاة.

(119) انظر الروض المعطار 384–385.

(120) انظر المصدر نفسه 298.

(121) انظر تفسير الثعلبيّ 20/ 250–251.

## فصل في ذكر مَوالينا أولاده صفوة الملوك، ودرر السلوك، وخُلاصة الذهب المسبوك، أعلام الهدى، ومصابيح الدجى

توالدوا في بحبوحة المملكة وحجرها، وارتضعوا أفاويق درّها، ونشؤوا ثواقب زهرها، تنظر إليهم المملكة عن حَوَر، وتسفر منهم الحضرة عن غُرَر، استكرم لهم أشرف المغارس، [53ب] وتخيّر المفارش النفائس، وارتاد لهم من المنابت أزكاها، ومن المعادن أطيبها وأغذاها، فارتضعوا ثدي المجد والسيادة، ونشأوا في حجر المكارم والسعادة، من شجرةٍ طاب عودها، واعتدل عمودها، وتفيّأت ظلالها، وتهدّلت ثمارها. حازوا شرف الأبوّة، وكرم الأرومة، وجمعوا إلى عزّ النصاب، مزيّة الآداب، وإلى شرف الأخلاق، كرم الأعراق، وتناولوا المجد كابرًا عن كابرٍ، ونسقوا المُلك نسق الجواهر، وأخذوا الفخر بين الأسرّة والمنابر، لا ينغمسون إلّا في مكرمة، ولا يُنسبون إلّا لما فيه مأثرة. انتقلوا من متون الجياد، إلى ذروة الأعواد، وأقلعوا عن الدراسة، إلى تدبير السياسة، إن ركبوا خلتَ الأرض فلكًا يحمل نجومًا، وإن وهبوا رأيتَ الغمام سَجومًا. ورثوا المُلك لا عن كلالة، وظفروا بالهُدى لا عن ضلالة، يروون المكارم مرفوعة العماد، والمفاخر موصولة الإسناد بالإسناد، ولا غرو أن يجري الجواد على عرقه، وتلوح مخائل الليث على شبله في خُلُقِهِ وخَلْقِهِ، والولد سرّ أبيه في نُبله وفضله، ومرجع كلّ شيء في الحقيقة إلى أصله، وقد قلت مضمّنًا: [54أ] [من الطويل]

ملوكُ بني عُثمانَ مُذْ كانَ أصلُهُمْ ... كِرامٌ لَهُم في المكرماتِ مَفاخرُ
إذا وُلِدَ المولودُ مِنْهُمْ تَهلَّلَتْ ... لَهُ الأرضُ واهتزَّتْ إليهِ المَنابرُ[122]

(122) الشاعر مجهول. انظر رحلة الشتاء والصيف 151.

لمّا بلغت هممهم العليّة إلى أعلى الغايات، وسمت بهم نفوسهم الأبيّة إلى أسنى المقامات، أنعم عليهم والدهم بالولايات الكبار، وجعل إليهم الإيراد والإصدار، ونظمهم في سلك الملوك، وجعلهم وسائط عقود السلوك، وحفظ بهم ثغور الإسلام، والممالك الجليلة الجسام: [من الطويل]

وهَلْ يُنْبِتُ الخَطّيَّ إلّا وَشيجُهُ وتُغرَسُ إلّا في مَنابِتِها النخلُ[123]

فجعل لولده السلطان أحمد، وهو أكبر أولاده وأقربهم من شريف ميلاده، أماسية بمملكة كردة[124] وما والاها، ولولده السلطان جاهنشاه، نخبة الملك ورضيع لبانه، ومالك زمامه وعنانه، قونية من مملكة قرمان وأعمالها، ولولده السلطان فرقود، فرع دوحة المملكة الشامخة، وراقي درجة السيادة الباذخة، اللاذقيّة بمملكة منتشة، ولولده السلطان سليم شاه، صفوة النسب الجليل، وصريح الملك الأثيل، طرابزون وأعمالها، ولولده السلطان محمود، سلالة ملوك الزمان، وخلاصة ملوك [54ب] بني عثمان، مغنيسيا[125] بمملكة سرحان، ولولده السلطان محمّد، وهو أصغرهم سنًّا، قرّة عين الملك والسيادة، وغصن دوحة المجد والسعادة، مملكة كفة. أعزّ الله بوجودهم الإسلام، وأدامهم زهرة الليالي والأيّام، وكلّهم ملوك أجواد، وسادات أمجاد أنجاد، ساروا على جادّة أبيهم في الشجاعة والكرم، وحسن الأخلاق وجميل الشيم: [من البسيط]

مَنْ تَلْقَ مِنهم تَقُلْ لاقيتُ سَيّدَهُمْ
مثلَ النجومِ التي يُهدَى بِها الساري[126]

(123) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى 115.
(124) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب كرمة.
(125) في الأصل: مغنيسياه.
(126) البيت لعبيد بن العرندس الكلابيّ في الكامل 1/ 67–68، وللعرندس الكلابيّ في معجم الشعراء 306، وبلا نسبة في ديوان المعاني 1/ 156.

أسبغ الله عليهم النعمة، وجعل بينهم مودّةً ورحمةً، وألّف بين قلوبهم، وبلّغهم من السعادة غاية مطلوبهم، وأعزّهم بحياة والدهم، ومتّعهم بطريفهم وتالدهم. وله أيضًا أولاد كرام نُجباء، رحى الفضل عليهم تدور، ويد العُلا إليهم تشير، شهب المجد، ومنار الحمد، أمتعهم الله ببقائه، وبلّغهم مبالغه ومبالغ أيّامه، آمين.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما وقفت عليه من مناقب السلطان بايزيد، ومآثره، ومحاسنه، ومفاخره، وشريف أيّامه، أدامها الله تعالى، وعلومه، وكرمه، وحلمه، وعدله، وسياسته، وجهاده، وفتوحاته، وصدقاته، وقرباته، وصفاته، ونعوته على سبيل الاختصار: [من البسيط]

وما تناهَيتُ في بثّي مَحاسنَهُ إلّا وأكثرُ ممّا قلتُ ما أدَعُ[127]

وكذا ذكرت من مآثر آبائه، وأيّامهم، وعظيم غَنائهم في الإسلام، وكرمهم، وسيرهم ممّا تشهد به لهم مآثرهم وشريف أخبارهم. [55أ]

ولنذكر الآن نبذةً لطيفةً من أخبار ملوك الرّوم الماضين وتميّزهم بالفضل على من عداهم من سائر الملوك مُؤثرًا جانب الاختصار إذ ليس هذا موضع إرسال العنان، ولكن نُلمع بما يقوم مقام العنوان، ونُردف ذلك بذكر شيء من خبر القسطنطينيّة وغيرها من مدن الرّوم إذ المناسبة مطلوبة، وبالله أستعين.

(127) الشاعر مجهول. انظر نصرة الثائر 63.

## الباب الثاني

# في ذكر طرف من أخبار ملوك الرّوم

لمّا كان وضع هذا الديوان مختصًّا بذكر ملوك بني عثمان، من تحلّى بهم جيد الزمان، وسارت بطيب أخبارهم الركبان، رأيت أن أصله بذكر بعض ملوك الرّوم ومحاسن أخبارهم. ونبدأ بذكر الإسكندر ذي القرنين بتركابه إذ هو من أجلّ ملوك الدنيا وأعظم ملوك الرّوم.

ذكر أهل الأخبار أنّ ملوك الرّوم كانوا في الدهر الأوّل يؤدّون إتاوةً إلى ملوك فارس وكانت الإتاوة التي يؤدّونها إلى ملك الفرس بيضة من ذهب. فلمّا ملك الإسكندر، وكان رجلًا ذا عزيمة وحزم وقوّة ومكر، غزا ملوك الرّوم فاستجمع له ملك الرّوم، ثمّ غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم وآنس بذلك من نفسه القوّة فاستعصى على دارا وامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج والإتاوة. فكتب [55ب] إليه دارا يقتضيه الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملوك الرّوم، فأجابه الإسكندر بأنّي ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض تلك البيضة وأكلت لحمها. فأسخط ذلك عليه دارا فكتب إليه يؤذنه بسوء صنيعه في امتناعه عن حمل الخراج إليه، وبعث إليه بصَولجان وكُرة وقفيزي[1] سمسم وأعلمه فيما كتب إليه أنّه صبيٌّ، وأنّه إنّما ينبغي أن يلعب بالصَّولجان والكُرة التي بعث بهما إليه، ولا يتقلّد الملك ولا يتلبّس به، وأنّه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك وتعاطى المُلك والاستعصاء عليه نفذ إليه من يأتي به إليه في وثاقٍ، وأنّ عدد جنوده بعدد السمسم الذي بعث به إليه. فبعث إليه الإسكندر في جوابه أن قد فهم ما كتب وأنّه قد نظر إلى

(1) في الأصل: قفيزين.

ما ذكره في كتابه إليه من إرساله الصَّولجان والكُرة وتيمّن به لإلقاء المُلقي الكُرةَ إلى الصَّولجان واجتراره إيّاها. وشبّه الأرض بالكُرة، وأنّه يجترّ مُلك دارا إلى مُلكه وبلاده إلى بلاده، وأنّ نظره إلى السمسم الذي بعثه إليه كنظره إلى الصَّولجان والكُرة لدَسَمه وبُعده عن المرارة والحَرافة. وبعث إلى دارا مع كتابه بصُرّة من خردلٍ وأعلمه في الجواب أنّ ما بعثه إليه قليل غير أنّ ذلك مثل الذي [56أ] بعث به من المرارة والحَرافة والقوّة، وأنّ جنوده مثل ذلك. فلمّا وصل إليه الجواب جمع جنوده وتأهّب لمحاربة الإسكندر وتأهّب الإسكندر أيضًا وآذن بالحرب وسار نحو بلاد دارا. فالتقيا بناحية خراسان ممّا يلي الخزرة، واقتتلا أشدّ القتال، وصارت الدائرة على جُند دارا، وانهزم دارا فعرض له فارسان من قرابته، وأهل بيته، وثقاته فطعناه وأردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما إيّاه الحُظوة عند الإسكندر والوسيلة إليه. ونادى الإسكندر أن يُؤخذ دارا أسيرًا ولا يُقتل، فأُخبر بشأن دارا فأسرع حتّى وقف عليه وهو يجود بنفسه، فنزل إليه وجلس عند رأسه وأخبره أنّه لم يهمّ قطّ بقتله وأنّ الذي أصابه لم يكن برأيه وإنّما غدر به ثقاته، وقال له: سلني ما بدا لك أُسعفك به. فقال دارا: إنّ لي إليك حاجتين، إحداهما أن تنتقم من الرجلين اللذين فتكا بي، وسمّاهما وبلادهما، والأُخرى أن تتزوّج بابنتي رَوشنك. فأجابه وأمر بصلب الرجلين وأن يُنادى عليهما: هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغشّ أهل بلده، ثمّ تزوّج ابنته رَوشنك.

ولمّا قُتل دارا اجتمع مُلك الرّوم وكان قبل [56ب] الإسكندر متفرّقًا، وتفرّق مُلك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعًا[2]. انتهى ذلك من كلام الثعلبيّ، رحمه الله.

وحكى شارح البسّامة أنّ دارا سيق إلى الإسكندر أسيرًا غدر به صاحب شرطته فساقه إلى الإسكندر، فقال له الإسكندر: بم اجترأ عليك صاحب شرطتك؟

(2) انظر العرائس 401-402.

فقال: بتركي ترهيبه وقت إساءته وإعطائي له وقت الإحسان اليسير من فعله نهاية رغبته. فقال الإسكندر: نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالأموال وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة إليه، ثمّ أمر الإسكندر بقتله[3].

قال ابن الجوزيّ: وقد روينا أنّ الإسكندر رأى في عسكره سَمِيًّا له لا ينهزم فقال له: إمّا أن تغيّر اسمك أو فعلك. قال: وخرج الإسكندر يومًا في الحرب من صفّ أصحابه وأمر مناديًا فنادى: يا معشر الفرس، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منّا الوفاء بما ضمنّاه. فاتّهمت الفرس بعضها بعضًا وكان ذلك أوّل اضطراب حدث فيهم. وفي رواية أنّه لمّا صافّ دارا أمر مناديًا فنادى في عسكر دارا: أيّها الناس، أمّا نحن فقد فعلنا ما اتّفقنا عليه فكونوا من وراء [57أ] ما ضمنتم لنا. فاستشعر دارا أنّ عسكره قد عزموا على تسليمه للإسكندر فكان ذلك سبب هزيمته[4].

ورُوي أنّه لمّا اشتدّت الحرب بينه وبين دارا أشرف الإسكندر على الهلاك وآيس من النصر عليه. اغتمّ لذلك غمًّا شديدًا وحال الليل بينهما، فرجع الإسكندر إلى عسكره حزينًا فبات فرأى في منامه أنّه صارع دارا فصرعه دارا. فازداد الإسكندر غمًّا وهمًّا فقصّ رؤياه على بعض فلاسفته، فقال له: أبشر أيّها الملك بالنصر والظفر لأنّه صرعك على الأرض فأنت تملكها دونه وتغلبه عليها. فما كان إلّا أيّامًا يسيرةً حتّى انهزم دارا وقُتل[5].

قلت: ومثل هذا ما هو مشهور عند أهل الأخبار وهو أنّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما رأى في منامه أنّه صارع عبد الملك بن مروان، فصرع عبد الملك وسمّره في الأرض بأربعة أوتاد. فذكر رؤياه لرجلٍ من أصحابه وأمره أن يركب إلى

(3) انظر شرح قصيدة ابن عبدون 13.

(4) انظر الأذكياء 158.

(5) انظر الفرج بعد الشدّة 2/ 315.

البصرة إلى محمّد بن سيرين ليعبرها له، وأمره أن لا يسمّيه لابن سيرين ولا يسمّي له عبد الملك أيضًا. فانصرف وأتاه فقصّ عليه الرؤيا فقال ابن سيرين: مَن رأى هذه الرؤيا؟ فقال الرجل: أنا رأيتها في رجلٍ بيني وبينه عداوة. فقال: ليست [57ب] هذه رؤياك، هذه رؤيا ابن الزبير أو عبد الملك أحدهما في الآخر. فقال الرجل: اعبرها لي. فقال: ما أعبرها أو تصدقني. فأبى أن يصدقه لما كان أمره به ابن الزبير، فرجع إلى ابن الزبير وأخبره بما قال ابن سيرين، فقال: ارجع إليه واصدقه أنّي رأيتها في عبد الملك. فرجع إليه فأخبره، فقال ابن سيرين: أخبره أنّ عبد الملك يغلبك على الأرض ويلي هذا الأمر أربعة من أولاده من ظهره بعدد الأوتاد التي سمّرته بها في الأرض، فكان كذلك[6].

وقال ابن الجوزيّ: لمّا شخص الإسكندر من فارس إلى الهند تلقّاه ملكها في جمع عظيم ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال، وفي خراطيمها السيوف والأعمدة فلم تقف لها دوابّ الإسكندر. فانهزم وعاد إلى مأمنه فأمر باتّخاذ فيلة من نحاس مجوّفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتّى ألفتها، ثمّ أمر فملئت نفطًا وكبريتًا وألبسها الدروع وجرت على العجل إلى المعركة وبين كلّ تمثالين منها جماعة من أصحابه. فلمّا نشبت الحرب أمر بإشعال النار في أجواف التماثيل، فلمّا حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها الفيلة وضربتها بخراطيمها فتشظّت وولّت مدبرةً راجعةً إلى أصحابها وصارت الدائرة على ملك الهند[7]. [58أ]

وقال شارح البسّامة: ويُحكى من قهر الإسكندر لملوك زمانه أنّه لمّا دوّخ من دوّخ من الملوك، ودانت له الأرض، وسار نحو الهند، وقتل ملكها الأعظم فوزا[8] صاحب مدينة الماتكير[9]، فلمّا دانت له ملوكها بلغه أنّ بأقاصي بلادها ملكًا من

(6) انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 6/ 138.
(7) انظر الأذكياء 158.
(8) ويُروى أيضًا: فورا.
(9) ويُروى أيضًا: المانكير.

ملوكها ذا حكمة، وسياسة، وإنصاف لرعيّته، وأنّه ليس في بلاد الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يُقال له لندكان[10]، وأنّه قاهر لنفسه، مانع من الشهوة الغضبيّة. فكتب إليه الإسكندر كتابًا يقول فيه: أمّا بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائمًا فلا تقعد، وإن كنت ماشيًا فلا تلتفت حتّى تدخل في طاعتي وإلّا مزّقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند قبلك. فلمّا ورد عليه الكتاب أجاب بأحسن جواب، وخاطبه بملك الملوك، وأعلمه أنّه قد اجتمع عنده أشياء لم يجتمع عند غيره مثلها. فمن ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن منها، وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل أن تسأله بحدّة مزاجه، وحسن قريحته، واعتداله في بنيته، واتّساعه في علمه، وطبيب لا يُخشى معه داءٌ ولا شيء من العوارض إلّا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحلّ العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسّيّ وإن كانت بنية الإنسان وهيكله عرضًا قد نُصبت في هذا [58ب] العالم للآفات والحتوف، وقدح إذا ملأته يشرب منه عسكرك جميعه ولا ينقص منه شيء، وأنا منفذ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه. فلمّا قرأ الإسكندر كتابه قال: كون هذه الأشياء عندي وهذا الحكم من صولتي أحبّ إليّ من أن لا يكون عندي دليلك. فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من حكماء اليونانيّين في عدّة من رجال الرّوم وتقدّم إليهم: إن كان صادقًا فيما كتب به فاحملوا ذلك إليّ واتركوه في موضعه، وإن تبيّنتم الأمر على خلاف ذلك فإنّه أخبر عن الشيء بخلاف ما هو به فقد خرج عن حدّ الحكمة فأشخصوه إليّ. فمضى القوم فلمّا انتهوا إلى مملكة الملك خرج إليهم، وتلقّاهم بأحسن لقاء، وأنزلهم أحسن منزل. فلمّا كان في اليوم الثالث جلس مجلسًا خاصًّا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة، فقال بعضهم لبعض: إن صدقنا في الأولى صدقنا فيما بعد ذلك ممّا ذكر. فلمّا أخذت الحكماء مراتبها واستقرّت بها مجالسها أقبل عليهم مُباحثًا لهم في العلوم الفلسفيّة وفروعها وعلى

(10) ويُروى أيضًا: كندكان.

كم يحتوي العلم الفلسفيّ في أصوله وإلى كم يتفرّع. ولمّا تكلّم مع حكماء اليونانيّين في العلوم الفلسفيّة من الطبيعيّات والإلهيّات وطال الخطب في تناظرهم أخرج [59أ] الجارية إليهم، فلمّا ظهرت لأبصارهم لم يقع طرف واحد منهم على عضوٍ من أعضائها فتعدّى بصره اشتغالًا بحسن ذلك العضو عمّا سواه حتّى خاف القوم على عقولهم. ثمّ إنّ كلّ واحد منهم رجع إلى نفسه وقهر سلطان هواه ثمّ أراهم بعد ذلك ما تقدّم الوعد به وصرفهم وسير بالفيلسوف والجارية والطبيب والقدح معهم، فلمّا وردوا على الإسكندر أمر بإنزال الطبيب والفيلسوف ونظر إلى الجارية فحار عند مشاهدتها وأمر قيّمة جواريه بالقيام عليها. ثمّ صرف همّته إلى الفيلسوف، وإلى علم ما عنده، وعلم ما عند الطبيب، وقصّ عليه الحكماء ما جرى لهم معه من المباحثة في العلوم الفلسفيّة فأعجبه ذلك. ثمّ أراد محنة الفيلسوف على حسب ما خبّر عنه فأجال فكره فيها فدعا بقدح فملأه سمنًا ولم يجعل للزيادة عليه سبيلًا ودفعه لشخصٍ وقال: احمله إلى الفيلسوف ولا تكلّمه بشيء. فلمّا دفعه إليه دعا بألف إبرة فغرزها في السمن وصرفه إليه، فأمر الإسكندر بسبك تلك الإبر كرةً متساوية الأجزاء وردّها إليه. فأمر الفيلسوف ببسطها وجلّاها حتّى صارت جسمًا تردّ صورة مقابلها بصفاتها، وردّها إلى الإسكندر [59ب] فدعا بطستٍ وجعل تلك المرآة فيه وصبّ عليها الماء حتّى غمرها وردّها إليه. فأخذها الفيلسوف وعمل منها طبقًا له حتّى طفت على الماء وصرفها إليه فملأها الإسكندر بالتراب وردّها إليه، فلمّا نظر الفيلسوف إلى التراب تغيّر وبكى ثمّ ردّها إلى الإسكندر ولم يصنع فيها شيئًا. فلمّا كان في صبيحة اليوم الثاني جلس له الإسكندر جلوسًا خاصًّا ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك، فلمّا أقبل نظر الإسكندر من الفيلسوف إلى رجل طويل الجسم، رحب الجبين، معتدل البنية فقال في نفسه: هذه بنية تضادّ الحكمة فإذا اجتمع له حسن الصورة وحسن الفهم كان أوحد زمانه. فأدار الفيلسوف إصبعه حول وجهه ثمّ وضعها على أرنبة أنفه وأسرع نحو الإسكندر ثمّ حيّاه تحيّة الملك فأشار إليه

بالجلوس ثمّ قال له: لمَ أدرت إصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة أنفك؟ قال له: علمت أنّك تقول في نفسك إذ نظرت إلى حسن صورتي وإتقان بنيتي: قلّما تجتمع هذه الخلقة مع الحكمة. وإذا كان هذا كان صاحبها أوحد أهل زمانه فأريتك مصداقًا لما سنح لك أنّه ليس كما في الوجه غير أنف واحد فكذلك ليس في ديار الهند على هذه الصفة [60أ] غيري. فقال له الإسكندر: أحسن ما تأتّى لك فما بالك حين بعثت إليك بالقدح مملوءًا سمنًا غرزت فيه الإبر ورددته؟ قال الفيلسوف: علمت أنّك تقول إنّ قلبي قد امتلأ علمًا فليس لأحد فيه مستزاد فأخبرتك أنّ علمي سيزيد فيه كما زادت هذه الإبر في السمن. قال: فما بالك حين عملت لك من الإبر كُرةً صنعت منها مرآةً صقيلة وصرفتها؟ قال الفيلسوف: علمت أنّك تقول إنّ قلبي قد قسا من سفك الدماء واشتغل بهذا العالم فلا يقبل العلم ولا يرغب فيه، فأخبرتك أنّي سأُعمل الحيلة في ذلك كما جعلت من الكُرة مرآة مريةً للأجسام. قال: فما بالك حين جعلتها لك في الطست وصببت عليها جعلتها طافيةً على وجه الماء؟ قال الفيلسوف: علمت أنّك تريد أنّ الأيّام قد قصرت والأجل قريب ولا يُدرك العلم الكثير في المهل القليل، فأخبرتك أنّي سأُعمل لك الحيلة فيه في غير مدّة طويلة كما جعلت هذه المرآة الراسبة في الماء طافيةً عليه في أسرع وقت. قال: فأخبرني حين ملأت الإناء ترابًا لمَ رددته عليّ ولم تحدث فيه شيئًا؟ قال له: علمت أنّك تقول ثمّ الموت وإنّه لا بدّ منه، فأخبرتك أنّ لا حيلة في ذلك. قال الإسكندر: قد أجبتني عن مرادي في جميع ذلك ولأحسننّ [60ب] إلى الهند من أجلك، وأمر له بجوائز كثيرة. فقال له الفيلسوف: لو أحببت المال لما كنت عالمًا وكنت أُدخل على علمي ما يضادّه فإنّ الفتنة توجب الخدمة. وقد ملكت أيّها الملك الحكيم بسيفك أجسام رعيّتك فاملك قلوبهم بإحسانك فهو خزانة سلطانك، فإنّك إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل. فالملك السعيد من ملك الرعيّة بالرغبة والرهبة، وأشبه الأشياء من أفعال الناس بأفعال بارئهم الإحسان. فخيّره في المقام معه أو الانصراف إلى بلده

فاختار الرجوع إلى موضعه. وأمّا القدح فملأه ماءً ثمّ أورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيئًا، فيُقال إنّه كان معمولًا من خواصّ الهند الروحانيّة ممّا تدّعيه الهند، ويُقال إنّه كان لآدم أبي البشر صلوات الله عليه يبارَك له فيه حين كان بأرض سرنديب من أرض الهند، فوُرث عنه حتّى انتهى إلى هذا الملك الهنديّ. وأمّا الطبيب فإنّه كان له معه مناظرات كثيرة في صنعته دلّت على ثبوت قدمه في علمه وأنّه كما وصف صاحبه[11]، انتهى.

وحكى أبو الفرج الأصفهانيّ وابن الجوزيّ قال: قرأت في بعض كتب الأوائل أنّ الإسكندر لمّا انتهى إلى ملك الصين أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره [61أ] وقال: هذا رسول ملك الصين يستأذن فأحضره، فوقف بين يديه وسلّم ثمّ قال: إن رأى الملك أن يختلي بي فليفعل. فأمر من بحضرته فانصرفوا وبقي حاجبه فقال: الذي جئتُ فيه ما يحتمل أن يسمعه غيرك. فقال الإسكندر: فتّشوه. ففُتّش فلم يوجد معه شيء، فوضع الإسكندر بين يديه سيفًا وقال: كن بمكانك وقل ما شئت. فقال: أنا ملك الصين لا رسوله وقد جئتك أسألك ما تريد ممّا يمكن عمله ولو على أصعب الأمور فإنّي أجيبك إليه وأغنيك عن الحرب. فقال له الإسكندر: ما أمّنك منّي؟ قال: علمي بأنّك رجل عاقل وأنت تعلم أنّك إن قتلتني لم تحظ بطائل ولم يكن قتلي سببًا لأخذ مملكة الصين ولا يمنع أهلها أن ينصّبوا لأنفسهم ملكًا ثمّ يقاتلون وتُنسب أنت إلى غير الحزم وضدّ الجميل. فأطرق الإسكندر وعلم عقله ثمّ قال: أريد ارتفاع مملكتك ثلاث سنين ونصف، ونصف ارتفاعها في كلّ سنة. فقال: هل غير ذلك شيء؟ قال: لا. قال: قد أجبتك. قال الإسكندر: فكيف يكون حالك حينئذٍ؟ قال: أكون قتيلًا وأكلة كلّ مفترس. قال: فإن قنعت منك بارتفاع سنتين كيف حالك؟ قال: أصلح ما كانت. قال: فإن قنعت منك [61ب] بارتفاع سنة؟ قال: يكون ذلك كمالًا لأمري وملكي ومُذهبًا لجميع آذائي. قال: قد قنعت

(11) انظر شرح قصيدة ابن عبدون 23–25 و28–31.

منك بارتفاع السنة. قال: يكون ثابتًا وأسبابه مستقيمةً. قال: فإن قنعت منك بارتفاع الثلث؟ قال: يكون رفقًا بي وبجيشي وأسباب الملك. قال: قد اقتصرت منك على هذا فشكر وانصرف. فلمّا طلعت الشمس أقبل جيش[12] الصين حتّى طبّق الأرض وأحاط بجيش الإسكندر حتّى خافوا الهلاك، فتواثبت جيوش الإسكندر وركبوا الخيل واستعدّوا للقتال. فبينما هم كذلك إذ طلع الملك وعليه التاج، فلمّا رأى الإسكندر ترجّل له فقال له الإسكندر: غدرت؟ قال: لا والله ولكن أردت أن أريك أنّي لم أطعك عن قلّة وضعف وها أنت ترى هذا الجيش وما غاب عنك أكثر، ولكنّي رأيت العالم الكثير مقبلًا عليك ممّن هو أقوى منك وأكثر من عددك ومن حارب العالم الكثير غُلب، فأردت طاعته بطاعتك وإذلاله بالذلّ لك. فقال الإسكندر: ليس مثلك من يُؤخذ منه خراج فما رأيت أحدًا أحقّ بالفضل والعدل منك فقد أعفيتك من جميع ما أرومه منك وأنا منصرف عنك. فقال ملك الصين: أمّا إذا فعلت ذلك فحسن [62أ] ثمّ أنفذ إليه أضعاف ما كان قرّره معه[13].

وأخبار الإسكندر ومناقبه جليلة ومآثره جميلة، وقد اختُلف في زمانه فذكر الخوارزميّ[14] في تاريخه أنّه كان قبل الهجرة بتسعمائة سنة وثلاث وثلاثين سنةً. وقال ابن قتيبة في كتاب المعارف أنّ بينه وبين الهجرة أربعمائة سنة والله أعلم بذلك[15].

وقال الخازن[16] في تفسيره: لمّا مات أبوه جمع ملك الرّوم ثمّ مضى إلى ملوك العرب وقهرهم وأمعن حتّى انتهى إلى البحر الأخضر، ثمّ رجع إلى مصر وبنى الإسكندريّة وسمّاها باسمه، ثمّ دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرّب فيه القربان، ثمّ انعطف إلى أرمينية وباب الأبواب وبنى السدّ ودانت له ملوك العراق

(12) في الأصل: شين، ولعلّ الصواب ما أثبتناه.
(13) انظر نشوار المحاضرة 7/ 193–195؛ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك 1/ 425–426.
(14) في الأصل: ابن الخوارزميّ.
(15) ورد هذا الخبر في شرح قصيدة ابن عبدون 22.
(16) في الأصل: ابن الخازن.

والنبط. ومرض بشهرزور ومات بها وحُمل إلى حيث هو مدفون وقيل إنّ عمره كان نيّفًا وثلاثين سنةً[17]. وقال شارح البسّامة إنّه مات وهو ابن ستّ[18] وثلاثين سنةً، وكان ملكه قبل قتله لدارا تسع سنين وبعد قتله له ستّ سنين، وملك وهو ابن إحدى وعشرين سنةً وذلك بمقدونية وبنى مصر[19].

وذكر ابن الجوزيّ في المنتظم في أخبار الأمم أنّ سبعةً مات كلّ واحد منهم وعمره ستّ[20] وثلاثون سنةً فعجبت من قصر أعمارهم مع بلوغ كلّ واحدٍ [62ب] منهم الغاية القصوى فيما ابتدأ به من أمره، فمنهم الإسكندر ذو القرنين، وأبو مسلم صاحب الدعوة، وابن المقفّع صاحب الخطابة والفصاحة، وسيبويه صاحب التصانيف في العربيّة، وأبو تمّام ابن أوس الطائيّ أوحد عصره في علم الشعر، وإبراهيم النظّام المعمّق في علم الكلام، وابن الراونديّ وما انتهى إليه من التوغّل في المخازي وذلك من غريب الاتّفاقات[21]، انتهى.

قلت: قد خالف بعض المؤرّخين في بعض المذكورين، ومن مآثر الإسكندر المأثورة عنه بناؤه المنارة بالإسكندريّة التي ليس على قرار الأرض مثلها. قال ابن عبد النور في روضه إنّه جعلها على طرف اللسان الداخل في البحر على كرسيٍّ من زجاج على هيئة السرطان في جوف البحر، وجعل طولها في الهواء ألف ذراع وجعل في أعلاها المرآة. وكانت هذه المرآة قد رُكّبت من أخلاطٍ عجيبة غريبة فيبصر فيها ما يأتي من مراكب العدوّ على مسيرة أيّام فيتأهّب لهم، وإن قَرُبت المراكب من البلد عُملت أخلاط بأدهان يعرفونها وطُليت بها المرآة فينعكس شعاعها على تلك المراكب فتحرقها. وجعل في المنارة تماثيل من نحاس وطلاسم كثيرة تمنع وتدفع

(17) انظر تفسير الخازن 3/ 175–176.
(18) في الأصل: ستّة.
(19) انظر شرح قصيدة ابن عبدون 23.
(20) في الأصل: ستّة.
(21) انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 8/ 18–19.

ولها خواصّ منها تمثال يشير بيده نحو العدوّ فإذا صار منه على مقدار [63أ] ليلة فإن دنا وأمكن أن يُرى بالبصر سُمع لذلك التمثال صوت هائل على ميلين وثلاثة، وتمثال آخر كلّما مضى من الليل أو النهار ساعة سُمع له صوت مُطرب فيُقال إنّه ما ظهر العدوّ في البحر إلّا بعد زوال تلك المرآة. وكان ملك الرّوم أعمل الحيلة في زوالها من المنارة فبعث خادمًا من خواصّ خدمه ذا دهاء ومعرفة فجاء مستأمنًا إلى بعض الثغور فحُمل إلى الوليد بن عبد الملك فأسلم بين يديه وأظهر له النصح في أشياء صرّفه فيها، وأعلمه أنّه من خواصّ ملك الرّوم وأنّه أراد قتله لموجدة لم يكن لها حقيقة وأنّه هرب منه ورغب في الإسلام. ثمّ استخرج للوليد دفائن في دمشق وغيرها من بلاد الشام بكتب كانت عنده فلمّا رأى الوليد ذلك شرهت نفسه وتمكّن طمعه وباحثه عمّا عنده من هذا الفنّ. فقال إنّ الإسكندر استولى على ممالك العالم واحتوى على الأموال والذخائر التي كانت لشدّاد بن عاد وغيره من ملوك العرب والعجم، فبنى لها الآزاج والسرداب والأقناء وأودعها تلك الذخائر والأموال والجواهر، ثمّ بنى فوقها تلك المنارة التي بالإسكندريّة فلو هُدم ذلك المنار لاستُخرج من تحته من الأموال والذخائر التي كانت لشدّاد بن عاد. [63ب] فصدّق ذلك الوليد وطمع فيه وبعث من خواصّه من يقف معه على هدم المنار وأمر صاحب الإسكندريّة أن يعينه على جميع ما يرى. فهدم ذلك الرّوميّ قدر نصف المنار فأزال المرآة التي كانت غرضه وأراد هدم الكلّ، فضجّ أهل الإسكندريّة وعلموا أنّها مكيدة وحيلة. فلمّا استفاض ذلك خشي الرّوميّ على نفسه فهرب في الليل في مركب كان قد أعدّه لذلك الوقت وبقيت المنارة على ذلك القدر[22].

ومن آثار الإسكندر السدّ الذي أخبر الله عزّ وجلّ عنه في كتابه العزيز. وأهل الرّوم أصحاب معارف ورأي وحكمة من قديم الزمان. قال الإسعرديّ في تاريخه: قال القاضي التنوخيّ: لمّا بنى المنصور بغداد بنى بها القبّة الخضراء وكان ارتفاعها

(22) انظر الروض المعطار 54–55.

ثمانين ذراعًا كان على أعلاها تمثال فارس على يده رمح من عمل بعض حكماء الرّوم. وكان الفارس يدور في بعض الأحايين ويشير برمحه إلى بعض الجهات فلم يمضِ إلّا قليل حتّى ترد الأخبار من تلك الجهة بخارجيّ قد ظهر أو فتق انفتق. ولم تزل تلك القبّة عامرةً إلى أن كانت سنة تسع وعشرين وثلثمائة فسقطت دفعة واحدة من أمطار توالت، ومن حيث سقطت بدأت الدولة العبّاسيّة في الخمول ودخلت ملوك الديلم بغداد بعد [64أ] سقوطها بمدّة يسيرة وكان منهم ما هو مشهور في التواريخ[23].

وحكى الهيثم بن عَديّ قال: لمّا جلس أبو جعفر المنصور في قصره بباب الذهب أذن لرسول ملك الرّوم فدخل عليه فقال للرسول: هل ترى عيبًا؟ قال: نعم، عيوبًا ثلاثةً. قال: ما هي؟ قال: النفس خضراء ولا خضرة عندك، والحياة في الماء ولا ماء عندك، وعدوّك مخالطك ومطّلع على سرّك. فقال: أمّا الماء فحسبي منه ما بلغ الشفة، وأمّا الخضرة فللجدّ خُلقت لا للّعب، وأمّا السرّ[24] فلا أبالي علم بسرّي رعيّتي أم ولدي وخاصّتي. فأمسك رسول ملك الرّوم عن الكلام ثمّ تعقّب أبو جعفر الرأي فرأى القول ما قاله ففعله[25].

ولمّا بنى كسرى أنوشروان السور راسلته الملوك وهادته فكان ممّن ورد عليه رسول قيصر ملك الرّوم بهدايا وألطاف، فنظر إلى إيوانه وحسن بنائه ورأى اعوجاجًا في ميدانه فقال الرسول: يحتاج هذا الصحن أن يكون مربّعًا. فقيل له إنّ عجوزًا لها منزل في جانب الاعوجاج وإنّ الملك أرادها بيعه وأرغبها في الثمن فامتنعت فلم يكرهها وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى. فقال الرسول: هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء[26].

(23) لم نهتدِ إلى كتاب الإسعرديّ.
(24) في الأصل: السوق، ولعلّ الصواب ما أثبتناه.
(25) ورد هذا الخبر في الروض المعطار 112.
(26) انظر مروج الذهب 1/ 201.

ومن عجيب ما يُحكى ما ذكره ابن الجوزيّ في المنتظم أنّه لمّا بنى كسرى أنوشروان [64ب] الإيوان جلس فيه يومًا فوقعت عينه على وردة تزهر في بستان قدّام الإيوان فقال لغلام: هات تلك الوردة. فمضى الغلام فلم يرها فعاد وقال: لم أرها. فقال: ويحك هي تلك، وأشار إليها فأبصرها الغلام في حضرته. فلمّا انتهى إلى موضعها لم يرها فعاد فقام أنوشروان بنفسه ومشى إلى البستان فحين مدّ يده ليقطعها سقط الإيوان، فتعجّب من صنع الله ولطفه به وسُرَّ سرورًا شديدًا وتصدّق بمال جليل جزيل ثمّ أعاد بناء الإيوان أفضل من بنائه الأوّل[27].

رُوي أنّ أبا جعفر المنصور حين أفضت إليه الخلافة همّ بنقض هذا الإيوان واستشار في ذلك جلساءه وذوي الرأي من رجاله فكلّهم وافقه على رأيه وأشار عليه بما يطابق هواه إلّا خالد بن برمك فإنّه قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنّه آية الإسلام، وإذا رآه من يأتي في مستقبل الزمان علم أنّ أصحاب مملكته لم يُغلبوا عليه إلّا بأمر الله تعالى وتأييد أمدّ به المسلمين الذين قهروهم، وبقاؤه فخر لكم وذكر ومع ذلك فالمؤنة في هدمه أكثر من العائد منه. فاستغشّه المنصور في ذلك وقال له: يا خالد، أبيت إلّا ميلًا مع العجميّة. ثمّ أمر بنقضه فبلغت النفقة في نقض شيء يسير منه [65أ] مبلغًا عظيمًا، فكُتب إليه بذلك فعزم على تركه وقال لخالد بن برمك: قد صرنا إلى رأيك. فقال له خالد: إنّ الرأي الآن أن تبلغوا به الماء. فقال له المنصور: كيف ذلك؟ قال: إنّي آنف لكم أن يكون أولئك بنوا بناءً عجزتم أنتم عن هدمه والهدم أسهل من البناء. ففكّر المنصور في قوله فعلم أنّه قد صدق ثمّ نظر فإذا هدمه يتلف الأموال فأمر بالإمساك عنه، وكان بعدُ يقول: لقد حبّب إليّ هذا أن لا أبني إلّا بناءً جليلًا يصعب هدمه[28].

قلت: وممّن كتب إلى كسرى أنوشروان من الملوك ملك الصين: مِن يعفور ملك الصين صاحب قصر الدرّ والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود

(27) انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 2/ 111–112.

(28) انظر الروض المعطار 69–70.

والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين، والذي يخدمه بنات ألف ملك، والذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى أنوشروان. وأهدى إليه فارسًا من درٍّ منضّد، عينا الفرس والفارس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من [...][29] منضّدٍ بالجوهر، وثوبًا حريرًا صينيًّا عشريًّا فيه صورة الملك على إيوانه وعليه حلّته وتاجه وعلى رأسه الخدم بأيديهم المذابّ المصوّرة من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالًا، وغير ذلك ممّا تهديه الملوك لأمثالها.

وكتب إليه ملك الهند: مِن ملك الهند [65ب] وعظيم ملوك المشرق وصاحب قصر الذهب وإيوان الياقوت والدرّ إلى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية. وأهدى له ألفًا[30] من عود يذوب في النار كما يذوب الشمع، ويُختم عليه كما يُختم على الشمع، وجامًا من الياقوت الأحمر فتح شبر مملوءًا درًّا، وعشرة أمناء كافور كالفستق وجاريةً طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها إلى وجنتيها كأنّ بين أجفان عينيها لمعان البرق مع إتقان شكلها، مقرونة الحاجبين لها ظفائر شعر تجرّها وفراشًا من جلود الحيّات ألين من الحرير وأحسن من الوشي. وكان كتابه إليه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوبًا بالذهب الأحمر[31].

## فصل

قال بعض المؤرّخين: لم تزل الحرب قائمةً بين الرّوم والفرس من عهد الإسكندر حتّى الآن يُدال هؤلاء مرّةً وهؤلاء أُخرى. قال الله تعالى: ﴿**الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ...**﴾[32]. أجمع المفسّرون في سبب نزول هذه الآية الشريفة أنّه كان بين الرّوم وفارس قتال،

(29) ممحيّة في الأصل.
(30) في الأصل: ألف.
(31) انظر المسالك والممالك 1/ 286-287.
(32) سورة الرّوم: 1-4.

وكان المشركون من قريش يودّون أن تغلب فارسُ الرّوم لأنّ فارسَ كانوا مجوسًا[33] أمّيّين، وكان المسلمون يودّون غلبة الرّوم على فارس لكونهم أهل كتاب. فبعث كسرى جيشًا إلى الرّوم واستعمل عليه رجلًا يُقال له شهربراز [66أ] وبعث قيصر جيشًا وأمّر عليهم رجلًا يُدعى بخنس[34] فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم. فغلبت فارسُ الرّوم فبلغ ذلك المسلمين بمكّة فشقّ عليهم وفرح به كفّار مكّة وقالوا للمسلمين إنّكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أمّيّون وفارس أمّيّون، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية. فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى كفّار مكّة فقال: فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرنّ الرّوم على فارس، أخبرنا بذلك نبيّنا ﷺ. فقام إليه أُبيّ بن خلف الجُمَحيّ فقال له: كذبت. فقال: أنت أكذب يا عدوّ الله. فقال: اجعل بيننا أجلًا أناحبك عليه والمناحبة بالحاء المهملة القمار والمراهنة أي أراهنك على عشر قلائص منّي وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الرّوم على فارس غرمتَ وإن ظهرت فارس غرمتُ. ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبيّ ﷺ فأخبره بذلك وذلك قبل تحريم القمار. فقال النبيّ ﷺ: ما هكذا ذكرتُ، إنّما البضع ما بين الثلاث[35] إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل. فخرج أبو بكر فلقي أبيًّا فقال: لعلّك ندمت. فقال: لا. فتعال أزايدك في الخطر وأمادّك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين وقيل إلى سبع سنين، فقال: قد فعلت. [66ب] فلمّا خشي أبيّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكّة أتاه ولزمه وقال إنّي أخاف أن تخرج من مكّة فأقم لي كفيلًا فكفله له ابنه عبد الله بن أبي بكر. فلّما أراد أبيّ بن خلف أن يخرج إلى أُحُد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: لا والله

(33) في الأصل: مجوسيًّا.

(34) ويُروى أيضًا: يحنس وبجيش ونحيس ويحفس ويحيس وبخين.

(35) في الأصل: الثلاثة.

لا أدعك حتّى تعطيني كفيلًا. فأعطاه كفيلًا ثمّ خرج إلى أُحُد ثمّ رجع أبيّ بن خلف إلى مكّة ومات بها من جراحته التي جرحه النبيّ ﷺ حين بارزه. وظهرت الرّوم على فارس يوم الحديبيّة وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم، وقيل كان يوم بدر. وربطت الرّوم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينةً سمّوها رومية فقمر أبو بكر أبيًّا وأخذ مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ: تصدّق به.

وكان سبب غلبة الرّوم على فارس على ما قال عكرمة وغيره أنّ شهربراز لمّا غُلبت الرّوم لم يزل يطؤهم ويخرّب مدائنهم حتّى بلغ الخليج. فبينما أخوه فرخان[36] جالس ذات يوم يشرب فقال لأصحابه: لقد رأيت كأنّي جالس على سرير كسرى. فبلغت كلمته كسرى فكتب إلى شهربراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فرخان[37]. فكتب إليه: أيّها الملك، إنّك لن تجد مثل فرخان[38]، إنّ له نكايةً وصوتًا في العدوّ فلا تفعل. فكتب إليه: [67أ] إنّ في رجال فارس خلفًا منه فعجّل عليّ برأسه. فراجعَه فغضب ولم يجبه وبعث بريدًا إلى أهل فارس أنّي قد عزلت عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان[39]. ثمّ دفع إلى البريد صحيفةً صغيرةً وأمره فيها بقتل شهربراز، وقال: إذا ولي فرخان[40] الملك وانقاد له أخوه فأعطه الصحيفة. فلمّا وصل البريد إلى شهربراز عرض عليه كتاب كسرى فلمّا قرأه قال: سمعًا وطاعةً. ونزل عن سرير الملك وأجلس عليه أخاه فرخان[41] فدفع البريد الصحيفة إلى فرخان[42] فلمّا قرأها استدعى بأخيه شهربراز وقدّمه ليضرب عنقه

(36) ويُروى أيضًا: فرحان.
(37) ويُروى أيضًا: فرحان.
(38) ويُروى أيضًا: فرحان.
(39) ويُروى أيضًا: فرحان.
(40) ويُروى أيضًا: فرحان.
(41) ويُروى أيضًا: فرحان.
(42) ويُروى أيضًا: فرحان.

فقال له: لا تعجل حتّى أكتب وصيّتي. قال: نعم. فدعا بسفط ففتحه وأعطاه منه ثلاث صحائف، وقال: كلّ هذا راجعت فيك كسرى وأنت تريد أن تقتلني بكتابٍ واحدٍ. فردّ فرخان[43] الملك إلى أخيه شهربراز فكتب شهربراز إلى قيصر ملك الرّوم: إنّ لي إليك حاجةً لا تحملها البُرُد ولا تبلّغها الصحف، فالقني في خمسين روميًّا حتّى ألقاك في خمسين فارسيًّا. فأقبل قيصر في خمسمائة ألف روميّ وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق مخافة أن يمكر به حتّى أتاه عيونه وأخبروه أنّه ليس معه إلّا خمسون فارسيًّا. فلمّا التقيا ضُربت لهما قبّة ديباج فدخلاها ومع كلّ [67ب] واحد منهما سكّين، ودعيا بترجمان يترجم بينهما فقال شهربراز لقيصر: إنّ الذين خرّبوا بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإنّ كسرى حسدنا وأراد أن أقتل أخي فأبيت عليه ثمّ أمر أخي بقتلي فأبى عليه وقد خلعناه جميعًا ونحن نقاتله معك. قال: قد أصبتما. ثمّ أشار أحدهما إلى صاحبه أنّ السرّ بين اثنين فإذا جاوزهما فشا، فقتلا الترجمان معًا بسكّينيهما فأُدليَت الرّوم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم. ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحديبيّة ففرح من كان معه من المسلمين، فذلك قوله تعالى: ﴿... **وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ**...﴾[44] أي الرّوم على فارس[45].

قلت: قيصر المذكور هو، والله أعلم، هرقل الذي كتب إليه النبيّ ﷺ لأنّ كتابة النبيّ ﷺ له كانت إذ ذاك، وعاش إلى آخر خلافة عمر رضي الله عنه ومات، كما قال ابن الأثير، في سنة عشرين من الهجرة وتولّى بعده المملكة ابنه قسطنطين[46]. وفي السنة التي بويع فيها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه سار قسطنطين المذكور في ألفي مركب يريد بلاد المسلمين فسلّط الله عليه عاصفًا من الريح فغرّقها ونجا

(43) ويُروى أيضًا: فرحان.

(44) سورة الرّوم: 4-5.

(45) انظر تفسير الخازن 3/ 386-387.

(46) انظر الكامل في التاريخ 2/ 388.

قسطنطين فلجأ إلى صقلّية فصنعوا له له[47] حمّامًا فدخله فقتلوه فيه[48]. وقال ابن الأثير إنّه التقى مع [68أ] المسلمين وانكسر وقُتلت جموعه فلجأ إلى صقلّية فسأله أهلها عن حاله فأخبرهم فقالوا له أهلكت النصرانيّة ثمّ أدخلوه الحمّام فقتلوه[49].

ومن غريب الاتّفاق أنّ السلطان تمربغا لمّا عزم على تملّك الديار المصريّة في سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة تأوّل قوله تعالى: ﴿... **وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ**...﴾[50] ثمّ حسب لفظة بضع بحساب الجُمَّل فكانت اثنتين وسبعين وثمانمائة، فعزم وتمّ له الأمر لكنّه لم يلبث أن ركب عليه الأشرف قايتباي وانتزع منه الملك. وكان تمربغا روميًّا فذاك هو السبب الباعث له في قيامه تلك السنة.

وقال ابن الجوزيّ إنّ كسرى بن هرمز بعث الأصبهند في جيش عظيم إلى الرّوم فأُعطي من الظفر ما لم يعطَه أحد، وأخذ الأصبهند خزائن الرّوم ووجّهها على هيئتها إلى كسرى فظنّ كسرى أنّ الذي تمّ للأصبهند من الظفر يغيّره ويوجب له كبرًا. فبعث إليه رجلًا ليقتله وكان الرجل عاقلًا فلمّا رأى الأصبهند وتدبيره وعقله قال: ما يصلح قتل هذا بغير جرم. ثمّ أخبره بالذي جاء له فأرسل الأصبهند إلى قيصر أنّي أريد أن ألقاك. قال: إذا شئت. فالتقيا فقال له: إنّ هذا الخبيث قد همّ بقتلي ووجّه إليّ رجلًا وإنّي أريد قتله وهلاكه كالذي أراد منّي والبادي أظلم، فاجعل [68ب] لي من نفسك ما أطمئنّ إليه وأعطيك من بيوت أمواله مثل الذي أصبت منك ومثل الذي أنت منفقه في مسيرك هذا. فأعطاه من المواثيق ما اطمأنّ إليه وسار قيصر في أربعين ألفًا فنزل على كسرى فعلم كسرى كيف جرى الأمر واحتال في فضّ جموع قيصر، فدعا قسًّا متنصّرًا في بلده فقال إنّي كاتب معك كتابًا

(47) مكرّرة في الأصل.
(48) انظر الروض المعطار 368.
(49) انظر الكامل في التاريخ 2/ 489–490.
(50) سورة الرّوم: 3–4.

لطيفًا لتبلّغه الأصبهند ولا يطّلعنّ على ذلك أحد وأعطاه ألف دينار. وقد علم كسرى أنّ القسّ يوصل كتابه إلى قيصر لأنّه لا يحبّ هلاك الرّوم. وكان في الكتاب إلى الأصبهند: إنّي كتبت إليك وقد دنا قيصر وقد أحسن الله إلينا وأمكن منهم بتدبيرك لا عدمت صواب الرأي. وقد فرّقت العساكر عليهم وأنا ممهله حتّى يقرب إلى المدائن ثمّ أغافصه في يوم كذا وكذا فأغِر على من قِبَلك فإنّه استئصالهم. فخرج القسّ بالكتاب فأوصله إلى قيصر فقال قيصر: هذا هو الحقّ وما أرادوا إلّا هلاكنا. فتولّى منصرفًا وأتبعه كسرى إياس بن قبيصة الطائيّ فقتل بعض أصحابه ونجا قيصر إلى بلاده[51].

وهرقل المذكور أوّلًا هو الذي لحق به جبلة بن الأيهم الغسّانيّ آخر ملوك الشام في الخبر المشهور، وملخّصه أنّ ملوك بني غسّان لمّا تغلّبت على الشام بتمليك ملوك الرّوم لدخولهم في نصرانيّتهم ملك منهم سبعة وثلاثون ملكًا [69أ] أوّلهم أبو شمر الحارث بن عامر، ومدّة ما ملكوا ستّمائة وستّ عشرة[52] سنةً إلى أن كان آخرهم جبلة المذكور. وجاء الله بالإسلام وجبلة ملك الشام ففتح الله الشام على المسلمين في سلطان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فأسلم جبلة ثمّ تنصّر. والسبب في تنصّره أنّ رجلًا من بني فزارة وطئ إزاره فلطمه جبلة فأدخله الرجل على عمر، فقال له عمر: يلطمك كما لطمته. فقال: وتُقيده منّي وأنا ملك وهو سوقة. فقال عمر: إمّا ترضيه وإلّا أقدتُه منك فإنّه قد جمعك وإيّاه الإسلام فما تفضله إلّا بالعافية. فقال جبلة: والله لقد رجوتُ أن أكون في الإسلام أعزّ منّي في الجاهليّة. قال عمر: لا بدّ من ذلك. قال جبلة: إذن أتنصّر. قال: لئن تنصّرت ضربت عنقك. قال: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة وكادت تكون فتنة، فقال جبلة: أخّرني إلى غدٍ يا أمير المؤمنين. قال: ذلك لك. فلمّا كان جنح الليل خرج هو وأصحابه ولحق بهرقل بعد أن تنصّر فأقطعه الأموال والضياع والرباع

(51) انظر الأذكياء 159.

(52) في الأصل: ستّة عشر.

وبقي ما شاء الله تعالى. ثمّ إنّ عمر رضي الله عنه بعث إلى هرقل رسولًا يدعوه إلى الإسلام أو الجزية فأجاب إلى الجزية. فلمّا أراد الرسول الانصراف قال له هرقل: لقيتَ ابن عمّك هذا الذي عندنا، يعني جبلة، الذي أتانا راغبًا في [69ب] في[53] ديننا؟ قال: ما لقيتُه. قال: القه ثمّ ائتِ[54] أعطك جواب كتابك. قال الرسول: فذهبت إلى باب جبلة فإذا عليه من القهارمة، والحجّاب، والبهجة، وكثرة الجمع ما على باب هرقل. قال الرسول: فلم أزل أتلطّف في الإذن حتّى أذن فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدي به أسود اللحية والرأس فأنكرته، وإذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرّها على لحيته حتّى عاد أصهب وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب. فلمّا عرفني رفعني معه على السرير وجعل يسألني عن المسلمين فذكرت له خيرًا وقلت: أضعفوا أضعاف ما تعرف. قال: وكيف تركت عمر بن الخطّاب؟ قلت: بخير حال. فرأيت الغمّ في وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثمّ انحدرت عن السرير فقال: لِمَ تأبى الكرامة التي أكرمناك بها؟ قلت: إنّ رسول الله ﷺ نهى عن هذا. قال: نعم، ﷺ، ولكن نقّ قلبك من الدنس ولا تبالِ على ما قعدت. فلمّا سمعته يقول ﷺ طمعت فيه فقلت: ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الإسلام وفضله؟ قال: أبعدَ ما كان منّي؟ قلت: نعم، قد فعل رجل من بني فزارة أكثر ممّا فعلت، ارتدّ عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثمّ رجع إلى الإسلام فقُبل منه وخلّفته [70أ] بالمدينة مسلمًا. قال: إن كنت تضمن لي أن يزوّجني أمير المؤمنين ابنته ويولّيني الأمر بعده رجعت إلى الإسلام. فضمنت له التزويج ولم أضمن له الأمر. قال: ثمّ أومأ إلى خادم كان على رأسه فذهب مسرعًا فإذا خدم قد جاؤوا يحملون الميادَ[55] وفيها الطعام فوُضعت، ثمّ نُصبت موائد الذهب وصحاف الفضّة فقال لي: كلْ. فقبضت يدي وقلت إنّ رسول الله ﷺ نهى عن

(53) مكرّرة في الأصل.

(54) في الأصل: ات.

(55) كذا في الأصل، ولعلّ المقصود الموائد.

الأكل في آنية الذهب والفضّة. قال: نعم، نقّ قلبك وكلْ. فأكلت في الحنتم وأكل في الذهب ثمّ جيء بطِساس الذهب وأباريق الفضّة فغسل يده في الذهب وغسلت في الصُفر. ثمّ أومأ إلى خادم بين يديه فمرّ مسرعًا فسمعت حسًّا فإذا خدم معهم كراسيّ مرصّعة بالجوهر فوُضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله، ثمّ جاءت الجواري عليهنّ تيجان الذهب فقعدن عن يمينه ويساره على تلك الكراسيّ، ثمّ جاءت جارية كأنّها الشمس حسنًا على رأسها تاج، على ذلك التاج طائر لم أرَ أحسن منه وفي يدها اليمنى جامة فيها مسك فتيت وفي يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد. فأومأت تلك الجارية أو صفرت بالطائر الذي على تاجها فوقع في جامة ماء الورد فاضطرب فيه، ثمّ أومأت إليه أو صفرت فوقع في جامة المسك فتمرّغ فيه، ثمّ [70ب] أومأت إليه فطار حتّى نزل على صليب في تاج جبلة فلم يزل يرفرف حتّى نفض ما في ريشه عليه وضحك جبلة من شدّة السرور حتّى بدت أنيابه، ثمّ التفت إلى الجواري اللواتي عن يمينه فقال لهنّ: بالله أضحكننا. فاندفعن يغنّين تخفق عيدانهنّ ويقلن: [من الكامل]

لله درُّ عصـــــابةٍ نـــــادمتُهم ... يومًـــا بجِلَّـــقَ في الزمـــانِ الأوّلِ
يسـقونَ مَـنْ وردَ الـبريصَ عليـهمُ ... راحًـا تصـفَّقُ بـالرحيقِ السلسـلِ
أولادُ جفنـــةَ حـــولَ قـــبرِ أبـــيهمُ ... قـبرِ ابـنِ ماريـةَ الكـريمِ المُفضِـلِ
بـيضُ الوجـوهِ كريمـةٌ أحسـابُهمْ ... شُـمُّ الأنـوفِ مِـن الطـرازِ الأوّلِ

قال: فضحك حتّى بدت أنيابه، ثمّ قال: أتدري من يقول هذا؟ قلت: لا. قال: حسّان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ. ثمّ أشار إلى الجواري عن يساره فقال لهنّ: أبكيننا. فاندفعن يغنّين: [من الخفيف]

لمَـــنِ الـــدارُ أقفـــرَتْ بعُمـــانِ ... بـــينَ أعلـــى اليرمـــوكِ والخمّـــانِ
دارُ مغنًّـــى لآلِ جَفنـــةَ في الدهـــ ... ـــرِ محـــلًّا لحـــادثِ الأزمـــانِ

قــدْ أراني هنــاكَ دهــرًا مكينًــا عنــدَ ذي التــاجِ مقعــدي ومكــاني
ودنــا الصــبحُ فالولائــدُ ينظمــ ـــنَ ســراعًا أكلّــةَ المرجــانِ

قال: فبكى حتّى سالت دموعه على لحيته وقال: أتدري من يقول هذا؟ قلت: لا. قال: حسّان. ثمّ أنشدني: [71أ] [من الطويل]

تنصّـرَتِ الأشـرافُ مِـنْ أجـلِ لطمـةٍ وما كـانَ فيهـا لـوْ صـبرتُ لهـا ضـرَرْ
تكنّفَنــي منهــا لجــاجٌ ونخــوةٌ وبعـتُ لهـا العـينَ الصـحيحةَ بـالعوَرْ
فيـا ليـتَ أمّـي لـم تلـدْني وليتَنـي رجعـتُ إلـى الأمـرِ الـذي قالَـهُ عُمَـرْ
ويـا ليتَنـي أرعـى المخـاضَ بقفـرةٍ وكنــتُ أســيرًا في ربيعــةَ أو مُضَــرْ
ويـا ليـتَ لـي بالشـامِ أدنـى معيشـةٍ أجـالسُ قـومي ذاهـبَ السـمعِ والبصَـرْ

ثمّ سألني عن حسّان أحيّ هو فأمر له بكسوة ولي كذلك، وأمر بمال لحسّان ونوق موقّرة بُرًّا ثمّ قال: إن وجدته حيًّا فادفع الهديّة إليه وإن وجدته ميتًا فادفعها إلى أهله وانحر النوق على قبره. قال: فلمّا أخبرت عمر رضي الله عنه بخبره وما اشترط عليّ وما ضمنت له قال: فهلّا ضمنت له الأمر فإذا أفاء الله به قضى علينا بحكمه. ثمّ جهّزني عمر إلى هرقل ثانيةً وأمرني أن أضمن له ما اشترط، فلمّا دخلت القسطنطينيّة وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت أنّ الله قد غلب عليه في أمّ الكتاب[56].

وأخبار هرقل مشهورة، قال بعض المؤرّخين، وأظنّه وَهِمَ، أنّ جدّه الأعلى صاحب الواقعة مع سابور بن هرمز الملقّب بذي الأكتاف، وهي ما حكى ابن بدرون[57] في شرح البسّامة وابن ظفر في سلوان المطاع [71ب] وغيرهما أنّه لمّا غلبت العرب على سواد العراق أوقع بهم سابور وعمّهم بالقتل وخلع أكتاف كثير

(56) انظر الروض المعطار 169–171.
(57) في الأصل: ابن زيدون.

منهم فسُمّي بذلك سابور ذا الأكتاف وما أفلت منهم إلّا نفر لحقوا بأرض الرّوم[58].

ثمّ إنّ سابور بعد ذلك سار إلى بلاد الرّوم متنكّرًا واستصحب وزيرًا كان له ولأبيه من قبله، وكان شيخًا ذا دهاء، وحزم، وسداد رأي، وحنكة، وبصر بالديانات، وتبحّر في العلوم، وخبرة بالمكائد فسلّم إليه سابور جميع ما يظنّ أنّ به إليه حاجة وأمره أن ينحاز عنه في قرب منه مع مراعاته في جميع أحواله ليله ونهاره. فجعل الوزير يتعهّد أحوال سابور في كلّ وقت إلى أن صنع قيصر وليمةً عظيمةً وحشد إليها الناس على طبقاتهم وتهدّد من تخلّف عنها، فأراد سابور حضورها ليطّلع على هيئة قيصر وهمّته في قصره وذخائره، فنهاه وزيره عن التغرير بنفسه فعصاه وتزيّا بزيٍّ ظنّ أنّه يستره ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة.

وقد كان قيصر لمّا بلغه ما أيّد الله تعالى به سابور من لطف الفطنة، وعظم الهمّة، وشدّة البأس في حال صباه حذّره حذرًا شديدًا فبعث إلى حضرته بمُصوّر ماهر فحكى صورة سابور في مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من ضروب الأحوال التي [72أ] شاهده المصوّر عليها، وقدم بتلك الصورة على قيصر فأمر قيصر بأن تصوّر تلك الصورة على فُرشُه وستوره وفي آلات أكله وشربه فصنع ذلك على ما أمر به ورسمه.

ولمّا دخل سابور دار قيصر واستقرّ في مجلسه وطعم مع من حضر ذلك المجلس أتوا بالشراب في كؤوس البلّور، والذهب، والفضّة، والزجاج المحكم.

وكان في المجلس رجل من حكماء الرّوم ودهاتهم ذو فراسة صادقة فلمّا وقعت عينه على سابور أنكره وجعل يتأمّل شخصه ونظرته وشارته، فرأى عليه مخايل الرئاسة فطفق يستشفّه ولا يصرف بصره عنه. فأُتي ذلك المتفرّس[59] الرّوميّ

(58) انظر شرح قصيدة ابن عبدون 41–42.

(59) في الأصل: المفترس.

بكأس فيه صورة سابور فتأمّلها فانطبعت في نفسه مثالًا لذلك الشخص الذي أنكره وغلب على ظنّه أنّه سابور، فأمسك القدح في يده إمساكًا طويلًا ثمّ قال رافعًا صوته: إنّ هذه الصورة التي في هذا القدح تخبرني خبرًا عجيبًا، فقيل له: ما الذي تخبرك؟ فقال: تخبرني أنّ الذي هي مثال له معنا في مجلسنا هذا، ونظر إلى سابور وقد تغيّر حين سمع مقالته فحقّق ما ظنّه به وأعاد القول. فبلغ كلامه قيصر فأدناه وسأله فأخبره أنّ سابور معه في مجلسه وأشار إليه، فأمر قيصر بالقبض على سابور فقُبض عليه وقُرّب من قيصر فسأله [72ب] عن نفسه فتعلّل بضروب من العلل، فقال ذلك المتفرّس[60]: لا تقبلوا قوله فهو سابور لا محالة. فأمر قيصر بقتله ليرعبه بذلك فاعترف لهم بأنّه سابور، فحبسه قيصر مكرّمًا وأمر فعُملت له من جلود البقر صورة بقرة كأعظم ما يكون من البقر، وطوبقت عليها الجلود سبع طبقات، واتُّخذ لها باب من أعلاها في ظهر الصورة يدخل إليها ويخرج منه، وجُعلت فيها كوّة من أسفلها في موضع المبال. وأمر بسابور فجُمعت يداه إلى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة يمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام أو غيره. وأدخل سابور في جوف تلك الصورة ووكّل بها مائة رجلٍ من ذوي البأس والقوّة يحملونها دولًا بينهم، وجعل على كلّ خمسة منهم رئيسًا يضبط أمرهم، وصرف جميع أمرهم إلى المطران، ومعنى هذا اللقب صاحب البلد إلّا أنّها رئاسة دينيّة وهو خليفة البترك، وذلك بعد أن حشد قيصر جنوده واستعدّ لغزو بلاد الفرس وسار محتفلًا في جنوده وقد عزم على إخراب بلاد الفرس وتعفية معالم ملكهم لعلمه أن لا دافع يدفعه عنهم. فكانت تلك الصورة تُحمل بين يدي المطران فإذا نزل العسكر أُنزلت الصورة التي فيها سابور [73أ] في متوسّط العسكر، وضُربت عليها قبّة تسترها وأطاف بها خمسون من الموكلين بها ورؤساؤهم معهم، وضُربت حولها عشر قباب مستديرة بها في كلّ قبّة خمسة ورئيسهم معهم، وضُربت للمطران قبّة لمجاورة قبّة سابور. وكان وزير

(60) في الأصل: المفترس.

سابور صحب المطران في مسيره هذا وصار يحدّثه بنفائس الأخبار ويدسّ في حديثه ما يجب أن يسمعه سابور ويستريح به، والمطران لا يعرف أنّه وزير سابور بل تظاهر بمداواة الجرحى. وتُضرب خارج القباب كلّها قبّة يُصنع فيها طعام الموكلين بقبّة سابور على حسب أقدارهم ومراتبهم[61].

وفي شأن سابور ودخوله أرض الرّوم يقول بعض شعراء العرب: [من البسيط]

وكانَ سابورُ صفوًا في أرومتِهِ ... اختيرَ منها فأضحى وهوَ مختارُ
إذْ كانَ بالرّوم جاسوسًا يطيفُ بها ... حومَ البريّةِ مِنْ ذي كيدِ مكّارِ
فاستأسروهُ وكانَ كبوةً عجبًا ... وزلّةً سبقَتْ مِنْ غَيرِ عثّارِ
وأصبحَ الملكُ الرّوميُّ مقتريًا ... أرضَ العراقِ على هولٍ وأخطارِ[62]

ومضمون الأمر أنّ قيصر بلغ في مسيره جندي سابور وهي مدينة ملكه بعد أن أفسد في مملكة الفرس، ثمّ خُلّص سابور بحيلة من وزيره وانقلب الدست على قيصر فقُبض فأبقى عليه سابور كما فعل معه ثمّ خلص إلى بلاده، والقصّة مستوفاة في سلوان المطاع[63].

[73ب] وكان سابور على ما ذكر ابن إسحاق غزا الساطرون[64] وقيل الضيزن ملك الحضر فحصره سنتين فأشرفت بنته من الحصن وكان اسمها النضيرة، فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من الذهب مكلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان وسيمًا جميلًا فدسّت إليه: أتتزوّجني إن فتحت لك باب الحضر؟ قال: نعم. فلمّا أمسى أبوها شرب حتّى سكر ونام فأخذت مفاتيح الحضر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولًى لها، ففتحه وقتل الساطرون واستباح الحضر وخرّبه.

(61) انظر سلوان المطاع 53 و55–57.
(62) انظر شرح قصيدة ابن عبدون 45.
(63) انظر سلوان المطاع 60–72.
(64) في الأصل: ساطرون.

واحتمل النضيرة فأعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضوّر وفرشها الخزّ محشوّ بالقزّ، فالتمس سابور ما كان يؤذيها فإذا ورقة آسٍ قد لصقت بعكنها، وقيل على فراشها، وكان يُنظر مخّها من لين بشرتها فقال لها سابور: هذا الذي أسهرك؟ قالت: نعم. فقال لها: أيّ شيء كان يغذوك أبوك؟ فقالت: بالزبد، والمخّ، وشهد فراخ النحل، وصفو الخمر، وكان يفرش لي الديباج ويُلبسني الحرير. فقال: أكان جزاء أبيك ما صنعت به؟ أنت بذلك إليّ أسرع؟ ثمّ أمر بها فرُبطت إلى فرسين جامحين ثمّ أُرسلا فقطعاها قطعًا[65].

وكانت ملوك الإسلام وملوك الرّوم يتكاتبون ويتراسلون [74أ] تارةً في الحرب، وتارةً في السلم، وتارةً في المهادنة، وتارةً في المهادلة، وتارةً في الإغراب على بعضهم بعض، وغير ذلك.

حكى الشعبيّ قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الرّوم فلمّا وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلّا أجبته. وكانت الرسل لا تطيل عنده فحبسني أيّامًا كثيرةً حتّى استحثثت خروجي، فلمّا أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟ فقلت: لا، ولكنّي من العرب في الجملة. فهمس بشيء فدُفعت إليّ رقعة وقال: إذا أدّيت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة. فلمّا قرأها عبد الملك قال: أقال لك شيئًا قبل أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت: لا، ولكنّي من العرب في الجملة. فقال لي عبد الملك: أتدري ما في الرقعة؟ قلت: لا. قال: فاقرأها. فقرأتها فإذا فيها: عجبتُ من قوم فيهم مثل هذا كيف ملّكوا غيره. فقلت: والله لو علمت ما حملتها وإنّما قال هذا لأنّه لم يرك. قال: أفتدري لمَ كتبها؟ قلت: لا. قال: حسدني عليك وأراد أن يغريني بقتلك. فبلغ كلامه ملك الرّوم فقال: ما أردت إلّا ما قال[66].

(65) انظر الروض المعطار 204.

(66) انظر وفيات الأعيان 3/ 13.

وحكى أبو العبّاس المبرّد في الكامل أنّ ملك الرّوم كتب إلى معاوية رضي الله عنه: إنّ الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منّا ويجهد [74ب] أن يُغرب بعضهم على بعض أفتأذن لي في ذلك؟ فأذن له فوجّه إليه ملك الرّوم برجلَيْن أحدهما طويل جسيم والآخر أيّدٌ، فقال معاوية لعمرو بن العاص رضي الله عنهما [67]: أمّا الطويل فقد أصبنا كفؤه وهو قيس بن سعد بن عُبادة، وأمّا الآخر فقد احتجنا إلى رأيك فيه. فقال عمرو: هاهنا رجلان وكلاهما إليك بغيض: محمّد بن الحنفيّة وعبد الله بن الزبير. قال معاوية: مَن هو أقرب إلينا على كلّ حال. فلمّا دخل الرجلان اللذان بعثهما ملك الرّوم وجّه معاوية إلى قيس يعلمه، فدخل قيس فلمّا مَثُل بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها للروميّ فلبسها فبلغت ثَندُوَته فأطرق مغلوبًا، فيُقال إنّ قيسًا لاموه على تبذّله بحضرة معاوية وقيل له هلّا وُجّهت إلى غيرها فقال: [من الطويل]

أرَدتُ لِكَيما يعلمَ الناسُ أنّها ... سراويلُ قيسٍ والوفودُ شهودُ
وأنْ لا يقولوا غابَ قيسٌ وهذه ... سراويلُ عاديٍّ نَمَتْهُ ثمودُ [68]

ثمّ وجّه معاوية إلى محمّد بن الحنفيّة فحُضّر وخُبّر بما دُعي له فقال: قولوا للروميّ إن شاء فليجلس ويعطني [69] يده حتّى أقيمه أو يقعدني، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد. فاختار الرّوميّ الجلوس فأقامه محمّد وعجز هو عن إقعاده، ثمّ اختار الرّوميّ أن يكون محمّد [75أ] هو القاعد فجذبه محمّد فأقعده وعجز الرّوميّ عن إقامته فانصرفا مغلوبَين [70].

وكتب ملك الرّوم إلى معاوية رضي الله عنه: أخبرني عمّن لا قبلة له، وعمّن لا أب له، وعمّن لا عشيرة له، وعمّن سار به قبره، وعن ثلاثة أشياء لم تُخلق في رحم،

(67) أضاف الناسخ فوق الكلمة عبارة: أي عمرو ومعاوية.
(68) في الأصل: يهود.
(69) في الأصل: يعطيني.
(70) انظر الكامل 2/ 85–86.

وعن شيء، وعن نصف شيء، وعن لا شيء، وابعث لي في هذه القارورة ببزر كلّ شيء. فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما فقال: أمّا من لا قبلة له فالكعبة، وأمّا من لا أب له فعيسى عليه السلام، وأمّا من لا عشيرة له فآدم عليه السلام، وأمّا من سار به قبره فيونس عليه السلام، وأمّا ثلاثة أشياء لم تُخلق في رحم فكبش إبراهيم، وناقة صالح، وحيّة موسى عليه السلام. وأمّا شيء فالرجل له عقل يعمل به، وأمّا نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول، وأمّا لا شيء فالرجل ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره. وملأ القارورة ماءً وقال: هذا بزر كلّ شيء. فبعث به معاوية رضي الله عنه إلى قيصر فلمّا وصل إليه الكتاب والقارورة قال: ما خرج هذا الكلام إلّا من بيت نبوّة[71].

وكتب ملك الرّوم إلى عبد الملك بن مروان: أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك، لأغزينّك جنودًا مائة ألف [75ب] ومائة ألف. فكتب عبد الملك إلى الحجّاج أن تبعث إلى عليّ بن الحسين رضي الله عنهما وتتوعّده وتكتب إليّ بما يقول. ففعل فقال له عليّ بن الحسين: إنّ لله لوحًا محفوظًا يلحظه في كلّ يوم ثلثمائة لحظة، ليس منها لحظة إلّا يُحيي فيها ويُميت، ويُعزّ ويُذلّ، ويفعل ما يشاء، وإنّي لأرجو أن يكفينيك بلحظة واحدة. فكتب به الحجّاج إلى عبد الملك وكتب به عبد الملك إلى ملك الرّوم فلمّا قرأه قال: ما خرج هذا إلّا من كلام النبوّة[72].

وحكى اليافعيّ في تاريخه أنّ الوليد بن عبد الملك صعد المنبر فسمع صوت ناقوس فقال: ما هذا؟ فقيل: البيعة. فأمر بهدمها وتولّى بعض ذلك بيده فتتابع الناس يهدمون، فكتب إليه الأخرم ملك الرّوم: إنّ هذه البيعة قد أقرّها من كان قبلك فإن يكونوا أصابوا فقد أخطأت وإن تكن أصبت فقد أخطؤوا. فقال الوليد: من يجيبه؟ فقال الفرزدق الشاعر يكتب إليه: ﴿**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ**

(71) انظر العقد الفريد 2/ 71–72.

(72) انظر المصدر نفسه 2/ 73.

**نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾**[73].

وممّا يُؤثر عن ملوك الرّوم من الحلم، والأناة، والكرم ما حكاه ابن خالويه قال: قال لي الأمير أبو فراس الحمدانيّ ابن عمّ سيف الدولة: لمّا حصلت [76أ] أسيرًا بالقسطنطينيّة أكرمني ملك الرّوم لمّا حُملت إليه كرامةً لم يكرم بها أسيرًا جاء قطّ، وذلك أنّ من رسومهم أن لا يركب الأسير في مدينة ملكهم دابّةً قبل لقائه الملك، وأن يمشي في ملعب لهم بالبطوم[74] مكشوف الرأس ويسجد للملك ثلاث سجدات، ويدوس الملك رقبته في مجمع لهم يُعرف بالقدر هذا فيمن كان له قدر من المسلمين. فأعفاني من ذلك كلّه ونقلني إلى دار حسنة وجعل فيها برطسان يخدمني، ونقل إليّ من أردته من المسلمين وبدأ بي في المفاداة منفردًا فأبيت من ذلك بعد ما وهب الله لي من العافية ورزقني من الجاه والكرامة، وكرهت أن أختار نفسي على المسلمين وشرعت مع الملك في الفداء ولم يكن الأمير سيف الدولة يستبقي أسارى الرّوم إذا ظفر بهم. وكان في أيدي الرّوم يومئذ فضل ثلاثة آلاف أسير ممّن أُخذ من الأعمال والعساكر من المسلمين، فابتعتهم من الملك بمائتي ألف دينار روميّة على أن ندفع الفداء وضمنت المال والمسلمين وخرجت بهم عن القسطنطينيّة وتقدّمت بوجوههم إلى خرشنة، ولم يُعقد قطّ فداء مثل هذا مع أسير قبلي وقلت في ذلك: [من الطويل]

ولله عندي في الإسار[75] وغيرِهِ مواهبُ لمْ يَخْصُصْ بها أحدًا قبلي

[76ب]

حَلَلْتُ عقودًا أعجزَ الناسَ حلُّها وما زلتُ لا عَقدي يُذمُّ ولا حَلّي

(73) سورة الأنبياء: 78–79. انظر مرآة الجنان 1/ 189–190.

(74) في الأصل: بالبطرم.

(75) في الأصل: الأسارى.

إذا عـايَنَتني الـرّوم كبّـرَ صـيدُها كـأنَّهُمُ أَسـرى لـديَّ وفي كَبلـي
وأوسـعُ أيّامًـا طلبـتُ كرامـةً كـأنّيَ مِـنْ أَهلـي نُقلـتُ إلـى أَهلـي
فقـلْ لِبنـي عمّـي وأبلِـغ بَنـي أبـي بـأنّيَ في نَعمـاءَ يشـكرُها مِثلـي
ومـا شـاءَ رَبّـي غيـرَ نشـرِ مَحاسـني وأنْ يَعرفوا ما قَدْ عرفتُمْ مِن الفضلِ[76]

وقال ابن خالويه: لمّا انتهيت في شرح ديوان الأمير أبي فراس إلى القصيدة التي سمّاها الشافية يمدح فيها أهل البيت وينتصر لهم من بني العبّاس، قال فيها في مدح أهل البيت: [من البسيط]

لا يغضـبونَ لغيـرِ اللهِ إنْ غضِـبوا ولا يُضـيعونَ حـقَّ اللهِ إنْ حَلُمـوا
مـا في ديـارِهمُ للخمـرِ مُعتَصـرٌ ولا يُـرى لهُـمُ قِـردٌ لـهُ حَشَـمُ[77]

قال الإسعرديّ في تاريخه: القرد هو الذي كان يركب في دولة الرشيد وحوله الخدم والحشم[78].

قال الخطيب أبو بكر في تاريخه: إنّ بعض ملوك الهند أهدى إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد هديّةً تشتمل على أشياء نفيسة، من جملتها قرد أبيض الوبر في مقدار غلام عمره اثنتا عشرة[79] سنةً وكان يُحسن لعب الشطرنج فاستوهبته منه أمّ جعفر والدة الأمين وصيّرته يركب في جماعة من الخدم والحشم. وبلغ من أمره أنّه كان يجلس على كرسيّ من الأبنوس مصفّح بالذهب في دهليز قصر الرشيد عند الصباح [77أ] فكان لا يدخل أحد من القوّاد على الرشيد حتّى يسكع لذلك القرد وربّما كان منهم من يقبّل يده. وتمّت الدولة على ذلك برهةً من الزمان فاتّفق أن قدم

(76) انظر ديوان أبي فراس الحمدانيّ 282–283.
(77) انظر المصدر نفسه 300 و303 و304.
(78) لم نهتدِ إلى كتاب الإسعرديّ.
(79) في الأصل: اثنا عشر.

يزيد بن مزيد الشيبانيّ على الرشيد من بعض غزواته وكان غائبًا من مدّة طويلة فلمّا أراد العبور على الرشيد أُمر بأن يسكع للقرد على جاري عادتهم فتوقّف عن ذلك. ثمّ سأل بعض خواصّ الدولة عن الخبر فعرّفه صورة الحال فلمّا فهم مضمون الأمر اخترط سيفه وضرب القرد ضربةً ألقته عن الكرسيّ دلوين، ثمّ أغمد سيفه ودخل على الرشيد وبلغ أمّ جعفر قتلُه فامتعضت لذلك امتعاضًا شديدًا وحرّضت بعلها هارون الرشيد على قتل يزيد فلم يوافقها على ذلك ومضى دم القرد هدرًا[80].

قال الثعلبيّ في العرائس: لمّا وصل سليمان بن داود صلوات الله عليهما إلى وادي القردة من أرض سبأ أتته القردة خاضعين وقالوا له: يا نبيّ الله إنّا من اليهود الذين اعتدوا في السبت فمُسخوا قردةً ونحن من نسلهم، ونحن يا نبيّ الله على دين موسى نستعمل السبت والرجم وسائر أحكام التوراة، وإنّا قد سمعنا من آبائنا وأجدادنا أنّك نبيّ الله وخليفته وأنّه سخّر لك الإنس والجنّ وعلّمك منطق الطير فإن رأيت أن تُقرّنا [77ب] في هذا الوادي فافعل. قال سليمان: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ**...﴾[81]. ثمّ كتب لهم سجلًّا على لوح من نحاس وجعله في عنق كبيرهم ليتوارثوه ولا يُتعرّض لهم في واديهم[82].

وقد رُوي عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ما يصدّق ذلك وهو ما روى حجر بن مسعود التميميّ أنّ رجلًا من صنعاء جاء إلى عمر بن الخطّاب وأخبره بوادي القردة وما فيه من الخيرات فوجّه إليه عمر بجند من أصحابه. قال: فلمّا وقفنا على الوادي عبّينا كتائبنا فعبّوا القردة مثلنا، فلمّا صافّونا خرج لنا شيخ كبير منهم في عنقه لوح من نحاس منقور محفور وأومأ إلينا يطلب بعضنا، فلمّا صار إليه واحد منّا نكس القرد رأسه ووضع اللوح وانصرف، فأخذناه وطلبنا من يقرأه فلم يكن فينا من اهتدى

(80) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغداديّ.

(81) سورة هود: 103.

(82) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب العرائس للثعلبيّ.

لقراءته فبعثنا به إلى عمر رضي الله عنه فعرضه على من عنده من الكتبة فأعياهم حتّى قرأه واحد فإذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من سليمان بن داود ملك الإنس والجنّ كتبه لقردة وادي كذا من أرض سبأ، إنّي قد أمكنتكم من هذا الوادي فلا يتعرّض لكم أحد إلّا بسبيل خير. فقال عمر: الله أكبر، إنّا أوّل من أمضى السجلّ. وكتب إلى أمير جيشه [78أ] وأمره بتسليم اللوح إليهم والانصراف عنهم. قال: فسلّموا إليهم اللوح فلمّا انصرفوا قال واحد من الجيش: إنّا لفي جبل من ذلك الوادي وإذا نحن بقرد وضع رأسه في حجر زوجته وقد نام إذ جاء قرد آخر فوقف حذاءها، فوضعت رأس زوجها رويدًا وقامت إلى ذلك القرد فضاجعها كما يضاجع الرجل أهله. قال: فانتبه القرد فلم يرَ زوجته فاتّبع أثرها فلمّا دنا منها شمّها فعلم أنّها زنت، فصاح صيحةً اجتمع عليه خلق كثير من القردة. فكلّمهم بلغته وأخبرهم بفعلها فأومأت برأسها قد فعلت فحفروا لها حفيرة ونحن ننظر إليهم، فرجموها ودفنها زوجها في تلك الحفيرة. وكان أوّل من رجمها شيخهم الذي كان اللوح في عنقه وتتابعت القردة في رجمها حتّى ماتت. فلمّا انصرفنا إلى عمر حدّثناه بذلك فقال عمر رضي الله عنه: على هذا أقرّهم سليمان بن داود صلوات الله وسلامه عليه[83]. وقد خرجنا عن المقصود لاتّصال الكلام، ولنرجع إلى ما نحن بصدده.

ومن المأثور عن ملوك الرّوم من المعروف ما أجمع عليه أصحاب السير أنّ قريشًا كانوا وكانت[84] تجاراتهم لا تعدو مكّة إنّما يقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ويتبايعون فيما بينهم [78ب] ويبيعون ممّن حولهم من العرب. فلم يزالوا كذلك حتّى خرج هاشم بن عبد مناف بن قصيّ [إلى] الشام فكان يذبح كلّ يوم شاةً ويصنع جفنة ثريد ويدعو مَن حوله فيأكلون، وكان هاشم من أحسن الناس وأجملهم إلى شرف نفسه وكرم فعاله. فذُكر لقيصر ملك الرّوم فدعا به فلمّا رآه

(83) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.
(84) كذا في الأصل.

وكلّمه أُعجب به وأدناه فلمّا رأى هاشم مكانه من قيصر طلب منه أمانًا لقومه ليقدموا بلاده بتجاراتهم، فأجابه إلى ذلك وكتب له قيصر كتاب أمان لمن أتى منهم. فأقبل هاشم وكلّما مرّ بحيّ من أحياء العرب أخذ من أشرافهم إيلافًا لقومه يأمنون به عندهم وفي أرضهم من غير حلف إنّما هو أمان الطريق، واستوفى ممّن بين مكّة والشام فأتى قومه بأعظم شيء أُتوا به قطّ بركةً. ثمّ خرج أخوه المطّلب إلى اليمن ففعل كذلك، ثمّ خرج عبد شمس إلى الحبشة ففعل كذلك، ثمّ خرج نوفل، وهو أصغرهم، إلى كسرى بالعراق ففعل كذلك[85]، والقضيّة مشهورة والفضل للمتقّدم.

وقال الإسعرديّ في تاريخه: إنّ ملك الرّوم أهدى إلى الرشيد جملة سيوف قلعيّة، فأمر الرشيد بإحضار صمصامة عمرو بن معد يكرب[86] وإرسالُ ملكِ الرّوم حضورٌ فجعل يقطُّ بها السيوف سيفًا سيفًا، ثمّ أراهم حدّ الصمصامة فإذا ليس به [79أ] فَلّ[87]. ولمّا صار الصمصامة إلى أخيه[88] موسى الهادي دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة فقال: قولوا في هذا السيف، فقال ابن يامين المصريّ: [من الخفيف]

ما يُبالي مَنِ انتضاهُ لحربٍ ... أشمالٌ سطَتْ بِهِ أمْ يَمينُ
يستطيرُ الأبصارَ كالقبَسِ المُشـ ... ـعَلِ ما تستقرُّ فيهِ العيونُ
وكأنَّ الفرندَ والجوهرَ الجا ... ري في صفحتَيهِ ماءٌ معينُ

فقال موسى: أصاب ما في نفسي واستخفّه الطرب، فأمر له بالسيف والمكتل فلمّا خرج قال للشعراء: إنّما حُرمتم من أجلي، فدفع إليهم البدرة وأخذ السيف فاشتُري منه بمال عظيم[89].

(85) انظر المنمّق في أخبار قريش 41–45.
(86) في الأصل: عمرو ابن معدي كرب.
(87) لم نهتدِ إلى كتاب الإسعرديّ. ورد هذا الخبر في العقد الفريد 2/ 73، مع بعض الاختلاف.
(88) في الأصل: ابنه.
(89) ورد هذا الخبر في زهر الآداب 3/ 836–837.

قال البديع الهمذانيّ من رسالة له: قد حكمت علماء الأمّة واتّفق قول الأئمّة على أنّ سيوف الإسلام أربعة وسائرها للناس: سيف رسول الله ﷺ في المشركين، وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدّين، وسيف عليّ رضي الله عنه في الباغين، وسيف القصاص بين المسلمين[90].

قلت: وسيف الفرزدق يضربون به المثل للسيف الكليل في يد الجبان، وأصل ذلك أنّ جريرًا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس إلى الفرزدق وكان ممّن يتعصّب عليه لجرير فقال له: إنّ الخليفة غدًا سيأمرك بضرب عنق أسير من الرّوم وهذا سيفي يكفيك منه ضربة واحدة، وأتاه [79ب] بسيف كهامٍ فأخذ منه السيف ووثق به. فلمّا كان الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجيء بالأسرى وأمر سليمان بواحد منهم هائل المنظر أن يُروّع الفرزدق ويلتفت إليه ويفزعه ووعده أن يُطلقه، ثمّ قال للفرزدق: قم فاضرب عنقه. فسلّ ذلك السيف وضربه فلم يؤثّر فيه وكَلَحَ الرّوميّ في وجه الفرزدق فارتاع منه فضحك سليمان والقوم فقال جرير يُعيّره: [من الطويل]

بسيفِ أبي رغوانَ[91] سيفِ مُجاشعٍ
ضَرَبْتَ ولم تضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ
ضَرَبْتَ بِهِ عندَ الإمامِ فأُرْعِشَتْ
يداكَ وقالوا مُجذبٌ غيرُ صارمِ

فأجابه الفرزدق: [من الطويل]

ولا نقتلُ الأسرى ولكنْ نفكُّهُمْ
إذا أثقلَ الأعناقَ حَمْلُ المَغارمِ

(90) انظر كشف المعاني والبيان 23.
(91) في الأصل: أبي دعوان.

فهـــلْ ضـــربةُ الرّومـــيِّ جاعلـــةٌ لَـــهُ
أبًـــا ككُليـــبٍ أو أخًـــا مثـــلَ دارمِ[92]

وسيف الله تعالى هو خالد بن الوليد رضي الله عنه سمّاه به رسول الله ﷺ لحسن آثاره في الإسلام وشجاعته[93].

لمّا فرّ كسرى إلى إصطخر حين دخل عليه المسلمون المدائن وغلبوه عليها وأُخذت أمواله ونفائس عدّته وجدوا فيها خمسة أسياف لم يُر مثلها، أحدها سيف كسرى أنوشروان، وسيف هرقل صار إلى كسرى أيّام غَلَبته على الرّوم في المدّة المذكورة [80أ] في القرآن، وسيف كسرى أبرويز، وسيف النعمان بن المنذر، وسيف خاقان ملك الترك[94].

ولمّا فتح المسلمون طُليطلة، وكانت دار مملكة الرّوم كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وجدوا فيها ذخائر عظيمة منها مائة وسبعون تاجًا من الذهب مرصّعةً بالدرّ وأصناف الحجارة الثمينة، ووُجد فيها ألف سيف مجوهر ملوكيّ[95].

ولمّا ورد رسول ملك الرّوم على المقتدر احتفل بجلوسه له وأقام له الجيش بالسلاح والسيوف المحلّاة وكانوا مائة وستّين[96] ألفًا، ثمّ الغلمان وكانوا سبعة آلاف، وكانت الحجّاب سبعمائة، وعُلّقت ستور الديباج وكانت ثمانيةً وثلاثين ألف ستر من البسط وغيرها، وممّا كان في الدار سبعمائة سلسلة. ثمّ أُدخل رسول ملك الرّوم دار الشجرة وفيها بركة وهي شجرة لها أغصان عليها طيور مذهّبة وأوراقها مختلفة الألوان، وكلّ طائر يصفر بأصوات مختلفة بحركات مصنوعة. ثمّ أُدخل إلى

(92) انظر ثمار القلوب 220–221.
(93) انظر المصدر نفسه 21.
(94) انظر الروض المعطار 45.
(95) انظر المصدر نفسه 393.
(96) في الأصل: ستّون.

الفردوس وفيه من الفرش والآلات ما لا يقوّم، ذكر ذلك اليافعيّ في تاريخه[97].

قال ابن الأثير في تاريخه: بعثت أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه زوجة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى امرأة ملك الرّوم هرقل [80ب] بطيب وشيء يصلح للنساء مع البريد، فأبلغه إليها، فأهدت امرأة الملك إليها هديّةً، منها عقد فاخر. فلمّا رجع البريد أخذ عمر ما معه ونادى: الصلاة جامعة. فاجتمع المسلمون وأعلمهم الخبر فقالوا: هو لها بالذي كان لها وليست امرأة الملك بذمّة حتّى تصانعك. وقال آخرون: قد كنّا نهدي لنستثيب، فقال عمر: لكنّ الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظّموها في صدرها، وأمر بردّ العقد إلى بيت المال وأعطاها بقدر نفقتها[98].

ولمّا غزا زفر بن عاصم الهلاليّ بلاد الرّوم بلغ أنقرة ثمّ رجع إلى حصن سنارة فحاصره ثمانية أيّام وافتتحه عنوةً. وكانت به بنت أخت ملكة الرّوم وهي في نهاية الجمال فأسرها فجاءت الرسل في فدائها، ولم يزالوا يتخضّعون لأكابر القوّاد حتّى بذلوا فيها مائة ألف دينار وألفًا[99] وخمسمائة أسير من المسلمين، فتسلّم منهم الجميع ودفع إليهم البنت بعد أن كان تعدّى بها درب موزار فرجعوا بها. فلمّا بلغ المنصور فعله استصوب رأيه وشكره على فعله في خلاص الأسرى وقبض المال. ولم تمضِ إلّا أيّام قلائل حتّى وردت الأخبار بموتها قبل أن تصل إلى حصنها[100].

وقال ابن حيّان في المقتبس: وجّه الأمير عبد الرحمن [81أ] ابن الحكم المروانيّ شاعره يحيى بن الحكم المعروف بالغزال إلى ملك الرّوم فأعجبه حديثه وخفّ على قلبه وطلب منه أن ينادمه، فامتنع الغزال من ذلك واعتذر بتحريم الخمر. وكان يومًا جالسًا معه وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها وهي كالشمس الطالعة،

(97) انظر مرآة الجنان 2/ 184.

(98) انظر الكامل في التاريخ 2/ 469.

(99) في الأصل: ألف.

(100) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.

فجعل الغزال لا يميل بطرفه عنها والملك يحدّثه وهو لاهٍ عن حديثه فأنكر ذلك عليه وأمر الترجمان بسؤاله فقال: عرِّفه أنّه قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه فإنّي لم أر قطّ مثلها. وأخذ في وصفها والتعجّب من جمالها وأنّها شوّقته إلى الحور العين. فلمّا ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده وسُرّت الملكة بقوله وأمرت الترجمان أن يسأله عن السبب إلى دعاء المسلمين إلى الختان وتجشّم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خلوّه من الفائدة. فقال للترجمان: عرِّفها أنّ فيه أكبر فائدة وذلك أنّ الغصن إذا زُبِرَ قوي واشتدّ وغلظ وما دام لا نفعل به ذلك لا يزال رقيقًا ضعيفًا، فضحكت من قوله وفطنت لتعريضه[101].

قيل: أوّل من اختتن إبراهيم خليل الله عليه السلام على رأس مائة وعشرين سنةً من ميلاده، ختن نفسه بالقَدوم وهو الفأس، وذلك أنّه وقع بينه وبين العمالقة وقعة فقُتل من الفريقين فلم يعرف أصحابه [81ب] ليدفنهم فجعل الختان لأهل الإسلام، روى ذلك محمّد بن المنكدر عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة رضي الله عنه[102].

ونساء الرّوم على غاية من الجمال، والكمال، ونهاية الحسن بحيث رغب فيهنّ الخلفاء والملوك وتغالوا في أثمانهنّ واتّخذوا منهنّ السراري وصار أولادهنّ خلفاء الإسلام.

وكان لأبي جعفر المنصور جارية روميّة من أحظى جواريه عنده أولدَها ولده صالح بن المنصور، كان من البلغاء الفصحاء ذا همّة عليّة، ولّاه أبوه الحجّ بالناس سنتين متواليتين. والواثق بالله كانت أمّه روميّة اسمها قراطيس. والمنتصر العبّاسيّ أمّه روميّة تُسمّى حبشيّة. والمعتضد العبّاسيّ أيضًا أمّه روميّة اسمها ضرار. والمهتدي أيضًا أمّه روميّة اسمها قُرْب، وغيرهم من خلفاء بني العبّاس والملوك وهذا باب واسع لا يمكن استيعابه.

(101) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب المقتبس لابن حيّان، إنّما وقعنا عليه في نفح الطيب 2/ 258–259.
(102) انظر العرائس 109–110.

ولعظم حسنهنّ وكمالهنّ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : اغزوا تغنموا بنات الأصفر[103]، وهم الرّوم، لأنّهنّ منجبات.

لمّا فُتحت أنطاكية كتب أبو عبيدة رضي الله عنه إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنّ العرب نظروا إلى بنات الرّوم فدعتهم أنفسهم إلى الترويح بهنّ فمنعتهم من ذلك، وإنّي أخشى عليهم الفتنة إلّا من عصمه الله عزّ وجلّ. فكتب له عمر: دعهم إن لم يكن لهم [82أ] أهل بالحجاز ومن أراد أن يشتري أمةً فدعه إنّ ذلك أصون لفروجهم[104].

ولمّا أسر الرّوم جماعةً من المسلمين من عسكر أبي عبيدة رضي الله عنه أراد الملك قتلهم، فقال له رجل أسلم وكتم إسلامه يُقال له يوقنا: الصواب تركهم إلى أن نرى ما يؤول من أمرنا، فإن أُسر أحد من أصحاب الملك وجدنا من نفادي به. فقال أرباب الدولة لهرقل: صدق أيّها الملك. فقال بعض بطارقته: أيّها الملك، أخرجهم إلى الكنيسة فإذا نظروا إلى بناتنا، ونسائنا، وحسنهنّ، وجمالهنّ، وقدّهنّ، واعتدالهنّ، وطيب رائحتهنّ تميل أنفسهم إليهنّ فيرجعون إلى ديننا. ففعلوا، فارتدّ رفاعة بن زهير[105]. هكذا ذكر هذا الخبرَ الواقديُّ في فتوح الشام[106].

وحكى ابن المحتاج في تاريخه في سبب موت المهديّ بن المنصور الخليفة العبّاسيّ أنّه كان له جارية يهواها وكانت من بنات ملوك الرّوم، وكان له أيضًا جارية تُسمّى حسنة تحسدها في كثرة ميله إليها فأرادت أن تسعى في هلاكها. فعمدت إلى طبق من الفضّة وجعلت فيه كُمَّثرى إصفهانيًّا[107] وختمت أعلاه بواحدة لم يكن في الجميع أميز منها، وغرزتها بإبر مسمومة لعلمها أنّ الجارية الرّوميّة من حيث يقع

(103) انظر المعجم الكبير 11/ 63.

(104) انظر فتوح الشام 1/ 303 و304 و305.

(105) في الأصل: عامر بن رفاعة بن زهير، وصوّبنا الاسم من كتاب فتوح الشام 1/ 285.

(106) انظر فتوح الشام 1/ 285.

(107) في الأصل: إصفهانيّ.

نظرها على الطبق لا تتعرّض إلى غيرها. فكان من قضاء [82ب] الله تعالى وقدره أنّ الجارية الحاملة للطبق لقيها المهديّ فكشف عن الكُمَّثرى فلم تتمالك نفسه أن تناول تلك الكُمَّثراية وأكلها عن آخرها، فلم تمضِ غير ساعة حتّى أحسّ بالنيران في أحشائه فمات من ليلته[108].

وكان لسيف الدولة ابن حمدان جارية من بنات ملوك الرّوم في غاية الجمال، فحسدها بعض الحظايا لقربها منه ومحلّها من قلبه وعزمن على إيقاع مكروه بها من سمّ أو غيره، فبلغه الخبر وخاف عليها ونقلها إلى بعض الحصون احتياطًا وقال: [من الخفيف]

راقبَتني العيونُ فيكِ فأشفَقـ ... ـتُ ولَمْ أخلُ قطُّ مِنْ إشفاقِ
فتمنَّيتُ أنْ تكوني بعيدًا ... والذي بيننا مِن الودِّ باقِ
رُبَّ هجرٍ يكونُ مِنْ خوفِ هجرٍ ... وفراقٍ يكونُ خوفَ فراقِ[109]

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ صاحب كتاب الأغاني للوزير المهلّبيّ يهنّئه بمولود من سُرِّيّة روميّة: [من الكامل]

اسعِدْ بمولودٍ أتاكَ مُبارَكًا ... كالبدرِ أشرقَ صُبحَ ليلٍ مُقمِرِ
سَعدٌ لوقتِ سعادةٍ جاءَت بِهِ ... أمٌّ حَصانٌ مِنْ بناتِ الأصفَرِ
مُتبجِّحٌ في ذروتَيْ شرفِ الورى ... بينَ المُهلَّبِ مُنتماهُ وقيصرِ
شمسُ الضُّحى قُرِنَتْ إلى بدرِ الدُّجى ... حتّى إذا اجتمعا أتَتْ بالمُشتري[110]

وقد ولع الشعراء بالتغزّل في نساء الرّوم كثيرًا، وممّا يُنسب [83أ] إلى امرئ القيس من قصيدة ولم أرها له: [من الطويل]

(108) ورد هذا الخبر في تاريخ الطبريّ 8/ 169–170، برواية مُختلفة.
(109) انظر مرآة الجنان 2/ 271–272.
(110) انظر يتيمة الدهر 3/ 114.

حجازيّــةُ العينــينِ مكّيّــةُ الحشــا عراقيّـةُ الأطـرافِ روميّـةُ الكَفَـلِ[111]

ولبعضهم في روميّة: [من البسيط]

روميّــةٌ بــرزَتْ والشــمسُ طلعتُهــا كأنّهــا في بــديعِ الحُســنِ تمثــالُ[112]

وعلى ذكر التمثال حكى ابن عبد النور في روضه قال: ومن غريب ما يُحكى أنّ بمدينة طالقة من بلاد الأندلس صورة جارية من مرمر لم يُسمع في الأخبار ولا رُئي في الآثار أبدع منها في قالب جارية كاملة القدّ، حسنة الجسم، جميلة الوجه، قد صُوّر كلّ عضو من أعضائها وكلّ جارحة من جوارحها على أتمّ ما يكون وأفضل ما يُستحسن في جوارح المرأة. وفي حُضنها صورة صبيّ على مثل ذلك من الحكمة والإتقان، وقد صُوّرت حيّة من قدمها كأنّها تريد نهش الصبيّ. وقد قسمت الصورة نظرَها بين مصعد الحيّة ومكان الطفل كالمشفقة الحذرة يتبيّن ذلك في التفاتها، ولو وقف الناظر يتأمّلها عامّة نهاره لم يسأم ذلك ولا ملّه لدقيق صنعتها وغريب حكمتها. وهذه الصورة موضوعة في بعض حمّامات إشبيلية وقد تعشّقها جماعة من العوامّ وشغف بها ناس من الطغام فتعطّلت أشغالهم وانقطعت متاجرهم بالنظر إليها[113]. [83ب]

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين وردت على الخليفة المعتضد هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفّار، من جملتها صنم من صُفْر على مثال امرأة في أحسن قالب وعليها وشاحان من فضّة مرصّعان بالجوهر الأبيض والأحمر. وبين يدي هذا التمثال أصنام صغار لها أيد ووجوه عليها الحليّ والجوهر فنُصب للناس ثلاثة أيّام ثمّ رُدّ إلى دار المعتضد، فسمّت العامّة هذا التمثال شغلًا لاشتغالهم بالنظر إليه عن أعمالهم. وكان عمرو بن الليث حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد الهند ونواحيها[114]، انتهى.

(111) انظر ديوان امرئ القيس 468، وقد وردت القصيدة في الملحق المتعلّق بالشعر المنسوب إلى امرئ القيس ممّا لم يرد في أصول الديوان المخطوطة.

(112) لم نهتدِ إلى مصدر هذا البيت.

(113) انظر الروض المعطار 381–382.

(114) انظر مروج الذهب 4/ 189.

## الباب الثالث

# في ذكر لمعة يسيرة من خبر القسطنطينيّة وما يتّصل بها من أخبار غيرها من بعض مدن الرّوم المشهورة وخبر بعض ملوكهم على نسق التاريخ

ونبدأ بذكر القسطنطينيّة إذ هي دار الإسلام والإيمان، وقاعدة مملكة الملوك بني عثمان، وتخت الملك من قديم الزمان، فنقول: القسطنطينيّة بإثبات الياء المشدّدة وحذفها وضمّ الطاء الأولى وفتحها كما قاله ابن الأثير تبعًا لأصله[1]. واسمها[2] أيضًا إسطنبول[3] بالصاد والسين، وتُسمّى بالرّوميّة بوزنطيا كما حكاه المجد اللغويّ[4]. واسمها أيضًا الرّومانيّة، وكان [84أ] اسمها طُوانة قال ذلك ابن عبد النور[5]. وقال البكريّ: طُوانة اسم موضع القسطنطينيّة قبل أن يبنيها قسطنطين[6]. ويُقال لها العظمى عند النصارى. وقيل اسمها قويطية قديمًا وسمّتها العرب قسطنطينيّة نسبةً إلى بانيها. قال المجد اللغويّ في القاموس: ارتفاع سورها أحد وعشرون ذراعًا، وكنيستها مستطيلة، وبجانبها عمود عال في دور أربعة أبواع تقريبًا، وفي رأسه فرس من نحاس أحمر، وعليه فارس وفي إحدى يديه كرة من ذهب، وقد

(1) انظر اللباب في تهذيب الأنساب 3/ 36–37.

(2) في الأصل: واسما.

(3) في الأصل: إصطنبول.

(4) انظر القاموس المحيط 682.

(5) انظر الروض المعطار 400.

(6) انظر معجم ما استعجم 3/ 897.

فتح أصابع يده الأخرى مشيرًا بها وهو صورة قسطنطين بانيها[7].

وسبب بنائها على ما ذكر الحكيم الفيلسوف المفريان مار غريغوريوس[8] الملطيّ في تاريخه قال: إنّ مملكة الرّوم كانت مملكةً متّسعةً في قديم الزمان بحيث كانت مملكةً إفريقيّةً، والديار المصريّة والبلاد الشاميّة وأكثر الجزيرة من ديار مُضَر، وديار بكر بن وائل، وبعض ديار ربيعة، وسائر بلاد أرمينية بكمالها مضافةً إليها. وكان الخليج الرّوميّ مبتدؤه من بحر أوقيانس، ومعناه باللغة اليونانيّة بحر الظلمة، ومن حيث يتعدّى زقاق سبتة يتّسع ويصير منه بحر مايطس[9] وهو البحر الرّوميّ، وفيه من الجزائر ما يزيد على مائتين وستّين جزيرةً، البعض منها عامر والبعض خراب. ثمّ يضيق البحر الرّوميّ [84ب] من حيث يتعدّى جزيرة شيّق، وهي التي تُعرف بجزيرة المستكة، ويعبر في زقاق طوله مائة وثلاثون ميلًا حتّى يصبّ في بحر نيطس، وهو الذي يُعرف في زماننا هذا ببحر طرابزون. وعلى شاطئ هذا البحر من الجهة الشماليّة عمّر الملك قسطنطين بن هيلانة مدينته العظمى وسمّاها إسطنبول[10]، وهي التي تسمّيها العرب القسطنطينيّة[11].

قال: وكان سبب عمارتها أنّ ملوك الإفرنج[12] تغلّبوا على ملوك الرّوم وانتزعوا من أيديهم أكثر البلاد الشماليّة من ساحل البحر المذكور وغير ذلك من الجزائر، واستولوا على مدينة رومية الكبرى وجعلوها مستقرّ ملكهم فرحلت ملوك الرّوم عنهم قهرًا وتركوا لهم البحر الطويل وشرعوا في عمارة إسطنبول[13]. فلمّا تكاملت عمارتها بعد أربعين سنةً حصلت المهادنة بينهم وبين ملوك بني الأصفر،

(7) انظر القاموس المحيط 683.
(8) في الأصل: غاريغيوس.
(9) في الأصل: مانيطس.
(10) في الأصل: إصطنبول.
(11) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبريّ.
(12) في الأصل: الفرنج.
(13) في الأصل: إصطنبول.

وهم الإفرنج[14]، فاقتسموا البلاد بينهم وصيّروا الخليج العابر إلى بلاد الطائفة المعروفة بينهم بالبنادقة، وهو شبه الكمّ، فجعلوه الحدّ بين المملكتين، فما كان منه مشرقًا اختصّ بالرّوم وما كان منه مغربًا اختصّ بالإفرنج[15].

وقال الشيخ شهاب الدين ياقوت الحمويّ رحمه الله في كتابه معجم البلدان إنّ مملكة الرّوم كانت تنقسم اثني عشر قسمًا، لكلّ قسم منها ملك يقوم بعمارتها، ومرجع [85أ] أمر الجميع إلى صاحب القسطنطينيّة، فكانت تسع ممالك منها جنوبيّ الخليج، وثلاث ممالك شماليّة وهي مملكة إسطنبول وتُسمّى الرّومانيّة، ومملكة الأشكريّ وتُسمّى صالونيك، ومملكة درنا وتُسمّى الأوغلاق[16].

وكان يجاور هذه الممالك من طوائف النصرانيّة وغيرهم أجناس كثيرة مثل السرب، وبرجان، والكريل، والماجار، والبلغر، واللطفة، والنمج، والسرداق، والنقراط، وبعض طوائف الألمان، وكان أكثرهم يدينون لملك الرّوم، ويبذلون له الطاعة، ويحملون إليه الإتاوة من أقصى بلادهم، وينطاعون له لما يعلمونه من سعة مملكته وكثرة جنوده. وداموا على ذلك بُرهةً من الدهر حتّى أتى الله تعالى بدين الإسلام وأرسل نبيّه عليه الصلاة والسلام، وتوفّاه الباري وكثرت العساكر الإسلاميّة، واتّسعت الممالك، واتّصلت الفتوحات على عهد الخلفاء الراشدين، واستولى المسلمون على أطراف بلاد الرّوم، وقطعوا الدروب والمضائق، وعبرت إليهم الصوائف برًّا وبحرًا، فألحّت الضرورة ملوك الرّوم أن صارت تطلب المساعدة من أولئك الطوائف ويُداروهم[17] حتّى يمدّوهم بالعساكر إذا قصدتهم جيوش العرب. وتمادت بينهم الأيّام والليالي إلى أن قطعت الجيوش الإسلاميّة الخليج دفعتين وحاصروا مدينتهم العظمى [85ب] فوقع فيهم الطمع من سائر

(14) في الأصل: الفرنج.
(15) في الأصل: بالفرنج. لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبريّ.
(16) لم نهتدِ إلى هذه المعلومات في كتاب معجم البلدان لياقوت الحمويّ.
(17) في الأصل: يداروهم.

الطوائف المذكورة، وخرج أكثرهم عن الطاعة، ومنعوهم سائر ما كانوا يحملونه إليهم من الإتاوات، وآل أمرهم إلى أن صار لا ينجد الرّوم منهم إلّا من يأتي على عزم الجهاد لأعداء دينهم. وضعف أمر ملوك الرّوم حتّى أفضت المملكة إلى إليون المرعشيّ وتملّك القسطنطينيّة ورحّل عنها عساكر العرب بالحيلة التي خدع بها مسلمة بن عبد الملك، ودامت أيّام إليون وهادنته بعض أولئك الطوائف ممّن قرب من بلاده. وأمّا الذين كانت أرضهم شاسعةً مثل الألمان، والنمج، والنقراط، واللطفة، والكريل، والماجار فإنّهم انفردوا بذاتهم وخلعوا رداء الطاعة ومنعوا سائر ما كانوا يحملونه[18].

ولمّا قدّر الله تعالى واضطربت أمور الدولة الأمويّة عندما قوي أمر الدولة العبّاسيّة، واشتغلوا عن جهاد أعداء الدين وتجهيز الصوائف إلى بلاد الرّوم، قوي بذلك أمر إليون وأولاده واستعادوا من المسلمين عدّة أماكن مثل كمخ، وملطية، وقاليقلا، وغيرها[19].

وأتى الله عقب ذلك بالدولة العبّاسيّة فشرع أبو العبّاس السفّاح في لمّ الشعث واستدرك بعض ما فُرّط، ولم تطل أيّامه وقام بعده بالأمر أخوه أبو جعفر المنصور أوجب [86أ] القيام، وجهّز الصوائف برًّا وبحرًا، واستعاد أكثر ما كانت الرّوم استولت عليه. فلمّا تُوفّي إلى رحمة الله وأفضت الخلافة إلى ولده المهديّ كانت أكثر أيّامه مهادنة وربّما كان فيها بعض جهاد حتّى تقضّت أيّام المهديّ وموسى الهادي. وكانت الرّوم قد استفاقت في تلك المدّة، وغزوا أولئك في عقر دارهم، وطالبوهم بما تأخّر لهم من أموال الإتاوة فأثخنوا فيهم القتل والنهب حتّى أعادوهم إلى ما كانوا عليه من حسن الطاعة. فلمّا كانت أيّام هارون الرشيد قام في نصرة الإسلام أتمّ القيام وكان يحجّ سنةً ويغزو سنةً، ودامت أيّامه وكان يغزو بنفسه بلاد

(18) لم نهتدِ إلى مصدر هذا الخبر.

(19) لم نهتدِ إلى مصدر هذا الخبر.

الرّوم حتّى أضرمها عليهم نارًا بتكرار غزواته وعظيم فتوحاته. وفي أيّامه كان ملك الرّوم نقفور، وسيأتي ذكر شيء من خبره معه بعد إن شاء الله تعالى.

ولنرجع إلى ذكر القسطنطينيّة، قال ابن عبد النور في الروض المعطار في خبر الأقطار: كانت رومة في القديم دار مملكة الرّوم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكًا، ثمّ ملك بها قسطنطين الأكبر، ثمّ انتقل إلى قويطية وبنى عليها سورًا وسمّاها القسطنطينيّة وقد كان اسمها طوانة. ثمّ نُسبت إلى قسطنطين وبينها وبين عمّوريّة ستّون ميلًا في قرى [86ب] وعمارات، وخليجها المشهور بها هو الداخل من بحر الشام الواقع في البحيرة التي تتّصل بالقسطنطينيّة. ومن ذلك الخليج يصل التجّار المختلفون من العراق والشام وغيرهما إليها ويعبرونه في السفن، وهو الذي عبر فيه رسول معاوية رضي الله عنه حين وجّهه للاحتيال على البطريق الذي لطم وجه الرجل المسلم في القصّة المشهورة، وسأذكرها إن شاء الله قريبًا.

قال: ومدينة القسطنطينيّة ثلاث نواحٍ[20] في البحر الأعظم ممّا يلي القبلة والمشرق والمغرب ناحية، والناحية الرابعة ممّا يلي البرّ وفيه باب الذهب، وهي التي تلي الشمال وطولها من الباب الشرقيّ إلى الباب الغربيّ ثمانية وعشرون ميلًا. وله حائط من حجارة وبينهما فضاء ستّون ذراعًا، وعرض السور الداخل اثنا عشر ذراعًا وسمكه اثنان وسبعون ذراعًا، وعرض السور الخارج ثمانية أذرع وسمكه اثنان وأربعون ذراعًا، وفيما بين السورَيْن نهر يُسمّى قسطنطيانوس وهو مغطّى ببلاط نحاس طول كلّ بلاطة ستّة وأربعون ذراعًا، وعدّة ما فيه من البلاطات اثنتان[21] وأربعون ألف بلاطة وعمق النهر اثنان وأربعون ذراعًا. وفيما بين باب الذهب، وهو باب مضبّب بالحديد مموّه بالذهب وطوله واحد[22] وعشرون

(20) في الأصل: نواحي.

(21) في الأصل: اثنان.

(22) في الأصل: إحدى.

ذراعًا، وبين باب الملك اثنا عشر [87أ] ميلًا. ولها من الأبواب نحو مائة باب أكبرها باب الذهب، وليس يُدرى مثلها في الكبر قطر إلّا قطر رومة، وبها القصر الشائع ذكره شماخة بناء، واتّساع قطر، وحسن ترتيب. وفيه البذرون[23] الذي يُتوصّل منه إلى القصر وهو من عجائب الدنيا، فإنّه ملعب وزقاق يُمشى فيه بين سطرين من صور مفرغة من النحاس البديع الصناعات، منها على صور الآدميّين وضروب الخيل والسباع إلى ما سوى ذلك من الأشكال. وبالقصر ضروب من العجائب المصنوعات، ودون الخليج من جهة بلاد الأرمن أحد عشر عملًا ودور قصر الملك فرسخ يحيط به سور منيف وله ثلاثة أبواب. والذي يظهر يوم الشعانين من صلب الذهب واحد وعشرون[24] ألف صليب، ومن صلب الحديد والنحاس المنقوشة المموّهة بالذهب عشرة آلاف ومائتان، ومن المصاحف التي تُقرأ في الكنيسة رقومها من ذهب مكتوبة بالذهب والفضّة ستّة آلاف وأربعمائة، وفيها من الشمامسة ومن يجري عليه الأرزاق ثمانية وأربعون ألفًا لا ينقص عددهم كلّما مات أحدهم أقاموا مكانه آخر. ووضع قسطنطين في أعلى هذه الكنيسة آلةً مطلسمة وهي[25] زرزور من نحاس إذا كان وقت الزيتون حُشر إليها كلّ زرزور هناك، فيأتيها الزرزور بثلاث زيتونات اثنتان في مخلبيه [87ب] وثالثة في منقاره فيضعها عنده ثمّ ينصرف، ولا يزال ذلك دأبه طول أمد الزيتون فيجمع من الزيتون ما يستصبح به طول السنة.

فإذا أراد الملك الخروج إلى هذه الكنيسة العظمى فُرش له في طريقه من باب القصر إلى الكنيسة حصرٌ، من فوق الحصر ضروب من الرياحين الطيّبة، وتُزيَّن دور المدينة يمنةً ويسرةً بالديباج وضروب ثياب الحرير. ثمّ يخرج بين يديه عشرة آلاف

(23) في الأصل: البدندون.

(24) في الأصل: إحدى وعشرين.

(25) في الأصل: وهو.

شيخ مشاة عليهم كلّهم ديباج أبيض، ثمّ يخرج بعدهم عشرة آلاف خادم عليهم ثياب ديباج لون السماء، في أيديهم الطبرزينات المُلبّسة بالذهب، ثمّ يخرج بعدهم خمسة آلاف من فتيان الصقالبة، عليهم مُلْحَم خراسانيّ أبيض، بأيديهم صلبان الذهب، ثمّ يخرج من بعدهم عشرة آلاف غلام أتراك وخزر، عليهم أقبية مذهّبة وبأيديهم رماح وتِرَسة ملبّسة بالذهب، ثمّ يخرج بعدهم مائة بطريق عليهم ثياب منسوجة بالذهب، في يد كلّ واحد منهم قضيب من ذهب، ثمّ يخرج مائة غلام عليهم ثياب مشهورة مرصّعة باللؤلؤ، يحملون صندوقًا فيه كسوة الملك لصلاته، ثمّ يخرج رجل بين يديه يسكّت الناس، ثمّ يخرج شيخ بيده طست وإبريق من ذهب مرصّعان بالدرّ والياقوت، ثمّ يخرج الملك ماشيًا وعليه ثياب من [88أ] إبْرَيْسَم منسوجة بالجوهر وخفّه مرصّع بالدرّ والياقوت. ويلبس الملك الثياب التي يدخل فيها الكنيسة ويخلع ثيابه التي عليه على وزيره ويُساق خلف الملك ثلاثة من الخيل، ويُقال إنّها من نسل خيل كانت للإسكندر توارثها ملوك اليونانيّين ثمّ ملوك الرّوم لمّا غلبوا على المملكة، عليها سروج قرابيسها من الزمرّد الأخضر والياقوت الأحمر، وتلك السروج وألبابها وما اتّصل بها مرصّع من الحجارة، وأجلّتها من الديباج المرصّع بالدرّ والياقوت فيدخلونها الكنيسة، ولها بها لجام معلّق، وهم يقولون أيّ دابّة منها متى أخذت ذلك اللجام في فمها ظفروا ببلاد الإسلام، تجيء الدابّة منها فتشمّ اللجام ثمّ تقهقر ولا تقدم عليه. ويُقال إنّها من نسل دوابّ كانت لأونيطاب[26]، ويحملون بين الملك سيوفًا عشرةً تُنسب إلى الإسكندر، طول كلّ سيف ثمانية أشبار وهي مرصّعة كلّها بنفيس الحجارة، فإذا انقضت نواميس شرعهم عاد الملك إلى الهيئة الأولى إلى قصره. قالوا: ولمّا استكمل قسطنطين بناء هذه الكنيسة العظمى ورفع فيها الصلبان كتب بذلك إلى جميع البلدان، فهذا السبب كان عيد الصليب وهو لأربع عشرة تمضي من أيلول.

(26) ويُروى أيضًا: أوقنطاب.

وبمدينة القسطنطينيّة طلسمات كثيرة، منها [88ب] أنّه إذا نزل القوّاد والحشم في قصر الملك عن ظهور خيولهم بقيت الخيل ساكنةً واقفةً غير متحرّكة، دون سائس ولا ممسك بأعنّتها، ولا تنفح[27] ولا ترمح بل تقف كذلك بحالها جامدةً. فسُئل بعض أهلها عن ذلك فذُهب بالسائل إلى ثلاثة[28] تماثيل من صُفر على صفة الأفراس، أحدها ناظر إلى باب الملك وهي من عمل بلينوس[29] الحكيم، وعلى باب الملك أربع حيّات من صفر أذنابها في أفواهها طلسمات للحيّات فيعبث الصبيّ هناك بالحيّة فلا تضرّه[30]، انتهى.

وكان معاوية رضي الله عنه أغزى سفيان بن عوف وأمره أن يبلغ الطوانة فأصيب معه خلق كثير من الناس، فأخذ الناسَ الحزن بمَن أصيب بأرض الرّوم وبلغ معاوية أنّ ابنه يزيد لمّا بلغه خبرهم وهو على شرابه مع ندمائه قال: [من البسيط]

أهوِنْ عليَّ بما لاقَتْ جموعُهُمُ ... يومَ الطوانةِ مِنْ حُمّى ومِنْ مُومِ
إذا اتّكَأتُ على الأنماطِ مرتفعًا ... بديرِ سمعانَ عندي أمُّ كلثومِ

فحلف عليه لَيغزُوَنّ وأردف به سفيان فسُمّيت هذه الغزاة غزاة الرادفة وبلغ الناس فيها إلى القسطنطينيّة، وفيها مات أبو أيّوب الأنصاريّ صاحب رسول الله ﷺ ودُفن هناك على باب القسطنطينيّة. وحُكي أنّه لمّا مرض أتاه يزيد [89أ] ابن معاوية وقال له: هل لك من حاجة؟ فقال: ما ازددت عنك وعن أبيك بعد إلّا غناء، إن شئت أن تجعل قبري ممّا يلي العدوّ في غير ما يشقّ على المسلمين. فلمّا قُبض أبو أيّوب رضي الله عنه قُبر مع سور القسطنطينيّة، فلمّا أصبحوا أشرف عليهم الرّوم فقالوا: يا معشر العرب، قد كان لكم الليلة شأن، قالوا مات رجل من أكابر أصحاب

(27) في الأصل: تنفخ.
(28) في الأصل: ثلاث.
(29) في الأصل: بليونيوس.
(30) انظر الروض المعطار 481–483.

نبيّنا ﷺ، ووالله لئن نُبش لا ضُرب ناقوس في أرض العرب. فكان الرّوم يتعاهدون قبره ويرقبونه ويستسقون به إذا قحطوا[31].

ورأيت في موضع آخر أنّ أبا أيّوب رضي الله عنه أوصى أن يُدفن تحت أقدام الخيل ويُغَيَّب موضع قبره فدُفن إلى جانب جدار القسطنطينيّة[32]، وشرّف الله بقعتها وأكرم أهلها به فإنّه دخلوا في الإسلام وصار قائدهم ونورهم يوم القيامة كما رواه الترمذيّ في جامعه عن ابن بُرَيدة رضي الله عنه فيما رفعه إلى النبيّ ﷺ[33]. وصار قبره مشهدًا عظيمًا مقصودًا بالزيارة يستشفون به ويستشفعون إلى الله تعالى في تلك البقعة بسببه، نفعنا الله به.

وفي الصحيح أنّ فتح القسطنطينيّة من أشراط الساعة. قال بعض العلماء إنّها فُتحت في زمن الصحابة رضي الله عنهم[34]. قال السخاويّ: فيه نظر[35]، فقد روى أحمد، والبخاريّ في تاريخه، والطبرانيّ، وأبو نعيم، وآخرون من طريق عبد الله بن بشر [89ب] الغنويّ، ومنهم من قال الخثعميّ عن أبيه أنّه سمع النبيّ ﷺ يقول: لتُفتحنّ القسطنطينيّة، ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذاك الجيش. قال بشر: فدعاني مسلمة بن عبد الملك بن مروان فسألني فحدّثته بهذا الحديث، فغزا القسطنطينيّة لأخيه سليمان وذلك سنة اثنتي عشرة ومائة[36]. قال الحافظ السخاويّ: فهذه مرّة أخرى فيُحتمل أن تكون في التي قبلها لم تُفتح[37].

قلتُ: قد رُوي أنّ عثمان رضي الله عنه كتب إلى من انتدب لغزو الأندلس: أمّا

(31) انظر الروض المعطار 400.

(32) انظر فتح الباري 3/ 62.

(33) انظر سنن الترمذيّ 6/ 180، برواية مُختلفة، وهو حديث غريب.

(34) انظر سنن الترمذيّ 4/ 80، وهو حديث غريب.

(35) لم نهتدِ إلى هذا التعليق في كتب الحافظ السخاويّ.

(36) انظر مسند أحمد 31/ 287؛ والتاريخ الأوسط 1/ 306؛ والمعجم الكبير 2/ 38؛ والمستدرك على الصحيحين 4/ 468؛ ومعرفة الصحابة 1/ 391.

(37) لم نهتدِ إلى هذا القول في كتب الحافظ السخاويّ.

بعد، فإنّ القسطنطينيّة إنّما تُفتح من قبل الأندلس وإنّكم إن فتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر[38]. وهذا يؤيّد قول من قال من العلماء إنّها فُتحت في زمن الصحابة، والله أعلم. قال: وفتْحها من أشراط الساعة كما صحّ الحديث ولكنّ ظاهر الحديث الوارد بذلك أنّه فتح آخر. ففي صحيح مسلم مرفوعًا: أسمعتم بمدينة جانب منها في البرّ وجانب البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقوم الساعة حتّى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا لا إله إلّا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها، ثمّ يقولوا الثانية فيسقط الجانب الآخر، ثمّ الثالثة فيُفرج لهم فيدخلونها فيغنموا، فبينما هم يقسمون المغانم إذ[39] جاءهم الصريخ بأنّ الدجّال قد خرج فيتركون [90أ] كلّ شيء ويرجعون[40]. ويؤيّد ما ثبت عنه ﷺ أنّه قال: عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينيّة وفيها خروج الدجّال[41]. وفي رواية: الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينيّة، وخروج الدجّال. وفي رواية أخرى: أنّهما وخروج الدجّال في سبعة أشهر[42]. وفي رواية: لا تقوم الساعة حتّى يملك القسطنطينيّة وجبل الديلم رجل من أهل بيتي[43].

قلت: فإن صحّ قول من يقول إنّ بني عثمان من ذرّيّة عثمان بن عفّان رضي الله عنه فإنّهم من أهل البيت على قول الإمام أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء إنّ قريشًا كلّهم من أهل البيت وعثمان رضي الله عنه من بني عبد مناف، فإنّ هاشم وعبد شمس ولدا عبد مناف جدّ النبيّ ﷺ.

(38) انظر الروض المعطار 33.
(39) في الأصل: إذا.
(40) انظر صحيح مسلم 4/ 2238.
(41) انظر مسند أحمد 36/ 352.
(42) انظر المعجم الكبير 20/ 91.
(43) انظر مسند البزّار 15/ 393؛ والفردوس بمأثور الخطاب 5/ 82.

وقد افتتحها وملكها في زماننا السلطان محمّد بن عثمان، أجزل الله ثوابه، كما تقدّم ذكر ذلك في سنة سبع وخمسين وثمانمائة، وصيّر كنيستها مسجدًا وكانت تُسمّى العظمى، كما سلف ذكر أنّه كان في كنيسة من كنائس الرّوم ساريتان حمراوان مشوبتان بالصفرة لم يرَ[44] الراؤون أحسن منهما ولا مثلهما نقلهما حسّان بن النعمان إلى جامع القيروان. رُوي أنّ صاحب القسطنطينيّة بذل له فيهما قبل نقلهما إلى الجامع زنتهما ذهبًا فآثر بهما جامع القيروان[45]. قالوا: وكانت كنيسة [90ب] الرها إحدى[46] عجائب العالم وكذا الهياكل التي فيها بناها يسطانياس[47] الملك. وكان بها مال عظيم في سرب في جوف الكنيسة وكان أهلها يراعونه ويكتمون أمره، فلمّا دخل الرّوم أظهروه وأخرجوه وحملوه إلى القسطنطينيّة. وكان بهذه الكنيسة أيضًا منديل يعظّمه أهل النصرانيّة ويزعمون أنّ إيشوع[48] الناصريّ حين خرج من ماء المعموديّة نشّف به، فلم يزل هذا المنديل يُتداول إلى أن جُعل بكنيسة الرها. فلمّا اشتدّ أمر الرّوم على المسلمين وحاصروها في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أُعطي هذا المنديل للرّوم فجنحوا إلى الهدنة، وكان للرّوم عند تسلّمهم هذا المنديل فرح عظيم[49].

قال ابن الجوزيّ في المنتظم: وفي سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ورد كتاب من ملك الرّوم يلتمس منديلًا كان عيسى عليه السلام مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه، وذلك المنديل في بيعة الرها وأنّه إن أُنفذ إليه أطلق من أسارى المسلمين عددًا كثيرًا، فأمر الخليفة المتّقي لله بإحضار الفقهاء والقضاة فقال بعض من حضر: هذا المنديل في البيعة لم يلتمسه قطّ ملك من ملوك الرّوم وفي دفعه إلى هذا غضاضة

(44) في الأصل: يرى.
(45) انظر الروض المعطار 487.
(46) في الأصل: أحد.
(47) في الأصل: سطيبانس.
(48) في الأصل: أشنوع.
(49) انظر الروض المعطار 273.

على الإسلام، والمسلمون أحقّ بمنديل عيسى عليه السلام، فأمر المتّقي بتسليم المنديل وتخليص الأسارى[50]. قلتُ: لعلّه المنديل المذكور قبل، والله أعلم.

قال ابن عبد النور [91أ] في روضه: إنّ ببلاد درعة من أرض الغرب حجارة تُدقّ وتُخمّر فتصير في قوام الكتّان يُصنع منها مناديل شبيهة بالسمندل لا تؤثّر النار فيها، وإنّ بعضهم صنع منها منديلًا وأهداه لملك الرّوم فكافأه بما كان فيه غناه، وإنّ هذا الملك أهداه لملك الرّوم الأعظم فكان عنده ذخيرة[51].

وقال أيضًا: إنّ بالقرب من القسطنطينيّة مدينة تُسمّى مراسيا بها عينان إحداهما[52] من شرب من مائها أوتي عقله واستكمل أمره، والأخرى من شرب من مائها ركبه النسيان ورجف قلبه[53].

قال: وبأرض الرّوم مدينة تُسمّى طشالية بها عينان أيضًا إن شربت الماشية من إحداهما[54] اسودّت ووضعت أولادًا سُودًا، والأخرى إن شربت منها الماشية وضعت أولادًا بُلقًا[55].

وحُكي أنّ بإزاء نقموديّة[56] وهي القسطنطينيّة الأولى مدينة في جوف البحر يحسر البحر عنها يومًا في السنة فيحجّون إليها، ويقيمون فيها، ويتقرّبون ويهدون إليها، فإذا كان العصر أخذ الماء في الزيادة وتبادروا بالانصراف فلا تزال كذلك حتّى يغمرها الماء فلا يظهر منها شيء وبقيت كذلك إلى آخر السنة[57].

(50) انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 14/27.
(51) انظر الروض المعطار 236.
(52) في الأصل: إحداهنّ.
(53) انظر الروض المعطار 538.
(54) في الأصل: إحداهنّ.
(55) انظر الروض المعطار 397.
(56) في الأصل: نقموليّة.
(57) انظر الروض المعطار 579.

ولمّا غزا الحسن بن قَحْطَبة بلاد الرّوم أقام على حمّة أذروليّة ثلاثة أيّام فقالت بطارقة الرّوم: ما أقام عليها إلّا ليتداوى بمائها من الوَضَح الذي في جسده، وتُسمّى هذه الحمّة [91ب] يلغون بازار[58].

قالوا: أوّل من غزا الرّوم من التبابعة تُبّع الأقرن غزاها حتّى بلغ وادي الياقوت فمات قبل أن يدخله[59]، وأوّل من غزاها بعد الإسلام عبد الله بن قيس، وقيل: أوّل من دخلها ميسرة بن مسروق[60]، وأوّل من أجاز الدروب إلى الرّوم عياض بن غنم[61]، والله أعلم.

ولنذكر ما سلف الوعد به من قصّة رسول معاوية رضي الله عنه الذي احتال على العلج وأتى به. ذكر المسعوديّ في مروج الذهب وغيره وشارح البسّامة أنّه لمّا أفضت الخلافة إلى معاوية أمر رجلًا من قريش إلى صاحب القسطنطينيّة فكلّمه ملك الرّوم فجاوبه بجواب لم يوافقه، فقام إليه رجل من أنماط ضاحية القسطنطينيّة وبطارقتهم فوكزه فقال القرشيّ: وامعاوية، لقد أغفلت أمرنا وأضعتنا. فوصل الخبر إلى معاوية فطوى عليه حتّى احتال في فداء الرجل القرشيّ. فلمّا وصل إليه سأله عن أمره مع صاحب القسطنطينيّة وعن اسم البطريق الذي كان وكزه في مجلسه، فلمّا عرفه أرسل إليه رجلًا من قوّاده الذين كانوا من قوّاد البحر، وكان معروفًا بالنجدة وغزو الرّوم من البحر، وقال له: اشتر مركبًا له مجاذيف في جوفه، واستعمل السفر إلى بلاد الرّوم، وأظهر أنّك تسافر إلى بلادهم على وجه السرّ والاستتار منّا، وصِلْ إلى صاحب القسطنطينيّة ومكّنه من المال، واحمل الهدايا إلى جميع وزرائه، ولا تتعرّض لفلان، يعني الذي لطم الرجل القرشيّ، [92أ] واعمل كأنّك لا تعرفه، فإذا قال لك: لأيّ معنًى تُهادي أصحابي وتتركني اعتذر إليه وقل

(58) انظر الكامل في التاريخ 5/ 229–230.
(59) انظر المعارف 630.
(60) انظر نهاية الأرب 19/ 332.
(61) انظر تاريخ بغداد 1/ 537.

له: أنا رجل أدخل إلى هذه المواضع متستّرًا ولا أعرف إلّا من عُرّفت به، ولو أعلم أنّك من وزراء الملك لهاديتك كما أُهادي أصحابك ولكنّني إذا انصرفت إليكم مرّةً أخرى سأعرف حقّك. فلمّا انصرف إليهم ثانيةً هاداه وألطف له، وزاد في تقديمه على أصحابه، وجعل يؤمّله حتّى اطمأنّ الرّوميّ إليه. فلمّا كان في إحدى[62] المِرار قال له ذلك البطريق: كنت أحبّ أن تجلب إليّ من بلاد المسلمين قطا ديباج يكون على ألوان، فقال له: نعم. فلمّا انصرف وصل إلى معاوية فأخبره بما طلب فأمر أن يشتري له بساطًا على ما وصف، وقال له معاوية: إذا دخلت وادي القسطنطينيّة أخرج القطا وابسطه على ظهر المركب وتربّص في الوادي حتّى يصل الخبر إلى ذلك العلج، وابعث إليه في السرّ وتحيّن خروجه إلى ضيعته التي على ضفّة وادي القسطنطينيّة، وقد علم معاوية أنّ لذلك العلج ضيعةً على ضفّة الوادي، فإذا وصلت إلى حدّ ضيعته اتّئد بها لعلّه يحمله الشره على الدخول عندك، فإذا تحصّل عندك اندب رجالك إلى الذي بينك وبينهم من أمارة ليخرجوا المجاذيف التي في جوف مركبك، وطرْ به من ذلك الموضع راجعًا إلى بلاد الإسلام. ففعل ما أمره به [92ب] فلمّا بسط ذلك البساط على ظهر مركبه ووصل إلى عرض ضيعة العلج خرج إليه، فلمّا أشرف على المركب ورأى ذلك البساط حمله الحرص على البساط على أن دخل عليه، فلمّا حصل في المركب أظهر الأمر الذي بينه وبين رجاله بعد ربط العلج ومن دخل معه من أتباعه، وكرّ به راجعًا إلى بلاد المسلمين حتّى وصل به إلى معاوية رضي الله عنه. فأحضر معاوية ذلك الرجل القرشيّ وقال له: هذا الذي وكزك؟ قال: نعم. قال: قم واصنع به مثلما صنع بك ولا تزد. فقام القرشيّ فوكزه كما كان فعل به ثمّ قال معاوية للعلج: ارجع إلى ملكك وقل له: تركت ملك الإسلام يقتصّ من أصحاب بساطك، وقال للّذي جاء به: انصرف به إلى أوّل بلاد الرّوم وأخرجه فيه، وأنزل له البساط وكلّ ما سألك أن تحمل إليه من هديّة.

(62) في الأصل: أحد.

فانصرف به إلى فم وادي القسطنطينيّة فوجد ملك الرّوم قد صنع سلسلة على قدر فم الوادي ووكّل به الرجال فلا يدخل أحد الوادي إلّا بإذنه فأخرج بها العلج وكلّ من كان معه وما معه، فلمّا وصل إلى ملكه ووصف له ما صنع به قال: هذا ملك كبير الحيلة، والله لو همّ بأخذي لتمّت له الحيلة عليّ. فعظُم معاوية في أعينهم ونفوسهم أكثر ما كان[63]، انتهى.

قال المسعوديّ في مروجه: كانت الرّوم صوّرت عشرة أنفس في بعض كنائسها [93أ] المعظّمة من أهل البأس والمكائد والحيلة من المسلمين، منهم الرجل الذي بعث به معاوية رضي الله عنه حين احتال على البطريق، والبطّال، وعمرو بن عبد الله بن مروان الأقطع، وعليّ بن يحيى الأرمينيّ، والعزيز بن بكّار، وحمدان بن أبي لطفة، وفرنياس البيلقانيّ صاحب مدينة أبريق، وحارس أخت فرساس، ومازيار الخادم، وأبو[64] القاسم بن عبد الباقي، والله أعلم[65].

وقريب من هذه الحكاية ما اتّفق للمعتصم العبّاسيّ، ذكر ابن أعثم في فتوحاته أنّ امرأةً علويّةً سُبيت من زبطرة بعد أن استشهد بعلها، فجذبها بعض العلوج بظفائرها وهي تمتنع عليه وتنادي برفيع صوتها: وامعتصماه. فلطمها ذلك العلج على حُرّ وجهها وقال: لا يجيء المعتصم يخلّصك إلّا على خيول بُلق. وشاع ذلك بين الناس حتّى بلغ المعتصم قولها فاستشاط غيظًا وقام على قدميه ونادى برفيع صوته: لبّيكم لبّيكم. وركب فرسه وبرز عن مدينة سُرَّ مَن رأى وكتب إلى سائر أقطار البلاد الإسلاميّة في جمع العساكر وابتياع ما يجدونه من الخيول البلق[66]. قال المسعوديّ في تاريخه: إنّ عدّة الخيول البلق بلغت سبعين ألف فرس[67].

(63) لم نهتدِ إلى هذه القصّة في كتاب مروج الذهب للمسعوديّ. انظر شرح قصيدة ابن عبدون 169–172؛ ونهاية الأرب 6/ 185–187.

(64) في الأصل: أبا.

(65) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب مروج الذهب للمسعوديّ.

(66) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب الفتوح لابن أعثم.

(67) لم نهتدِ إلى هذه المعلومة في كتاب مروج الذهب للمسعوديّ.

ونذكر السبب في أخذ زبطرة ثمّ نكمل قضيّة المعتصم. قيل: كان السبب في أخذها [93ب] على ما ذكر محمّد بن جرير الطبريّ وابن الأثير في تاريخيهما أنّ بابَك الخُرَّميّ كتب إلى توفيل بن ميخائيل ملك الرّوم لمّا ضاق به الأمر: عجبي من نومك على فراشك وغفلتك عن انتهاز الفرصة في مثل هذه الأوقات التي خلت فيها البلاد الإسلاميّة من سائر الحُماة، حتّى أنّ خليفتهم قد جهّز إليّ في جملة من جهّزه من العساكر خيّاط ثيابه وطبّاخه. فلمّا سمع ذلك ملك الرّوم عدّى خليج القسطنطينيّة فيمن تبعه من العساكر النصرانيّة واجتمعت عليه سائر عساكر البلاد الرّوميّة ومن لحق بهم من الطوائف المعروفة بالمُحَمِّرَة إلى أن وصل إلى زبطرة ففتحها عنوةً واستولى على البلد، فقتل المقاتلة وسبى الذراري، وانتهب الأموال وتركها قاعًا صفصفًا، ثمّ رحل نحو ملطية فأخرب حواضرها، وأحرق قراياها، وقطع ثمارها، وأقام عليها إلى أن بلغه قدوم العساكر الإسلاميّة فرحل راجعًا إلى بلده[68]، انتهى.

قال: ثمّ إنّ المعتصم سأل العارفين ببلاد الرّوم عن أمنع بلد فيها فقالوا له إنّ عمّوريّة هي إلى يومنا هذا بكر عذراء ما افترعها أحد من ملوك الإسلام، فصمّم على قصدها لكونها عين الملّة النصرانيّة ومحلّها منهم محلّ مدينة القسطنطينيّة. فرحل عن العراق وقد تجهّز بجهاز لم يتجهّز به أحد من الخلفاء حتّى نزل على عمّوريّة فحاصرها حتّى افتتحها عنوةً بعد أمور يطول شرحها[69]. وفي هذا الفتح يقول [94أ] أبو تمّام الطائيّ يمدح المعتصم بقصيدته المشهورة وأوّلها: [من البسيط]

السيفُ أصدقُ إنباءً مِنَ الكُتبِ ... في حدِّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللعِبِ
يا يومَ وقعةِ عمّوريّةَ انصرفَتْ ... عنكَ المُنى حُفَّلًا معسولةَ الحلَبِ[70]

(68) انظر تاريخ الطبريّ 9/ 56؛ والكامل في التاريخ 6/ 37–38.
(69) انظر الكامل في التاريخ 6/ 38–44.
(70) انظر ديوان أبي تمّام 1/ 26 و27.

وهي اثنان وسبعون بيتًا يُقال إنّ المعتصم أجازه عنها باثنين وسبعين ألف درهم لكلّ بيت ألف درهم، وقيل اثنين وسبعين ألف دينار لكلّ بيت ألف دينار، والله أعلم. ثمّ إنّ المعتصم أحضر المرأة العلويّة والعلج الذي جذبها فأمر بضرب عنقه[71].

وكان الرشيد نزل على عمّوريّة في سنة اثنتين وستّين ومائة وحاصرها ثمانية أيّام، فوردت عليه رسل أُغسطة[72] ابنة[73] إليون ملك الرّوم والمُلك يومئذ في قسطنطين وكرى ميخال[74] أولاد أخيها، وكانوا صغارًا لم يبلغوا الحلم وعمّتهم هذه تدبّر أمورهم فأرسلت إلى هارون الرشيد جماعةً من أكابر الرّوم، وجهّزت معهم الهدايا والتحف، وعقدت معه المهادنة إلى سنين معلومة، وقطعت على مملكة الرّوم ما لا تحمله كلّ[75] سنة، فاقتضت آراء القوّاد قبول ذلك[76]. وانصرف الرشيد وحاصر هرقلة، وهي مدينة تُنسب إلى هرقل، ولعلّه الذي بنى المنارة النحاس على الحدّ الذي يخرج منه الخليج إلى البحر الرّوميّ، وعليها التماثيل مشيرة بأيديها أن لا طريق ورائي، ولا مسلك في هذا البحر، [94ب] ولا تجري فيه جارية ولا فيه حيوان[77].

وهرقلة هذه مدينة من أعظم مدائن الرّوم عمارةً وحصانةً وبها حصن بَنَته الرّوم في نجر[78] الدروب وجعلته لها ثغرًا من الثغور. ولمّا نزل عليها الرشيد أحاطت بها عساكره وقسّم أبراجها وخنادقها على قوّاد عساكره وأمر بقطع النهر

(71) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.
(72) في الأصل: أغطشه.
(73) سيرد لاحقًا في الكتاب أنّها زوجة قسطنطين.
(74) كذا في الأصل.
(75) مكرّرة في الأصل.
(76) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.
(77) انظر الروض المعطار 509.
(78) كذا في الأصل.

العابر إلى البلد، وأقام عليها مدّة يحاصرها وكانت الرّوم قد عمّرت على كلّ برج من أبراجها برجًا من الخشب الصنوبر. فأمر الرشيد جماعة الزرّاقين بإحراق الأبراج المذكورة فكانوا يلفّون حجارة المنجنيق بمُشاقة الكتّان، ثمّ يسقون المشاق بالنفط الطيّار، ثمّ يجعلون النار في خيط متّصل بالحجر، فإذا أطلق المنجنيق الحجر لا يصل إلى البرج إلّا والنار قد اتّصلت بالحجر والمشاق والنفط فمن حيث تصافح البرج تضرمه بالنار فيرتفع لهبه ودخانه إلى عنان السماء، وفيه يقول أشجع السلميّ: [من البسيط]

هـوَتْ هرقلـةُ لمّـا أنْ رأَتْ عجبًـا جواثمًـا ترتمـي بـالنفطِ والنـارِ

كـأنَّ نيرانَهـا في رُوسِ أبرُجِهـا مُصَـبّغاتٌ علـى أرسـانِ قصّـارِ

ومضمون الأمر أنّ هرقلة فُتحت عنوةً بعد ثمانية وعشرين يومًا من نزول الرشيد عليها، ومبارزة بطريق هرقلة لأبي زُفَر بن الجزريّ [95أ] وكيف أسره [أبو] زُفَر وأحضره إلى بين يدي الرشيد مشهورة[79].

قال شبل الترجمان: كنت مع الرشيد حين نزل على هرقلة وفتحها فرأيت فيها حجرًا مكتوبًا عليه باليونانيّة، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر إليّ وأنا لا أعلم فكانت ترجمته: بسم الله الرحمن الرحيم، يا ابن آدم، غافص الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليّها، ولا يحملنّك إفراط السرور على المأثم، ولا تُحمّل نفسك همّ يوم لم يأت، فإنّه إن يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك، ولا تكن من المغرورين بجمع المال فكم قد رأينا جامعًا لبعل حليلته ومقتّرًا على نفسه توفيرًا لخزانة غيره. وكان تاريخ الكتاب في ذلك اليوم زائدًا على ألفي سنة[80].

وكان السبب في حصار هرقلة أنّه بلغ الرشيد أنّ الرّوم ثاروا على ملكهم قسطنطين بن إليون وسملوا عينيه بعد أن أقام في الملك ثلاثًا وثلاثين سنةً، وأنّه

(79) انظر الروض المعطار 593–594.

(80) انظر المصدر نفسه 593.

مات بعد أيّام وولّوا عليهم زوجته ريني[81] وكانت تُسمّى أُغسطة[82]، وكان لها منه ولدان صغيران فتولّى أمر تدبير المملكة أمير يُدعى نقفورًا فعزم الرشيد على غزو بلاد الرّوم فقطع الفرات وتعدّت عساكره. فلمّا بلغ الرّوم أرسلت إليه أُغسطة[83] الملكة بالهدايا والتحف، ومن جملتها تاج قسطنطين ومَنْطِقته، وسبعون[84] ألف دينار هرقليّة، وعشرة دنانير جزية عن[85] [95ب] رأس ولديها. فلمّا وقف على ذلك وعلى كلام الرسل وما أبدته ملكة الرّوم من الخضوع وسؤال عقد الهدنة أجاب إلى ثلاث سنين وثلاثة أشهر، فلمّا كان في سنة ثمان وثمانين ومائة بلغ الرشيد أنّ نقفور بن إستبراق الذي كان يدبّر المملكة، ونسبُه على ما قال بعضهم ينتهي إلى جبلة بن الأيهم الغسّانيّ وهذا مخالف لما سيأتي، ثار على الملكة أُغسطة[86] وعزلها عن الملك وحبسها وحجرها ثمّ تُوفّيت بعد خمسة أشهر، وأنّه أعدم ولديها وقيل بل جبّهما[87]. وكتب إلى الرشيد كتابًا مضمونه: من نقفور ملك الرّوم إلى هارون ملك العرب. أمّا بعد، فإنّ الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخّ وأقامت نفسها مقام البيذق، وحملت إليك من خزائن ملوك الرّوم ما كنت حقيقًا بحمل أضعافه إليها لكنّ ذلك ضعف النساء وحمقهنّ، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حَملَته إليك وافتد نفسك بما أشير به إليك وإلّا فالسيف بيننا وبينك. فلمّا قرأه الرشيد كتب على ظهر الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الرّوم. اعلم أنّي قرأت كتابك وفهمت خطابك، والجواب ما تراه دون ما تسمعه، والسلام على من اتّبع الهدى. ثمّ شرع الرشيد من

(81) في الأصل: زيني.
(82) في الأصل: أغطشه.
(83) في الأصل: أغطشه.
(84) في الأصل: سبعين.
(85) مكرّرة في الأصل.
(86) في الأصل: أغطشه.
(87) في الأصل: جبّهم.

يومه في جمع العساكر والاستعداد وسار حتّى أناخ على مدينة هرقلة[88]. ثمّ عزم على الرحيل والإيغال في بلاد الرّوم [96أ] فتواصلت الأخبار بقدوم بترك القسطنطينيّة مع جماعة من خواصّ دولة نقفور، ومعهم الهدايا، والتحف، والأموال، وجزية عيّنها عن رأسه ورأس ولديه، وهو يسأل أن يبذل له الأمان ويعقد له الهدنة إلى مدّة سبع سنين وسبعة أشهر، فامتنع الرشيد فلم تزل أرباب دولته تستعطفه حتّى أجابهم إلى ذلك وأمر أن يُكتب لهم كتاب أمان ومهادنة وعزم على الرجوع. وكان نقفور قد خطب ابنة بطريق هرقلة لولده ولم تكن حُملت إليه، فأرسل صحبة البترك وأكابر رسله يعرّض بذكرها للرشيد وليسأله أن ينعم بها عليه، وكانت من جملة الأسرى في فتح هرقلة فأنعم بها عليه[89]. ولأجل هذا قال بعضهم: إنّما كان فتح هرقلة في مسير الرشيد هذا إلى نقفور وكان نقفور من أشدّ حفدة إليون المرعشيّ بأسًا وأقواهم مراسًا، وكانت طوائف الإفرنج كالنمج، والألمان، والنقراط، واللطفة، والكريل، والماجار مدّة اشتغاله بما جرى عليه في بلاده الجنوبيّة من عساكر الإسلام يركبون على أطراف بلاده ويستأصلون رعاياه قتلًا وأسرًا حتّى كادوا يهجمون على تخت ملكه ويستولون على سائر قلاعه، فلم يسعه إلّا ما فعله من مهادنة الرشيد بعد فتح هرقلة وانقياده إلى طاعته حتّى تخلّى من هذه الجهة وتعدّى الخليج إلى مملكة الرّومانيّة [96ب] وشرع في عمارة ما أخربوه من بلاده. ولم يزل على ذلك حتّى بلغه وفاة هارون الرشيد ثمّ ما كان بين الأمين والمأمون من الخلاف، فنهض حينئذ وجمع عساكره من جميع الجهات وقطع بهم الخليج لعلمه أنّ خلفاء الإسلام قد اشتغل بعضهم ببعض وعزم على قصد من ذكرنا من أولئك الطوائف. فلمّا بلغهم شدّة اهتمامه بأمرهم وما قد عزم عليه من قصدهم واجتياحهم أرسلوا إلى بعضهم وأجمع رأيهم على الاجتماع في

(88) انظر العبر في خبر من غبر 1/ 227–228، برواية مُختلفة.

(89) انظر تجارب الأمم وتعاقب الهمم 3/ 557–558، برواية مُختلفة.

أرض واحدة، فرحلوا بأجمعهم وقطعوا بلاد السرب، وهي جبال شاهقة، وعقاب مرتفعة، وأودية بعيدة المهوى، ومضائق، وتعدّوها إلى بلاد البلغر، وهي أرض كثيرة الأندية، والمياه، والمقاصب، والأوحال، ولهم خبرة بمسالكها، فاعتصموا بها وهم طوائف شتّى منهم السرب، والبلغر، والسرداق، والبرجان، والأولاق، وغيرهم، وأقبلت عساكر الرّوم تقتفي آثارهم حتّى تعدّوا مضائق بلاد السرب وقاربوا المذكورين، وقد استعدّوا لهم وأقاموا في أرض متّسعة بين جبلين والمياه محيطة بهم، ولا يمكنهم العبور إليهم إلّا من جهة واحدة(90).

ومضمون الأمر أنّ الواقعة جرت بينهم في ذلك المكان وكانت من أعظم الوقائع، فما برحت تلك الطوائف تتقهقر بين أيديهم ويستجرّونهم حتّى أوصلوهم إلى مضائق، ومواحل، وغياض، وقد حصّنوا حريمهم وأولادهم [97أ] فيها حتّى صارت الرّوم بين تلك الغياض، وخاضت خيولهم في الأوحال فظهرت عليهم كُمُنٌ كانوا أعدّوهم لهم، وأكثرهم رجاله، وأحاطوا بهم من سائر الجهات، ووضعوا فيهم السلاح، وأكثروا فيهم القتل والأسر، وصار أكبر همّة أحدهم النجاة بنفسه، ولم ينج منهم إلّا الشريد الفريد(91).

وقُتل نقفور في أوّل المعركة وقُتل معه من أكابر أمرائه وبطارقته عدد لا يُحصى، ونجا ولده إستبراق وهو مثخن بالجراح، ورجع إلى مدينة إسطنبول مع من سلم معه من عساكر أبيه، فاجتمعت عليه أكابر الرّوم وملّكوه عليهم، فلم يتمّ له الأمر غير شهرين ومات من تلك الجراحة. فوثب على الملك صهره ميخائيل بن جورجس، وكان مزوّجًا بأخت إستبراق لأبيه وأمّه(92)، ويُقال إنّها سمّت أخاها بأمر زوجها.

وبموت إستبراق انقرضت ذرّيّة إليون المرعشيّ بعد أن زادت أيّامهم عن ثمانين في ملك الرّوم، ولم يزل ميخائيل متملّكًا عليهم إلى أواخر سنة ستٍّ

(90) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.
(91) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.
(92) انظر الكامل في التاريخ 5/ 399.

وتسعين، فأنكروا عليه بعض أمره وشهد عليه جماعة من أهل بيته عند الأساقف وأكابر الأقسا[93] أنّه اتّفق مع زوجته على سمّ ملكهم إستبراق فعزموا على قتلهما، فهربا إلى بعض الأديرة وترهّبا فوثب على سرير الملك إليون الكارشليط، ومعناه قائد العسكر، فملّكوه عليهم[94]، وقد طال بنا الكلام. [97ب]

وأمّا رومة فإنّها كانت دار مملكة الرّوم وقاعدتهم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكًا، ثمّ نزل بعمّوريّة منهم ملكان، ثمّ عادت مملكتهم إلى رومة فنزلها ملكان، ثمّ ملك بها قسطنطين الأكبر، ثمّ انتقل منها إلى القسطنطينيّة. ورومة هذه بناها روملش، وهي مدينة الحكماء، دورها أربعون ميلًا، وقطرها اثنا عشر ميلًا، يشقّها نهر ينقسم قسمين ثمّ يلتقيان آخرها، وكان هذا النهر يعترضها فبنى برانس[95] الأسقف خلف الوادي مدينة أخرى فلذلك صار النهر يشقّها، وفرش النهر بلبن الصُّفر وألزقه بالقصدير والنحاس وأُلبست حيطانها مثل ذلك. وقيل إنّ الذي فرش النهر بلبن الصُّفر في ملكه كما رأيته في تاريخ روميّ قيصر أكتبنان[96] في السنة الرابعة من دولته عهد إلى جميع عمّاله مع دور الأرض والبحر المحيط بضرب ضرائب الصفر على الناس وأدائها إليه، فلمّا اجتمع أمر بضربه صفائح وبسط بها قعر نهر رومة، ففُرش به وذلك مسافة عشرين ميلًا، وبهذا النهر تؤرّخ الرّوم فيقولون من تاريخ عام الصفر[97].

وقال صاحب المُغرب في محاسن المَغرب[98] إنّ أكتبنان[99] قيصر كان مستوليًا على جميع مملكة الرّوم، وهي ثلاث قطع الأمانيّة، وإفرنسة، والأندلس،

(93) كذا في الأصل.
(94) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.
(95) ويُروى أيضًا: يوانش.
(96) في الأصل: أكتنبان.
(97) انظر الروض المعطار 274–275.
(98) في الأصل: أهل المغرب.
(99) في الأصل: أكتنبان.

وحدّها من المشرق الشام، ومن المغرب البحر المحيط بالأندلس، وملك كثيرًا من الأرض، وكانت مدّته ستًّا وخمسين سنة. [98أ] وفي السنة الرابعة من دولته خرج عهده إلى جميع عمّاله مع دور الأرض والبحر بضرب ضرائب الصفر على الناس، وذكر الكلام المتقدّم وقال: وهذا قبل ميلاد المسيح عليه السلام بثمان[100] وثلاثين سنةً[101].

وبمدينة رومة كنيسة فيها صورة الملك قارلة من ذهب بلحيته وجميع هيئته أوّل ملوك الإفرنج[102]، وهو في خلق عبوس قد رُفع عن الأرض في خشبة مصلوبًا. وفي وسط هذه الكنيسة صورة أخرى لبعض ملوكهم من ذهب. ولهذه الكنيسة أربعة أبواب من فضّة سبكًا واحدًا كلّها مسقّفة بقراميد الصفر ملصقة بالقصدير، وحيطانها كلّها نحاس أصفر روميّ. ويزعمون أنّ في هذه الكنيسة مخلبَيْن من مخالب العنقاء طول كلّ مخلب منهما اثنا عشر شبرًا. وطول هذه الكنيسة ثلثمائة ذراع، وسمكها مائتا ذراع، وبها برج طوله في الهواء مائة ذراع، وعلى رأس البرج قبّة مبنيّة بالرصاص، وعلى رأس القبّة زرزور من صفر إذا كان أوان إدراك الزيتون انحشرت إليه الزرازير من الأقطار البعيدة، وفي منقار كلّ زرزور زيتونة، وفي رجلَيْه زيتونتان، وموضع الكنيسة لا زيتون فيه فيطرحها على ذلك البرج فيستصبح بدهن ذلك الزيتون في الكنيسة عامّة السنة[103].

قالوا: وأهل رومة يدبّر أمرهم البابه، ويجب على كلّ ملك من ملوك النصارى إذا اجتمع بالبابه أن ينبطح على الأرض بين يديه، [98ب] فلا يزال يقبّل رجلي البابه ولا يرفع رأسه حتّى يأمره البابه بالقيام. ومدينة رومة كثيرة الطواعين وذلك أنّهم لا

(100) في الأصل: ثمانية.

(101) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب المُغرب المتوفّر بين أيدينا، فلعلّه موجود في القسم المفقود من الكتاب.

(102) في الأصل: الفرنج. كذا وردت الجملة مضطربة.

(103) انظر الروض المعطار 275.

يدفنون موتاهم وإنّما يدخلونهم في مغارات ويدعونهم بها فيستوبئ هواؤهم إذا استحرّوا، وهم يجتنبون أكثر ثمارها لوقوع ذباب الموتى عليها[104]. واعتمادي على ما ذكرته في هذه الكنيسة وكنيسة القسطنطينيّة على كلام ابن عبد النور في روضه.

وقال أيضًا إنّ أنبيل[105] صاحب مدينة قرطاجنة ببلاد إفريقية كان ملكًا جبّارًا عظيم الشأن دخل الرّوم وقتل ملوكها ثمّ نازل مدينة رومة التي هي دار مملكة الرّوم، فلمّا حاصرها وضيّق على ملكها وأفسد أنظارها أرسل ملك رومة قائدًا من قوّاده فحشد من كان ببلاد الرّوم من الجيوش وأمره بالتوجّه إلى إفريقية والنزول على قرطاجنة وإخرابها. وكان اسم هذا القائد شيبون[106] فخرّب بلاد إفريقية ونزل بلاد قرطاجنة ولم يكن فيها من يقاومه، فأرسلوا إلى ملكهم أنبيل[107] يخبرونه بما حلّ ببلادهم من أهل رومة ويسألونه الإسراع لإعانتهم، فعجب من ذلك أنبيل[108] ملك قرطاجنة وقال: أردت قطع الرّومانيّين من الدنيا وأظنّ إله السماء أراد غير ذلك. ثمّ رجع إلى بلاده فزعًا فزحف إليه شيبون[109] قائد ملك رومة فهزمه مرارًا حتّى قتله واستأصل عسكره ودخل [99أ] قرطاجنة وأخربها[110].

قال: وفي رومة جزيرة تُسمّى سردانية وأهلها في الأصل روم أفارقة وبها معادن الفضّة الجيّدة ومنها تخرج إلى كثير من بلاد الرّوم، وسُمّيت سردانية باسم سارودس بن هرقل. قال ابن عفير: لمّا غزا المسلمون أهل سردانية وعلم أهلها أنّهم مغلوبون عليها عمدوا إلى مبنًى لهم في البحر فسكّروه وأخرجوا ماءه، ثمّ قذفوا

(104) انظر الروض المعطار 275.
(105) في الأصل: أنتيل.
(106) ويُروى أيضًا: شيبيون.
(107) في الأصل: أنتيل.
(108) في الأصل: أنتيل.
(109) ويُروى أيضًا: شيبيون.
(110) انظر الروض المعطار 463.

فيه آنيتهم من الذهب والفضّة وسائر أمتعتهم ودفنوا ذلك في الرمل وردّوا عليه الماء، وعمدوا إلى كنيسة لهم فجعلوا لها سقفًا دون سقف ووضعوا ما كان لهم من المال بين السقفين. فلمّا دخل المسلمون نزل رجل يغتسل في ذلك الموضع الذي سكّروه فوقعت رجله على شيء فأخرجه فإذا هو فضّة، ثمّ غاص أيضًا فأخرج شيئًا آخر فعلم به المسلمون فحبسوا عنه الماء وأخرجوا جميع ما فيه. ونظر رجل من المسلمين في تلك الكنيسة ذات السقفَيْن إلى حمام وكان عنده قوس بندق فرماه فأخطأه وأصاب خشب السقف فكسر منه شيئًا فانهار عليهم المال، فغلّ المسلمون يومئذ غلولًا كثيرًا فلمّا ركبوا السفن وتوجّهوا سمعوا مناديًا ينادي: اللهمّ غرّق بهم. فعاذوا بالمصاحف وتقلّدوها وغرقوا جميعًا إلّا أبا عبد الرحمن الحُبُليّ وحنش بن عبد الله [99ب] فإنّهما لم يتدنّسا من الغلول بشيء. والذي ذكر بعض المؤرّخين أنّ الذين غرقوا هم الذين غلّوا من غنائم الأندلس لا الذين غلّوا من غنائم سردانية، والله أعلم[111].

وقال: كانت طُليطلة دار مملكة الرّوم بناها قيصر أكتبنان[112] فلمّا افتتحها المسلمون وجدوا فيها ذخائر تكاد تفوت الحصر، منها مائة وسبعون تاجًا من الذهب مرصّعة بالدرّ وأنواع الحجارة المثمّنة، ووجدوا فيها ألف سيف مجوهر ملوكيّ، ووجدوا فيها من الدرّ والياقوت أكيالًا وأوساقًا[113]، ومن آنية الذهب والفضّة وأنواعها ما لا يحيط به وصف، ووُجد فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام وكانت فيما يُذكر من زمرّدة. قال: وهذه المائدة اليوم بمدينة رومة، وزعم بعض رواة الرّوم أنّها لم تكن لسليمان عليه السلام وإنّما أصلها أنّ الرّوم في أيّام ملكهم كان أهل الحسبة في دينهم إذا مات أحدهم أوصى بمال للكنائس، فإذا اجتمع عندهم

(111) انظر الروض المعطار 314–315.

(112) في الأصل: أكتنبان.

(113) في الأصل: أكيال وأوساق.

ذلك المال صاغوا منه الموائد والكراسيّ وغيرها، يحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الأناجيل إذا أُبرزت في أيّام المناسك يضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها[114]. فكانت تلك المائدة بطُليطلة ممّا صُنع في هذا السبيل وبالغت الأملاك في تحسينها يزيد الآخر [100أ] فيها على الأوّل حتّى بُرّزت على جميع ما اتُّخذ من تلك الآلات، وطار الذكر بها كلّ مطار وكانت مصوغةً من خالص الذهب مرصّعة بفاخر الدرّ والزبرجد لم ترَ العين مثلها، وكانت توضع على مذبح كنيسة طُليطلة فأصابها المسلمون هناك بعد فتح الأندلس[115].

وذكر الرازيّ أنّها كانت من ذخائر إشبان ملك الرّوم الذى بنى إشبيلية واتّخذها دار مملكته. قيل: وكان في أصله وأوّليّته حرّاثًا. قال: ومن الغريب ما أُصيب في الأندلس كالمائدة بطليطلة، وقُلَيلة الدرّ بماردة كانت ممّا حصل لإشبان في دخلة بيت المقدس. قال: وأهل الرّوم إلى الآن يُسمّون الأندلس إشبانة. وقال آخرون إنّ الذي بناها بوليس[116] القيصر وكان ظهوره بإشبيلية، وخرج في السفن إلى مدينة أيلة فغنمها وهدمها، وقتل من اليهود مائة ألف وسبى مائة ألف وفرّق على الأرض مائة ألف، وهو الذي نقل المائدة التي وُجدت بطليطلة وصاحب الحجر الموجود بماردة، وأنّه حضر خراب بيت المقدس الأوّل مع بُخت نصّر، والله أعلم[117]. وقال ابن[118] حيّان إنّ هذه المائدة قُوّمت عند الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار[119].

وقصّة إيصالها إلى الوليد أنّه كان بطليطلة بيت مُغلق متحامَى الفتح على الأيّام، عليه عدّة من [100ب] الأقفال يُسمّى بيت الحكمة قد وُكّل به قوم من ثقات

(114) في الأصل: لزينتها.

(115) انظر الروض المعطار 393–394.

(116) في الأصل: بوليش.

(117) ورد هذا الخبر في الروض المعطار 59، برواية مُختلفة.

(118) في الأصل: أبو.

(119) ورد هذا القول في نفح الطيب 1/ 161.

القُوط يحفظونه لئلّا يُفتح. فلمّا ملك لذريق، ولم يكن من بيت المملكة وإنّما كان علجًا من أتباعهم، همّ بفتحه لظنّه أنّه بيت مال فقال له وزراؤه وأهل الرأي من دولته: إن كنت تظنّ أنّ فيه مالًا نحن نجمع لك من أموالنا نظير ذلك ولا يُحدث علينا بذلك حادثًا لا نعرف عاقبته. فأصرّ على ذلك وفضّ الأقفال ودخل فأصابه فارغًا لا شيء فيه إلّا تابوتًا[120] عليه قفل، فأمر بفتحه فألفاه فارغًا، وفي التابوت شقّة مدرّجة فيها صورة فرسان مصوّرة على أشكال العرب، عليهم العمائم وتحتهم الخيول العِراب، متقلّدي السيوف، متنكّبي القسيّ، رافعي الرايات على الرماح، وفيه رَقٌّ مكتوب فيه: إذا كُسرت الأقفال عن هذا البيت فظهر ما فيه من هذه الصور فإنّ هذه الأمّة المصوّرة تدخل الأندلس وتغلب عليها وتملكها. فوجمَ لذريق وندم على ما فعل، وعظم غمّه وأخذ في تدبير ملكه إلى أن كان من أمر بُليان[121] عامله على مدينة سبتة بسبب ابنته ما هو مشهور[122]. وملخّصه أنّه كان من سيَر الأعاجم بالأندلس أن يبعث أكابرهم بأولادهم إلى بساط الملك ليتأدّبوا بآدابه وينالوا من كرامته فاتّفق أن وجّه بُليان[123] ابنته وكانت بارعة الجمال [101أ] فلمّا وقعت عين لذريق عليها أعجبته واستكرهها على نفسها وافتضّها واحتالت[124] حتّى أعلمت أباها بذلك بمكاتبة خفيّة فأحفظه شأنها فقال: ودين المسيح لأزيلنّ سلطانه ثمّ حضر إلى طُليطلة وذكر للملك لذريق أنّ زوجته اشتدّ شوقها إلى ابنتها وسأل الملك إخراجها له ففعل وأجاز[125] الجارية وتوثّق منها بالكتمان ثمّ توجّه بُليان[126] إلى سبتة ولم يلبث أن توجّه إلى موسى بن نُصير عامل الوليد بن

(120) في الأصل: تابوت.
(121) ويُروى أيضًا: يليان.
(122) انظر الروض المعطار 393.
(123) ويُروى أيضًا: يليان.
(124) في الأصل: واختالت.
(125) في الأصل: وأجار.
(126) ويُروى أيضًا: يليان.

عبد الملك بإفريقية فحرّضه على غزو الأندلس ووصف له حسنها وفوائدها وفضلها فبعث موسى إلى الوليد يعلمه بذلك وبما دعاه إليه بُليان[127] فتوقّف الوليد ثمّ بعد مراجعته والإذن دعا مولاه طارق بن زياد ووجّهه إلى الأندلس في عسكر معظمه من البربر ففتحها وقتل لذريق الملك وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم وحمل المائدة المقدّم ذكرها إلى الوليد بن عبد الملك[128].
وأخبر اليسع[129] في تاريخه أنّ الرّوم الذين هربوا عند فتح طليطلة كان منهم ممّن يتمنطق بالذهب والفضّة، وأصحاب الجنائب والهمم الظاهرة ما ينيف على مائة ألف[130].

وقد ذكر القاضي شمس الدين بن خلّكان في تاريخه هذه الحكاية بعد حكاية ذكرها أمامها لا بأس بإيرادها [101ب] وهي أنّه كان بنواحي غرب الأندلس ملك يونانيّ بجزيرة يُقال لها قادس، وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها ملوك الأندلس. وكانت جزيرة الأندلس كثيرة الملوك لكلّ بلد أو بلدَين ملك تناصُفًا منهم، فخطبها كلّ منهم فكان أبوها يخشى من تزويجها لواحد منهم إسخاط الباقين فتحيّر في أمرها فقال لها: يا بنيّة، إنّي قد أصبحت في حيرة من أمري. قالت: وما حيّرك؟ قال: قد خطبك منّي جميع ملوك الأندلس ومتى أرضيت الواحد أسخطت الباقين. فقالت: اجعل الأمر إليّ تخلص من اللوم. فقال: وما تصنعين؟ قالت: أقترح لنفسي أمرًا مَن فعلَه كنت زوجته ومَن عجز عنه لم يحسن به السخط. قال: وما الذي تقترحين؟ قالت: أقترح أن يكون ملكًا حكيمًا. قال: نِعم ما اخترته. وكتب في أجوبة الملوك أنّي قد جعلت إليها الأمر فاختارت من الأزواج الملك الحكيم. فلمّا وقفوا على الأجوبة سكت عنها كلّ من لم

(127) ويُروى أيضًا: يليان.
(128) انظر الروض المعطار 34–35.
(129) في الأصل: ابن اليسع.
(130) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب المُغرب المتوفّر بين أيدينا، فلعلّه موجود في القسم المفقود من الكتاب.

يكن حكيمًا، وكان في الملوك رجلان حكيمان فكتب كلّ واحد منهما إليه: أنا الرجل الحكيم. فلمّا وقف على كتابتهما قال: يا بنيّة، بقي الأمر على إشكاله وهذان[131] ملكان حكيمان أيّما أرضيته أسخطت الآخر. قالت: سأقترح لكلّ واحد منهما أمرًا يأتي [به]، فأيّهما سبق إلى الفراغ ممّا التمسته منه تزوّجته. قال: وما الذي تقترحين [102أ] عليهما؟ قالت: إنّا ساكنون بهذه الجزيرة ونحن محتاجون إلى رحًى تدور بها، وإنّي مقترحة على أحدهما إدارتها بالماء العذب الجاري إليها من ذلك البَرّ، ومقترحة على الآخر أن يتّخذ لي طلسمًا يُحصّن جزيرة الأندلس من البربر. فاستظرف أبوها اقتراحها وكتب إلى الملكين بما قالت ابنته فأجابا إلى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كلّ واحد منهما في عمل ما إليه من ذلك. فأمّا صاحب الرحى فإنّه عمد إلى خرز عظام اتّخذها من الحجارة، ونضّد بعضها إلى بعض في بحر الملح الذي بين جزيرة الأندلس والبرّ الكبير في الموضع المعروف بزقاق[132] سبتة، وسدّ[133] الفرج التي بين الحجارة بما اقتضته حكمته، وأوصل تلك الحجارة من البرّ إلى الجزيرة. فلمّا تمّ تنضيد[134] الحجارة له جلب إليها الماء العذب من موضع عالٍ في الجبل بالبرّ الكبير، وسلّطه في ساقية محكمة البناء، وبنى بجزيرة الأندلس رحًى على هذه الساقية. وأمّا صاحب الطلسم فإنّه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعمله غير أنّه أعمل[135] أمره وأحكمه، وابتنى بنيانًا مربّعًا من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل حفر أساسه إلى أن جعله تحت الأرض بمقدار ارتفاعه فوقها ليثبت. فلمّا انتهى البناء المربّع إلى [102ب] حيث اختار صوَّرَ من النحاس الأحمر والحديد المصفّى المخلوطَين بأحكم الخلط صورة رجل بربريّ له لحية، وفي رأسه ذؤابة من شعر قائم في رأسه لجعودتها،

(131) في الأصل: هؤلاء.
(132) في الأصل: برقاق.
(133) في الأصل: وسدّد.
(134) في الأصل: نضيد.
(135) في الأصل: عمل.

متأبّطًا بصورة كساء قد جمع طرفَيه على يده الأخرى بأرطب تصوير وأحكمه، في رجلَيه نعل، وهو قائم من رأس البناء على مستدقّ بمقدار رجليه فقط، وهو شاهق في الهواء طوله يُنيف عن ستّين ذراعًا، وهو محدود الأعلى إلى أن ينتهي إلى ما سعته قدر الذراع، وقد مدّ يده اليمنى بمفتاح قفل قابضًا عليه مشيرًا إلى البحر كأنّه لا عبور. وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه أنّه لم يُرَ قطّ ساكنًا ولا كانت تجري فيه قطّ سفينة بربريّ حتّى سقط المفتاح من يده. وكان الملكان العاملان للطّلسم والرحى يتسابقان إلى التمام في عملهما إذ كان بالسبق يُستحقّ التزويج. وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنّه يخفي أمره عن صاحب الطلسم حتّى لا يعلم به فيبطّل الطلسم، وكان يودّ عمل الطلسم ليظفر بالمرأة، والرحى، والطلسم في آخره. ثمّ أجرى الماء بالجزيرة من أوّله وأدار الرحى، واشتُهر ذلك فاتّصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في أعلاه يصقل وجهه، وكان الطلسم مذهّبًا فلمّا تحقّق أنّه مسبوق ضعفت نفسه فسقط [103أ] من أعلى البناء ميتًا، وحصل صاحب الرحى على الرحى، والمرأة، والطلسم[136].

وكان من تقدّم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الأندلس من البربر للسّبب المتقدّم، فأنفقوا وعملوا الطلسمات في أوقات اختاروا أرصادها، وأودعوا تلك الطلسمات تابوتًا من الرخام وتركوه في بيت بطليطلة، وركّبوا على ذلك بابًا وأقفلوه، وتقدّموا إلى كلّ من ملك منهم بعد صاحبه أن يُلقي على ذلك الباب قفلًا تأكيدًا لحفظ ذلك فاستمرّ أمرهم [على] ذلك. فلمّا حان انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر إلى جزيرة الأندلس بعد مضيّ ستّة وعشرين مَلِكًا من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة، وكان الملك لذريق المتقدّم الذكر هو السابع والعشرين[137] من ملوكهم، فلمّا جلس في ملكه قال لوزرائه وأهل الرأي من دولته: قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستّة وعشرون قفلًا

(136) انظر وفيات الأعيان 5/ 324–327.

(137) في الأصل: والعشرون.

شيء وأريد أن أفتحه لأنظر ما فيه لأنّه لم يُعمل عبثًا، فأشاروا عليه بعدم ذلك فأصرّ على فتحه فكان ما قدّمنا[138].

وذكر ابن عبد النور أنّه كان بجزيرة قادس آثار للأُول كثيرة، ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب إلى هذه الجزيرة بناه أركلش[139]، وهو هرقلش[140]، أصله من الرّوم الإغريقيّين وكان من قوّاد الرّوم وكبرائهم على زمان موسى عليه السلام. [103ب] وقيل إنّه أوّل معدود لملوك اليونانيّين وملك أكثر الأرض، وحارب أهل المشرق وافتتح مدنهم إلى أن وصل إلى الهند، وانصرف صادرًا مفتتحًا لبلاد يافث إلى أن انتهى إلى الأندلس. فلمّا بلغ البحر المحيط الغربيّ سأل عمّا وراءه فقيل له إنّه لا يُجاوَز إلّا إلى برّ الأندلس، فعمد إلى جزيرة قادس فبنى بها مِجْدَلًا عاليًا منيفًا، وجعل صورة نفسه مفرغة من نحاس في أعلى المنارة وقد قابلت المغرب كرجل متوشّح برداء من منكبَيه إلى أنصاف ساقَيه، وقد ضمّ إليه وشاحه وفي يده اليمنى مفتاح من حديد وهو مادّها نحو المغرب، وفي الأخرى صفيحة من رصاص منقوش فيها ذكر خبره. ومعنى المفتاح الذي بيده أنّه افتتح ما وراءه من البلدان والمدن والصنم في وسط الجزيرة، وبينه وبين الحصن ستّة أميال وهو مربّع دور أسفله من كلّ جانب أربعون ذراعًا، وارتفع على قدر هذا الذرع ثمّ ضاق، وارتفع على قدر ذلك الذرع الثاني ثمّ ضاق، وارتفع على قدر ذلك الذرع الثالث ثمّ خرط البنيان من ابتداء الطبقة الرابعة إلى أن صارت قدما الصورة على صخرة واحدة قدر تربيعها في رأي العين أربعة أذرع، قد تقدّمت رجله اليمنى وتأخّرت اليسرى كالماشي، وارتفاع الصنم [104أ] من الأرض إلى رأس الصورة مائة وأربعة وعشرون ذراعًا، لطول الصورة من ذلك ثمانية أذرع وقيل ستّة[141]. وقد خرج من

(138) انظر وفيات الأعيان 5/ 327.
(139) في الأصل: أركلس.
(140) في الأصل: هرقلس.
(141) في الأصل: ستّ.

بين رجلَيه عمود نحاس وذهب صاعدًا حتّى علا فوق رأسه نحو ذراعَين في رأي العين[142].

وكان يقول أهل العلم بالحدثان في سالف الأزمان: يوشك أن يقع من يد هذه الصورة المفتاح فيكون ذلك بدء تحرّك الفتن بالأندلس، ثمّ تقع الصحيفة بعد فيكون حينئذ خراب الأندلس. وذكر جماعة من أهل قادس أنّ المفتاح سقط سنة أربعمائة وهو في صورة المفتاح، فحُمل إلى صاحب مدينة سبتة فأمر به فوُزن فكانت[143] زنته ثمانية أرطال. وقيل إنّ هذا الصنم بُني لتاريخ ألفين وأربعمائة وإحدى[144] وخمسين[145] من وقت الطوفان، وقيل: لهذا التاريخ من وقت آدم عليه السلام، والذي لا يُشكّ فيه أنّه بُني على عهد موسى عليه السلام. وقال محمّد بن شخيص يعني هذا الصنم: [من الطويل]

ورجراجةِ الأردافِ موّارةِ الخُطى
تَهادَى وليسَتْ مِنْ حسانِ الأوانسِ
إلى أنْ ترى الشخصَ الملفّعَ مُوفيًا
على الصنمِ الموفي على بحرِ قادسِ
ولمّا نزَلْنا تحتَهُ قالَ صاحبي
أعاجيبُ رومٍ أو أعاجيبُ فارسِ
فقلتُ لَهُ خفّضْ سؤالَك والتمِسْ
نجاتَكَ مِنْ موتى البحارِ الطوائسِ

(142) انظر الروض المعطار 448.
(143) في الأصل: فكان.
(144) في الأصل: أحد.
(145) في الأصل: خمسون.

[104ب] وذكر بعض المؤلّفين لغرائب الحدثان أنّ صنم قادس موضوع على بلاد الأندلس، فجُعل رأسه لطُليطلة وصدره لقرطبة، وكذلك أعضاؤه قسّمها عضوًا عضوًا على بلاد الأندلس، فمتى أصاب عضوًا[146] من هذه الأعضاء آفة حلّت بذلك القطر من قسيمه آفة. وهدم عيسى بن عليّ هذا الصنم لتوهّمه أنّ به كنوزًا ضخمةً وأنّ داخله محشوّ تبرًا، فدعا له الرجال والبُناة وأخذوا في قلع أحجاره وكلّما قلعوا حجرًا دعموا مكانه بدعامة من خشب حتّى وقف ذلك الجرم العظيم على الدعائم، ثمّ رموا النار إلى ذلك الخشب بعدما ملأوا الخلل الذي بين الخشب حطبًا، فسقط جميعه دفعةً واحدةً وكانت له وجبة عظيمة عند سقوطه فلم يظفروا منه بطائل. وكان يُقال إنّ الذي يهدم صنم قادس يموت مقتولًا وكذلك كان[147].

قال صاعد فيلسوف الأندلس إنّ الطلسمات التي ببلاد الأندلس وقع الإجماع عليها أنّها من عمل الرّوم برومية إذ كانت الأندلس منتظمةً بملكهم[148].

## تتميم

قال صاحب المُغرب في محاسن المَغرب: ولولا تدبير بُليان[149] بسبب ما فعله لذريق بابنته كما تقدّم، ومُمالاة ولدَي غنطشة آخر ملوك القوط مع طارق على أن يعيد لهم ما كان [105أ] لأبيهم من الضياع بجزيرة الأندلس، وهي ثلاثة آلاف ضيعة مختارة، وإجابتهم إلى ذلك، ووفى لهم سليمان بن عبد الملك لما قدر المسلمون على فتح الأندلس، ولكن إذا أراد الله أمرًا بلغه كما يُحكى في المثل المشهور أنّ طائرًا كان في روضة يغرّد على غصونها، ويرد من غدرانها، ويمرح في أزهارها، فبينما هو ذات يوم على غصن إذ أثبته سهم فقال: من أين جاءني هذا السهم من يد

(146) في الأصل: عضو.

(147) انظر الروض المعطار 448–449.

(148) انظر طبقات الأمم 62.

(149) ويُروى أيضًا: يليان.

ابن آدم وأنا في غصن لا يلحقه وهو في الأرض؟ وجعل ينكره ويتعجّب فرأى الريش فقال: هذا هو الصحيح ما أُتيت إلّا من جنسي، لولا الريش ما اهتدى ابن آدم إلى هذا الموضع. قال: وكذلك لولا بُليان[150] لما[151] وصل طارق إلى ما وصل ولكلّ شيء آفة من جنسه. ولمّا استتبّ أمر طارق ببلاد الأندلس امتلأت قلوبهم منه رعبًا ثمّ إنّ طارقًا فرّق جيشه في جزيرة الأندلس بإشارة بُليان[152]، وكان ممّن بعث إلى قرطبة مغيثًا الرّوميّ مولى الوليد بن عبد الملك يحاصر ملكها، فطال على مغيث المقام فتقدّم إلى عبد أسود اللون حالك وأمره بالكمون ليأتيه بخبرهم، فظفروا به وجعلوا يتعجّبون من لونه ولم يكونوا عاينوا أسود قبله وحسبوا أنّه مصنوع أو مطليّ ببعض الأشياء، فجرّدوه وأدنوه من القناة وأخذوا في غسله ودلكه بالحبال الحُرش [105ب] حتّى أدموه. فاستغاثهم وأشار إلى أنّ الذي به خلقة فكفّوا عنه ففرّ ليلًا وعرّف مغيثًا بموضع الماء فقطعه عنهم ثمّ فتح المدينة[153].

ولمّا قدم موسى بن نُصير مولى طارق إلى ماردة دعا أهلها إلى السلم وأعطاهم الأمان واحتال في توهيمهم بنفسه، فدخلوا عليه أوّل يوم فإذا هو أبيض الرأس واللحية كما نصل خضابه، فلم يتّفق لهم معه أمر وعاودوه وقد صبغ لحيته بالحنّاء فتعجّبوا من ذلك، ثمّ عاودوه فإذا هو قد سوّد لحيته فازداد تعجّبهم منه وكانوا لا يعرفون الخضاب فقالوا لقومهم: إنّا نقاتل أنبياء يتخلّقون كما شاؤوا ويتصوّرون في أيّ صورة أحبّوا، كان ملكهم شيخًا فقد صار شابًّا والرأي أن تعطوه ما سأل فما لنا به طاقة فكمل صلحهم[154]. ولمّا اجتمع موسى بمولاه طارق أوغلوا في البلاد، وطارق أمامه لا يمرّون بموضع إلّا فتحه الله عليهم، وملكوا

(150) ويُروى أيضًا: يليان.

(151) مكرّرة في الأصل.

(152) ويُروى أيضًا: يليان.

(153) لم نهتدِ إلى هذا الخبر في كتاب المُغرب المتوفّر بين أيدينا، فلعلّه موجود في القسم المفقود من الكتاب.

(154) ورد هذا الخبر في نفح الطيب 1/ 270، مع بعض الاختلاف.

برشلونة وأربونة إلى أن أفضوا إلى إفرنجة فارتاع لهم قارلة ملك الإفرنج والأرض الكبيرة، فخرج لهم في جيش عظيم فحصرهم في أربونة وأصاب منهم وأصابوا منه، ثمّ نصب في وجوه المسلمين حصونًا على وادي ردونة شكّها بالرجال وجعلها ثغرًا بينه وبين المسلمين[155].

ويُحكى أنّ الإفرنج[156] اجتمعت إلى ملكها قارلة الأعظم، وهذه سيمة [106أ] لملكهم، وقالوا له: ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب؟ كنّا نسمع بالعرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتّى أتونا من مغربها واستولوا على بلاد الأندلس وعظيم ما فيها من العدّة والعدد بجمعهم القليل وقلّة عدّتهم. فقال لهم ما معناه: الرأي عندي أن لا تتعرّضوهم في خرجتهم هذه فإنّهم كالسيل لا يصادرهم أحد في إقبال أمرهم، ولهم نيّات تغني عن كثرة العدد، وقلوب تغني عن حصانة الدروع، ولكن أمهلوا عليهم حتّى تمتلئ أيديهم من الغنائم، ويتّخذون المساكن، ويتهافتون في الرئاسة، ويشتغل بعضهم ببعض، فحينئذ تتمكّنون بأيسر مرام. قال: وكان كذلك[157]، فإنّ عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، بعث السمح بن خولان واليًا على الأندلس فجهّز الصائفة إلى إفرنجة وعليهم عمرو بن خالد المعافريّ، فنزل بموضع يُقال له البلاط فخرج إليه قارلة ملك الإفرنج[158] وأحاط بهم، فقاتله المسلمون قتالًا شديدًا وصبروا له فتكاثرت عليهم أعداء الله وأتوا على ذلك الجيش بأسره، فيُقال إنّ الأذان يُسمع بذلك الموضع إلى الآن ويُقال إنّ السمح قُتل في تلك الوقعة[159].

وكان موسى بن نُصير أراد أن يخرق ما بقي عليه من أرض إفرنجة ويقتحم الأرض الكبيرة حتّى يتّصل بالناس إلى الشام من غير ركوب بحر، [106ب] وأوغل في

(155) ورد هذا الخبر في المصدر نفسه 1/ 273–274، مع بعض الاختلاف.
(156) في الأصل: الفرنج.
(157) ورد هذا الخبر في نفح الطيب 1/ 274–275.
(158) في الأصل: الفرنج.
(159) ورد هذا الخبر في نفح الطيب 3/ 15، برواية مُختلفة.

بلاد[160] إفرنجة حتّى انتهى إلى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنمًا عظيمًا قائمًا مكتوبًا فيه بالنقر كتابة غربيّة فعُرّبت فإذا هي: يا بني إسماعيل، انتهيتم فارجعوا. فهاله ذلك وقال: ما كُتب هذا إلّا لمعنى[161]. فبينما هو كذلك إذ جاءه رسول الوليد بن عبد الملك يأمره بالقدوم عليه فاستمهله ولاطفه، وسأله إنظارَه إلى أن ينفّذ عزمه في الدخول إلى جلّيقية والمسير معه في البلد أيّامًا ويكون شريكه في الأجر والغنيمة[162]. ففعل ومضى إلى أن فتح حصن لُكّ وغيره، وبثّ الخيل فسبى إلى أن بلغوا صخرة بُلاي على البحر الأخضر، ثمّ توجّه ومعه طارق ومغيث وترك ولده عبد العزيز واليًا على الأندلس، فتزوّج بامرأة الملك لذريق المكنّاة بأمّ عاصم، وقد صالحت على نفسها في وقت الفتح، فحظيت عنده ورأت أصحابه يدخلون عليه ويجلسون معه ويساوونه فقالت له: ما أرى مُلكك شيئًا، يدخلون عليك هؤلاء ويساوونك في الجلوس، ولا يقومون على أقدامهم ولا يسجدون لك كما نفعل بملوكنا. فقال: إنّ ذلك ليس في ديننا. فلم تزل به حتّى أمر بفتح باب قصير في مجلسه فكان الداخل يُطأطئ برأسه لقصر الباب حتّى يصير كالراكع، فأرضاها ذلك فقالت له: الآن لحقت بالملوك وبقي أن أعمل لك ممّا عندي [107أ] من الذهب والجوهر تاجًا تضعه على رأسك فيكمل مُلكك، فقال لها: إنّ ذلك لا يحلّ لك شريعتنا. فقالت: والله لا هنأك معي عيش إن لم تفعل. فأسعفها بذلك وصار يلبسه معها وظهر منه مع ذلك إكرام النصارى من أجلها وقضاء حوائجهم. فقال المسلمون: تنصّر من أجل زوجته. وفطنوا للباب القصير والتاج فصمدوا إليه حين خرج للمسجد، وصبّوا عليه سيوفهم، وحزّوا رأسه وأرسلوه إلى سليمان بن عبد الملك، وقيل إنّه هو الذي أمرهم بذلك، والله أعلم[163].

(160) في الأصل: بلد.

(161) انظر الروض المعطار 50.

(162) ورد هذا الخبر في نفح الطيب 1/ 275–276.

(163) انظر نهاية الأرب 24/ 55.

ذكر أهل العلم بأخبار الأنبياء أنّ في البحر المحيط جزيرة تُسمّى صيدون، مسيرة شهر في مثله، وكان بها ملك تسمّى باسمها، وكان ساحرًا، وكانت الجنّ تطيف به وتعمل له العجائب، وكان له في وسط الجزيرة مجلس على عُمُدٍ من رفيع الجواهر يشرف على جميع الجزيرة، فدلّ بعض الجنّ سليمان بن داود عليه السلام فغزاه وأخرب الجزيرة وقتل أكثر أهلها لأنّهم كانوا يعبدونه وأسر منهم خلقًا فآمنوا، وأسر ابنة صيدون وكان اسمها جرادة ولم يكن على وجه الأرض أجمل منها وجهًا ولا أكمل حسنًا وطرفًا، فاصطفاها سليمان عليه السلام لنفسه وتزوّجها فكانت تديم البكاء لمفارقتها أباها، فقال لها سليمان [107ب] عليه السلام: ما لي أراك كئيبةً وأنا خير لك من أبيك وملكي أجلّ من ملكه؟ قالت: أجل، ولكنّي إذا ذكرت كوني مع أبي وأنسي به هاج ذلك لي حزنًا ووجدًا، فلو أمرت الشياطين أن يصوّروا لي صورته لعلّي إذا رأيتها سلوت عنه. فأمر الشياطين فعملوا لها صورةً في مجلس مثل المجلس الذي كان فيه أبوها، وكان شيطان يصحب أباها، وهو الذي أشار عليها بذلك. فكان ذلك المجلس والصورة في مقاصيرها التي صنع لها سليمان وقد غرس لها فيه بدائع الأشجار، وفجّر فيه الأنهار في قنيّ ذهب وفضّة مطوّقة بأصناف الجواهر، فعمدت إلى صورة أبيها فألبستها أصناف الحرير والثياب المنسوجة بالذهب، وجعلت على رأسه إكليلًا من الجوهر النفيس، وألبسته تاجًا منظومًا بالجوهر الفاخر الملوّن، وجعلت حوله مساند الديباج المذهّب، ونثرت عليه سحيق المسك، وأوقدت بين يديه دخان العنبر وضروب الطيب، وقرّبت بحذائه على بعد منه أصناف الأفاويه والرياحين، وكانت تدخل عليه بكرةً وعشيّةً فتسجد له مع وصائفها وخدمها كما كانت تصنع لأبيها، وكان قد دخل في هذه الصورة شيطان فخاطب المرأة بلسان أبيها يقول: قد أحسنت [108أ] فيما فعلت وما فقدت بك شيئًا. فاتّصل خبرها بآصف بن برخيا، وكان كاتب سليمان ومن أهله، وهو الذي عنده علم من الكتاب، وهو الذي أحضر عرش بلقيس وكان علم موضع

المرأة من قلب سليمان وحبّه لها، فلم يدر كيف يتوصّل تعريفه بما أحدثت عنده إلى أن اتّجه له ذلك فقال: يا نبيّ الله، إنّي قد كبرت ولا آمن الموت وقد أردت أن أقوم مقامًا أذكر فيه الأنبياء وأثني عليهم، فتأمر بإحضار الناس ووجوه بني إسرائيل. فأجابه سليمان عليه السلام إلى ذلك فقام آصف على المنبر، فخطب، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وأقبل بذكر الأنبياء نبيًّا نبيًّا، ويثني عليه في صغره وفي كبره ومدّة أيّامه إلى أن بلغ إلى داود عليه السلام فأثنى عليه واستغفر له، ثمّ ذكر سليمان فأثنى عليه في صغره خاصّة، ولم يذكره في كبره ولا ذكر شيئًا من أيّامه بخير ولا شرّ. فأحفظ ذلك سليمان عليه السلام فاستدعاه خاليًا ووقفه على ذلك فقال: ذكرت ما علمت. فلمّا ألحّ عليه قال: وبمَ استحللت أن أثني عليك في أيّامك وغير الله يُعبد في دارك منذ أربعين يومًا؟ ما هذا جزاء نعمته عندك ولا شكر تمليكه لك. فارتاع لذلك سليمان عليه السلام وقام فعاقب المرأة، [108ب] وكسر الصنم، وهرب شيطانه، فظفر به وسجنه. وفُتن سليمان بذلك، وأخذت الجنّ خاتمه، وخرج من ملكه فكان يطوف في بني إسرائيل فينكرونه، ثمّ ردّ الله تعالى عليه ملكه وخاتمه بعد أربعين يومًا، وهي عدّة الأيّام التي سجدت المرأة فيها للصنم، ثمّ إنّ المرأة تابت وصحّ إسلامها وكان ولد سليمان عليه السلام منها[164]، انتهى.

وأمّا رومية فهي رومية الكبرى سُمّيت باسم بانيها رستناوونس[165]، ذكر أصحاب السير أنّه لمّا بناها وضع فيها هيكلًا عظيمًا يُسمّى آيا صوفيا[166] وصورةً من نحاس، وطلاه بالذهب والفضّة، وجعل لذلك الهيكل سبعة أبواب من ذهب، على كلّ باب هيكل منها شخص يدور على رأسه رجل بيده عدّة ألواح من ذهب، في كلّ عام يعلو أحدهم على الهيكل يلقى الشمس، فينظر كاهن ذلك الهيكل في

(164) انظر تاريخ الطبريّ 1/ 496–497، برواية مُختلفة؛ والعرائس 354–355، برواية مُختلفة؛ والروض المعطار 373–374.

(165) كذا في الأصل.

(166) في الأصل: آيا سوفيا.

ذلك اللوح فيعلم بما يجري في ذلك العام بذلك الإقليم المختصّ بذلك اللوح، وكذلك كلّ هيكل من تلك الهياكل السبعة أيضًا، فيُعلمون أهل رومية الكبرى بما يجري في كلّ عام بكلّ إقليم بعلوم حكمائهم الأقدمين. وجعل وسط تلك الهياكل قبّةً مثمّنةً من نحاس على أعمدة من نحاس مطليّة بالذهب الأحمر، على رأس القبّة صورة طائر شبيه [109أ] الزرزور منقّط ببياض وسواد، فإذا كان أوان استواء الزيتون في البلاد جميعًا يسمعون صوتًا عظيمًا، فإذا كان في غداة غدٍ تقبل من آفاق الأرض زرازير في مناقيرها وأرجلها زيتون فيُلقونه على ذلك الطائر الذي على رأس القبّة، ولا يزالون كذلك حتّى يمتلئ صحن ذلك الموضع فيأتي الموكلون به فيأخذون الزيتون فيعصرونه فيأتي منه ما يكفيهم إلى العام الآخر. وكان داخل البيت الذي للهيكل المعظّم بيت مقفول لم يُفتح من يوم بُنيت رومية، فلمّا أراد فلنطانوس[167] حفيد رستناوونس[168] النهوض إلى الملك هرقل عند فتح أنطاكية لمّا حاصرها أبو عبيدة رضي الله عنه في عساكر المسلمين احتاج فلنطانوس[169] إلى المال لينفقه في عسكره. فأتى إلى ذلك البيت المقفول وهمّ بفتحه فقال له عطماوس[170] وهو القيّم بأمر الهيكل والكنيسة: اعلم أيّها الملك أنّه لم يتعرّض أحد ممّن كان قبلك لهذا البيت ولا أبوك ولا جدّك بل كان كلّ من ملك يوصي على هذا البيت أن لا يُفتح. وقد بنى هذه المدينة وأسّس هذه الهياكل جدّك رمينوا وبقي في ملكه فيما بلغنا ثلثمائة سنة، وكان يوصي على هذا البيت أن لا يُفتح. ثمّ ولي أبوك قسطاينوس[171] وبقي في ملكه فيما بلغنا ثلثمائة وسبعين سنة، [109ب] ثمّ وصّى عليه ولك أنت في هذا الملك قريبًا من المائة سنة، فلا تُزل، أيّها الملك، حكمةً قد

(167) في الأصل: قليطانوس.
(168) كذا في الأصل.
(169) في الأصل: قليطانوس.
(170) في الأصل: عماطوس.
(171) كذا في الأصل.

أثبتوها وطلاسمَ[172] صنعوها. قال: فأخذه اللجاج في فتحه ففتحه فلم يجد فيه شيئًا إلّا صورة بيت المقدس ومدن الشام وملوكهم وعددهم، وفي آخرهم صورة قليطس، وهو الملك هرقل، وهو ينظر إلى لوح بين يديه، وفي ذلك اللوح مكتوب باليونانيّة: يا طالب العلم، عليك بكثرة القراءة فيه فإنّه كلّما كثر مرور النكت على السامع تعلّمها، وكان ذلك أشدّ لقوّته وأحكم لتصرّفه إذ العلوم كلّها إنّما استُخرجت بالعقل والقياس، وإنّما تكون الرياضة في العلم، والفطنة فطنة التدبير، والتدبير موضع العلم، والعلم موضع العقل، والعقل المتمّم لأشكال العلوم والأسرار. وقد وجدنا في الحِكَم والأسرار الخفيّة أنّ سحاب الغمامة إذا حميت على صفحة وجه الأرض خرج مصباح الهداية من أرض تهامة فذهب بظلام الجهل المظلم للحسّ، ويدعو الناس لدينه بتوحيد الصانع، وهو صاحب الجمل الأزرق، فيذهب بالأديان والملك وتُطبّق دعوته السهل والجبل، فإذا غلبت لطافة نوره على كلّ كثيف وانتقلت روحه إلى العالم الروحانيّ ولي الأمر بعده رجل نحيف الصورة، [110أ] قلبه منوّر بنور الصدق يشيّد ملّته ويمهّد شريعته. ويل لأهل الشام ماذا يحلّ بهم من الرجل الأحور الذاهب بملك قيصر، هو الرجل الكثيفة صولته، المربّعة صورته، العدل صفته، والحقّ متَّبعُهُ، بذلته مرقّعته، وسيفه درّته، في أيّامه تذهب الدول وتحول، وتُمحق الأكاسرة وتزول. وأوان ذلك إذا فُتح هذا البيت المصوّر بصورة الحكمة، المخيَّط بخيط النعمة، فطوبى لمن رسخت الحكمة في قلبه، وأشرقت مصابيحها في صميم لبّه، واتّبع الحقّ وجانب الباطل. فلمّا قرأ فلنطانوس[173] ذلك اللوح أخذه العجب ثمّ عزم على التوجّه لنصرة الملك هرقل في ثلاثين ألفًا من الكراجنة، واستخرج من بيت الحكمة رايات الإسكندر الرّوميّ وكانت منسوجةً بالذهب والفضّة واللؤلؤ، وهي التي نشرها يوم فتحه الواجبات من

(172) في الأصل: طلاسمًا.

(173) في الأصل: قليطانوس.

أرض بالينوس[174]. وكانت لا تُنشر هذه الرايات إلّا يومين في السنة ببيعة آيا صوفيا[175]، وهما[176] يوم عيد الصليب ويوم عيد الشعانين[177].

وتقدّم أنّ ملوك بني الأصفر لمّا غلبوا على ملوك الرّوم وانتزعوا من أيديهم أكثر البلاد الشماليّة استولوا على مدينة رومية الكبرى وجعلوها مستقرّ ملكهم[178].

وقال المجد اللغويّ في القاموس: ومن بلاد الرّوم رومية وبها [110ب] سوق الدجاج فرسخ، وسوق البُرّ ثلاثة فراسخ، وتقف المراكب فيه على دكاكين التجّار في خليج معمول من النحاس، ارتفاع سوره ثمانون ذراعًا في عرض عشرين. نقل ذلك عن ابن خرداذبة، ثمّ قال: ﴿... **وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ**...﴾[179].

وتقدّم أيضًا في الحديث الذي رواه عليّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّ الفتية أصحاب الكهف كانوا من أهل مدينة أنسوس[180] من أرض رومية[181]. وذكر أهل العلم بهذا الشأن أنّ إشبيلية المدينة المشهورة بالأندلس اسمها رومية بوليس[182]، وأنّ الذي بناها بوليس[183] القيصر[184] وأنّه أوّل من تسمّى بقيصر[185]. وقال ابن عبد النور: كان الإسكندر، وقيل إنّه ذو القرنين، بلغ مشارق الأرض ومغاربها وله في كلّ إقليم أثر، وأنّه جال الدنيا كلّها فلم يختر منها سوى

(174) ويُروى أيضًا: باليوس.
(175) في الأصل: آيا سوفيا.
(176) في الأصل: وهو.
(177) انظر فتوح الشام 1/ 294–296.
(178) لم نهتدِ إلى هذه المعلومة في كتاب ابن العبريّ كما تقدّم في الكتاب.
(179) سورة غافر: 28. انظر القاموس المحيط 1116.
(180) ويُروى أيضًا: أبسوس وأفسوس وأمسوس.
(181) انظر العرائس 468.
(182) في الأصل: بوليش.
(183) في الأصل: بوليش.
(184) في الأصل: القصير.
(185) انظر المسالك والممالك 2/ 902–903؛ والروض المعطار 58.

المدائن، بنى بها مدينة عظيمة وجعل عليها سورًا أثره باق، وهي التي تُسمّى رومية في جانب دجلة الشرقيّ، وبها مات الإسكندر، على أحد الأقوال، وحُمل إلى الإسكندريّة لوالدته فإنّها كانت إذ ذاك باقيةً هناك[186].

قلت: هذا مخالف لما ذكره الخازن[187] وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿**الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ...**﴾[188] الآية، من أنّ الرّوم لمّا ظهرت [111أ] على فارس ربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينةً سمّوها رومية[189]. وقد تقدّم ذكر ذلك ولعلّه أولى بالصواب من كلام غيره.

قلت: وبرومية المدائن كان إيقاع أبي جعفر المنصور بأبي مسلم الخراسانيّ صاحب الدعوة، فإنّه لمّا تغيّر عليه بعد ظفره بعمّه عبد الله بن عليّ واستيلائه على جميع أمواله وخزائنه وتوجّهه بذلك إلى جهة خراسان بعث إليه المنصور ابن أخيه ووليّ عهده عيسى بن موسى فالتقى مع أبي مسلم بقصر شيرين. وكان بين عيسى وبين أبي مسلم من المودّة والمصافاة ما لم يكن لغيره من بني العبّاس وكان المنصور يعلم ذلك منهما فلذلك لم يُطلِع عيسى على ما في نفسه ممّا أضمره لأبي مسلم، فأدّى إليه عيسى الرسالة وفاوضه ووعده بكلّ جميل. فأخلى أبو مسلم مجلسه حتّى خلا به عيسى وجعل يحذّر عيسى من المنصور ويقول له: لقد تبيّن لي منه في سفره إلى الحجاز الشريف أمور تدلّ على أنّه إن طال بأخيه السفّاح العمر يعمل على قتله، وقد رأيت فعله في عمّه عبد الله بن عليّ مع ما كان له من الآثار الحميدة في زوال الدولة الأمويّة، ثمّ قال: وما مثال عبد الله المنصور ومثلك ومثلي إلّا كمثل ثلاثة رفاق كانوا في بعض أسفارهم، فعبروا على عظام [111ب] نخرة مُلقاة في بعض الأودية، فوقف أحدهم وقال: عندي من الاطّلاع على علم الاسم الأعظم أنّي إذا شاهدت عظامًا

(186) انظر الروض المعطار 186.

(187) في الأصل: ابن الخازن.

(188) سورة الرّوم: 1-3.

(189) انظر تفسير الخازن 3/ 386.

متفرّقةً ألّفتها. فقال الثاني: وأنا أيضًا إذا شاهدت عظامًا موصولةً كسوتها لحمًا وجلدًا. وقال الثالث: وأنا أيضًا إذا رأيت عظامًا مكسوّةً لحمًا وجلدًا أجريت فيها الروح. فلمّا فعلوا ذلك قام ذلك الحيوان فإذا هو أسد ففكّر في نفسه فقال: والله ما أحيوني هؤلاء إلّا وهم على موتي أقدر فوثب عليهم فقتلهم. ونظير هذا القول يجري لنا مع عمّك فعل مع عمّه عبد الله ما فعله بالأمس وأنا أعلم من نفسي أنّه لا يستبقيني أبدًا، وأمّا أنت فمصيرك معه إلى إحدى الحالتين: إمّا الخلع وإمّا القتل، وما أرى لك إلّا موافقتي على ما أشير به عليك من رجوعك معي إلى خراسان، وأعقد لك البيعة وأجمع عليك الجيوش، وأرجع بك إلى المدائن وأُملّكك البلاد. فحينئذ لا يخلو أمر عمّك معك من وجهين: إمّا الهزيمة إلى بعض الأطراف الشاسعة، أو أنّك[190] تظفر به، فإن شئت قتلته وإن شئت استبقيته. فلم يوافقه عيسى على ما أشار به ثمّ أقسم له باتّصاله بالعبّاس بن عبد المطّلب وبعتق كلّ ما يملكه من جواريه[191] وغلمانه حتّى اطمأنّ [112أ] خاطر أبي مسلم ورحلا نحو العراق، فلمّا قرب أبو مسلم من المدائن لاقاه حميد بن قحطبة فقال له أبو مسلم: أين فارقت أمير المؤمنين؟ قال: بالمدائن. قال: بأيّها؟ قال: في رومية. فتغيّر وجه أبي مسلم ومضى قليلًا ثمّ انفرد عن جيشه وطلب نيزك بن روزبة وقال له: أتذكر لمّا نزلنا بالنوبهار من أرض بلخ وأُحضر إلينا عاملها ذلك الهنديّ الطويل الذقن وذكر أنّ عنده علمًا من الحوادث فسألته عن أمري فقال لي تُغتال بأرض رومية؟ قال: نعم، وما كنت أظنّها إلّا بلاد الرّوم. فلمّا دخل أبو مسلم على المنصور استبشر به وأظهر السرور بقدومه ثمّ قال له: اذهب يا عبد الرحمن وأمط عنك قشف السفر، ثمّ بعد خروجه استحضر مسلم بن قتيبة وقال له: ما ترى في أبي مسلم؟ فقال: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا**...﴾[192]. فقال له المنصور: حسبك قد أودعتها أذنًا واعيةً. ثمّ كان من أمره في قتله ما هو مشهور.

(190) في الأصل: وإنّك.

(191) في الأصل: جواره.

(192) سورة الأنبياء: 22.

ولمّا قتله خطب الناسَ فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تمشوا في ظلمة الباطل بعد سعيكم في ضياء الحقّ، إنّ أبا مسلم أحسن مبتدأً وأساء معقبًا، وأخذ من الناس بنا أكثر ممّا أعطانا، ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره، [112ب] وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيّته ما لو علمه اللائم لعذرنا في قتله وعنّفنا في إمهاله. وما زال ينقض عهده ويخفر ذمّته حتّى أحلّ لنا عقوبته وأباحنا دمه، فحُكمنا فيه حكمه لنا في غيره، ولم يمنعنا الحقّ له من إمضاء الحقّ فيه[193]، انتهى. وكان أبو مسلم من رجال الدهر حزمًا، وعزمًا، ورأيًا، وتدبيرًا.

حكى المسعوديّ أنّ مروان بن محمّد، آخر ملوك بني أميّة، لمّا اضطرب أمره قال لكاتبه عبد الحميد الكاتب: إنّ الأمر صائر عنّا لا محالة، فلو قصدت هؤلاء، يعني بني العبّاس، أقبلوا عليك ونلت بفضيلتك منهم الدرجة العليا، فحينئذ تقدر على نفعي في حياتي وفي الذين أخلفهم بعدي. فاعتذر له عبد الحميد وقال: لم أرَ في أمري إلّا السعي في قيام دولتك، فإمّا بلوغ المراد أو الموت على طاعتك[194]، ولكن دعني أكتب إلى أبي مسلم كتابًا إن قرأه على نفسه جبّنه وفَرَقَه وإن قرأه على جيشه فلّله ومزّقه. فكتب إليه طومارًا حمله الرسول على بعير، فلمّا وصل إلى أبي مسلم وضعه بين يديه وجمع قوّاده وأهل دولته وأمر بنار فأُضرمت، ثمّ قطع من الكتاب قدر الراحة وأمر بالكتاب أن يُلقى في تلك النار، فأحرقه وأمر كاتبه أن يكتب في تلك الجُزازة التي قطعها من الكتاب ما صورته: [113أ] [من الطويل]

نبَــذْنا فضــولَ الكُتــبِ خلــفَ ظُهورِنــا
وقُــدْنا إلــيكُمْ مُعْلمــاتِ الكتائــبِ

(193) انظر الكامل في التاريخ 5/ 64.

(194) انظر مروج الذهب 3/ 207، برواية مُختلفة؛ والوافي بالوفيات 18/ 52.

محـــا الســـيفُ أســـطارَ البلاغـــةِ وانتحَـــتْ
إليـــكَ صُـــدورُ الخيـــلِ مِـــنْ كـــلِّ جانـــبِ

فرجع الرسول إلى مروان بالجواب وكان من زوال الدولة الأمويّة ما هو مشهور[195]. ثمّ بعد قتل المنصور لأبي مسلم، قتل عمّه عبد الله بن عليّ بعد أن أمّنه، ثمّ خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد وجعلها في ولده المهديّ كما أخبر بذلك أبو مسلم سواء[196]. ولأبي مسلم أخبار حسان، في ذكرها خروج عمّا قصدناه، وإنّما ذكرنا هذا الفصل لتغلغل الكلام بنا إليه، والله المستعان.

رجع ذكر ابن بدرون وغيره من أهل الأخبار أنّ القوم الذين حملوا رأس الحُسين بن عليّ رضي الله عنه نزلوا منزلًا من المنازل في مسيرهم ووضعوا الرأس قريبًا منهم، فرأوا يدًا من حديد قد خرجت من الهواء فكتبت على جبين الحسين سطرًا من دم: [من الوافر]

أترجـــو[197] أمّـــةً قتلَـــتْ حُســـينًا شـــفاعةَ جـــدِّهِ يـــومَ الحســـابِ

فرُوي أنّ هذا البيت وُجد مكتوبًا في كنيسة من كنائس الرّوم برومية وعليه تاريخه منذ كيت وكيت فوُجد قبل الإسلام بثلثمائة سنة، هكذا ذكره في شرح البسّامة[198].

وأخبار الرّوم وفضائلهم قديمة وحديثة. قال وهب: لمّا رفع الله عيسى عليه السلام [113ب] اختلف بنو إسرائيل فيه فقال بعضهم: كان عيسى إلهًا فغاب. وقال بعضهم: كان نبيًّا عظيمًا ثمّ تقاتلوا قتالًا عظيمًا وكانت الغلبة للكافرين على المسلمين، فقُتل من المؤمنين خلق كثير فاجتمع بقيّتهم والتجؤوا إلى ربّهم، فبعث

(195) ورد هذا الخبر في الوافي بالوفيات 18/ 52–53، مع بعض الاختلاف.
(196) انظر البداية والنهاية 10/ 104.
(197) في الأصل: أترجوا.
(198) انظر شرح قصيدة ابن عبدون 162.

الله عزّ وجلّ للكافرين رجلًا من ولد عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام يُقال له طوطيوس فقتل من الكافرين خلقًا كثيرًا، وغنم أموالهم، وسبى ذراريهم، ومزّقهم كلّ ممزّق[199].

وذكر الهيثم بن عَديّ أنّه وُجد في جبل لبنان في زمن الوليد بن عبد الملك غار فدُخل فإذا فيه رجل مُسجًّى على سرير من ذهب، عند رأسه لوح من ذهب فيه بالرّوميّة مكتوب: أنا سبأ بن نواس بن سبأ، خدمت عيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الربّ الديّان الأكبر، وعشت بعده دهرًا طويلًا، ورأيت عجبًا كثيرًا، ولم أرَ فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويعلم أنّه صائر إليهم لا محالة فلا يتوب، والذي بعد الموت من حساب الديّان الأعظم وردّ حقوق المظلومين يومئذ أعظم وأقطع. حقًّا أقول: لقد حفرت غاري هذا أغدو وأروح أبكي على نفسي، وقد علمت أنّ الأجلاف الجُفاة سيُنزلونني[200] عن سريري هذا ويتموّلونه، ويُخرجونني[201] من غاري وهم يدينون بربوبيّة الديّان الأعظم وذلك حين يتغيّر الزمان ويتأمّر الصبيان، فمن أدرك [114أ] ذلك الزمان عاش قليلًا ومات ذليلًا[202].

وقد أتينا بحمد الله وحسن توفيقه على ما أردناه من جمع هذا التأليف في مناقب السلطان العادل وآثاره، وحسن سيرته وشريف أيّامه، وما يسّره الله تعالى من مآثر أسلافه الكرام ومحاسنهم، ثمّ ما أشرنا إليه من ذكر بعض ملوك الرّوم وبديع أخبارهم، وحسن آثارهم، وذكر مُدُنهم، وما لها من غرائب الأخبار وعجائب الآثار، مستمدًّا ذلك من تواريخ الإسلام ممّا حرّرته الأئمّة الأعلام على طول الأيّام، كلّ ذلك على وجه الإيجاز لا الإطناب المؤدّي إلى الملل، وإلّا فالمقام متّسع لأكثر

(199) لم نهتدِ إلى هذا الخبر.
(200) في الأصل: سينزلوني.
(201) في الأصل: ويخرجوني.
(202) انظر الروض المعطار 508.

ممّا أوردناه خصوصًا في مناقب صاحب الترجمة ومآثر سلفه، فإنّهم في الحقيقة أجلّ ملوك الدنيا وأعظم سلاطين الأرض، ودولتهم الشريفة أشرف دول الإسلام، أدامها الله على ممرّ الليالي والأيّام، والشهور والأعوام.

# خاتمة

لمّا كانت الآداب، لُباب اللباب، ونزهة ذوي الألباب، وعزيزة الجناب، وفسيحة الرحاب، كنت في طليعة العمر ورعيل الشباب، قد همت بها عشقًا، وشُغفت بها حُبًّا، وصاحبتها سماعًا، وعاشرتها حفظًا، وأحطت ببعضها علمًا، واستخرجت خباياها، واستطلعت خفاياها، وقلّبت ظهورها وبطونها، وعانقت أبكارها وعُونها، [114ب] ولبثت فيها من عمري سنين، إلى أن عرفت أنّ معرفتها تزكية للعقل، وتعديل للفهم، وإنّ العارف بها قد شهدت له معرفته بذكاء الحسّ، وضياء النفس، وإشراق نور الفهم، ورقّة حاشية العلم، لكونها معيار الأفهام، وميزان الأذهان، والجاهل بها لم يخرج إلى وجود الأدب، وليس بينه وبين الفضل نسب، ولم أعنِ بالجاهل بها من لم يصنعها، بل من إذا سمعها فكأنّه لم يسمعها.

والشعر زبدة محضها، وحلبة ركضها، وثمرة نَورها، ووردة زهرها، لأنّه حليّ اللسان، وحلية الإنسان، وروضة النفس، وفاكهة الكلام، وفخر الملوك، وغوث الصعلوك، لو جُعل حُلّةً على الزمان لتجلّى بها مكاثرًا، وتجلّى فيها مفاخرًا، وناهيك قوله عليه الصلاة والسلام: الشعراء أمراء الكلام[1]، وقوله ﷺ: إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحرًا[2].

(1) القول منسوب خطأً إلى النبيّ، وهو للخليل بن أحمد الفراهيديّ في زهر الآداب 3/ 687؛ وربيع الأبرار 5/ 210، ولأبي نؤاس في المستطرف 71، وبلا نسبة في التمثيل والمحاضرة 184.

(2) انظر مسند أحمد 4/ 245؛ وسنن ابن ماجه 4/ 687؛ وسنن أبي داود 7/ 359؛ وسنن الترمذيّ 4/ 435؛ والعمدة 1/ 27، بروايات مُختلفة.

وقيل: ما أوحى الله إلى نبيٍّ وحيًا إلّا وأحضر أرواح الشعراء لاستماع الوحي[3].

وقال ﷺ: لا تدع العرب الشعر حتّى تدع الإبل الحنين[4].

وقال ﷺ: الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلّم به في نواديها وتسلّ به الضغائن[5].

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: إذا قرأتم شيئًا من كتاب الله تعالى فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإنّ الشعر ديوان العرب. وكان إذا سُئل عن شيء من القرآن أنشد [115أ] فيه شعرًا. وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر[6].

وقال عمر رضي الله عنه: نِعْم ما تعلّمته العرب الأبيات يقدّمها الرجل أمام حاجته يستنزل بها اللئيم ويستعطف بها الكريم[7]. وكتب إلى أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه: مُر مَن قِبَلك بتعلّم الشعر فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق وصواب الرأي[8].

وقال معاوية رضي الله عنه: يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب. وقال: اجعلوا الشعر أكبر همّكم وأكثر آدابكم[9].

ورُوي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبيّ ﷺ بنى لحسّان بن ثابت في المسجد منبرًا ينشد عليه الشعر[10].

وقد مُدح النبيّ ﷺ وأجاد مدحه العبّاس بن مرداس السلميّ فأعطاه بردته فاشتراها منه معاوية رضي الله عنه بثلاثين ألف درهم[11].

---

(3) لم نهتدِ إلى مصدر هذا القول.

(4) انظر العمدة 1/ 30؛ وإحياء علوم الدين 3/ 127، وأصل الحديث في صحيح مسلم 2/ 737.

(5) انظر جمهرة أشعار العرب 34؛ والعمدة 1/ 28، إنّما الحديث لا أصل له في كتب الصحاح وغيرها.

(6) انظر العمدة 1/ 30.

(7) انظر المصدر نفسه 1/ 82.

(8) انظر المصدر نفسه 1/ 28.

(9) انظر المصدر نفسه 1/ 29.

(10) انظر المصدر نفسه 1/ 27.

(11) انظر المصدر نفسه 1/ 24، وفيه أنّ الشاعر الذي مدح النبيّ هو كعب بن زُهير لا العبّاس بن مرداس.

وذكر ابن رشيق في باب فضل الشعر أنّ الكلام كان كلّه منثورًا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيّامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمحائها الأجواد، لتهزّ أنفسها إلى الكرم، وتدلّ أبناءها إلى حسن الشيم، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلمّا تمّ لهم وزنه سمّوه شعرًا لأنّهم قد شعروا به أي فطنوا[12]. [115ب] وقال: ليس لأحد من الناس أن يمدح نفسه إلّا أن يكون شاعرًا فإنّ ذلك جائز له غير معيب عليه[13].

وقيل لسعيد بن المسيّب رحمه الله إنّ قومًا بالعراق يكرهون الشعر فقال: نسكوا نسكًا أعجميًّا[14]. وقال: وأمّا احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقول الله تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾[15] الآية فهو غلط وسوء تأويل لأنّ المقصود بهذا شعراء المشركين الذين تولّوا رسول الله ﷺ بالهجاء ومسّوه بالأذى، وأمّا من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله تعالى ونبّه عليهم بقوله: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا...**﴾[16]؟ يريد شعراء النبيّ ﷺ الذين ينتصرون له ويجيبون عنه المشركين كحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وقد قال النبيّ ﷺ فيهم: هؤلاء أشدّ على قريش من نضح النبل. وقال لحسّان: اهجهم، فوالله لهجاؤك عليهم أشدّ من وقع السهام في غَبَش الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس. فلو أنّ الشعر حرام أو مكروه ما اتّخذ النبيّ ﷺ شعراء يثيبهم على الشعر، ويأمرهم بعمله، ويسمعه منهم. وقد قال الشعر جماعة من الخلفاء

(12) انظر المصدر نفسه 1/ 20.
(13) انظر المصدر نفسه 1/ 25.
(14) انظر المصدر نفسه 1/ 29.
(15) سورة الشعراء: 224.
(16) سورة الشعراء: 227.

الراشدين، والجِلَّة من الصحابة والتابعين، [116أ] والفقهاء المشهورين[17].

إذا عُلم ذلك فما زالت الخلفاء، والملوك، والأمراء، والوزراء، والأكابر يستدعون الشعراء لمديحهم ويثيبونهم على المديح أجلّ مثوبة، ويفتخرون بذلك ويعدّونه من المآثر الباقية والمفاخر السامية، كلّ ذلك تخليدًا لمناقبهم وحرصًا على بقاء ذكرهم.

ولمّا كان الحال كذلك رأيت أن أصل هذا التأليف بقصيدة بديعة في مدح مولانا السلطان العادل صاحب الترجمة أنوّه فيها بشريف معاليه، وأشرّفها بذكر بعض خصائصه ومعانيه، وأجمع له بين نثري ونظمي، وأستفرغ في الثناء على محاسنه محاسن كلمي، وأرغب إليه في العفو عن التقصير، والعذر عن الباع القصير، وهذه القصيدة: [من الطويل]

خُذوا مِنْ ثنائي مُوجبَ الحمدِ والشكرِ
ومِنْ دُرِّ لفظي مُحكمَ النظمِ والنثرِ
ودونكُمُ مدحًا يَشِفُّ نظامُهُ
وحُسنُ معانيهِ على الأنجمِ الزُهرِ
يُشنّفُ أسماعَ الكرامِ سماعُهُ
ويهتزُّ مِنْ إنشادِهِ جامدُ الصخرِ
عزيزٌ عليْهِ أنْ يَفوهَ ودونَهُ
على البُعْدِ أجْوازُ المهامِهِ والقفرِ
أأحبابَنَا هلْ لي إليكُمْ وإنْ نأَتْ
بيَ الدارُ وصلٌ مستحيلٌ عَنِ الهجرِ
أراكُمْ على قربِ الديارِ وبُعْدِها
بعينِ ضميرٍ صادقِ الحسِّ والفكرِ

(17) انظر العمدة 1/ 31 و32.

[116ب]

وأشـــتاقُ أرضًـــا ســـهلةً أنـــتُمُ بهـــا
مُباركـــةَ[18] الأرجـــاءِ ميمونـــةَ القُطـــرِ
سَـــقى ربعَهـــا إذْ حـــلَّ فيـــه جمـــالُكُم
شـــآبيبُ مُـــزنٍ دائـــمِ السَـــكبِ والهَمـــرِ
ولا برحَـــــت مأنوسَـــــةً بوجـــــودِكُمْ
مُعطّـــرةَ الأكنـــافِ باســـمةَ الثغـــرِ
لـــئِنْ أخّرَتْنـــي عَـــنْ زيـــارةِ تُربِهـــا
علـــى الـــرغمِ أســـبابٌ تجـــلُّ عَـــنِ العُـــذرِ
فمـــا زالَ ســـوءُ الحـــظِّ يقعـــدُ بـــالفَتى
ويدركُـــه الحرمـــانُ مِـــنْ حيـــثُ لا يـــدري
ولكنّنـــي صَـــبٌّ مَشـــوقٌ بحبِّهـــا
ومنتظـــرٌ بالصـــبرِ عاقبـــةَ الصـــبرِ
فيـــا راكبًـــا يســـري علـــى مـــتنِ ضـــامرٍ
إلـــى الـــرّوم يَهديـــه لهـــا طيّـــبُ النشـــرِ
لـــكَ الخيـــرُ إنْ وافيـــتَ بُرصـــا فَسِـــرْ بهـــا
رويـــدًا لإســـطنبولَ[19] ســـاميةِ الـــذكرِ
وإذْ وصَـــــلَتْ دارَ الملـــــوكِ فظهرُهـــــا
عليـــكَ حـــرامٌ مـــا بقيـــتَ مِـــنَ العُمـــرِ

(18) كتب الناسخ فوق الكلمة: مُعَطَّرة.
(19) في الأصل: لإصطنبول.

وقبّـــــلْ ثـــــرا أخفافِهـــــا فلطالمـــــا
ســـرَتْ بـــكَ في الظلمـــاءِ والســـهلِ والـــوعرِ
فقـــدْ بلّغَتـــكَ العـــزَّ والغايـــةَ التـــي
إليهـــا مَـــدى مـــا كنـــتَ ترجـــو مِـــنَ الـــدهرِ
لـــدى ملـــكٍ لا يُـــدركُ الوصـــفُ كنهَـــهُ
شـــريفِ المســـاعي نافـــذِ النهـــيِ والأمـــرِ
إلـــى بايزيـــدَ الخيـــرِ والملـــكِ الـــذي
حمـــى بيضـــةَ الإســـلامِ بـــالبيضِ والسُّـــمرِ
وجـــرّدَ للـــدينِ الحنيفـــيِّ صـــارمًا
أبـــادَ بِـــهِ جمـــعَ الطواغيـــتِ والكُفـــرِ
وجاهـــــدَهُمْ في اللهِ حـــــقَّ جهـــــادِهِ
رجـــاءً لِمـــا يُبغـــى مِـــنَ الفـــوزِ والأجـــرِ
فتوحاتُـــــه في الشـــــركِ إســـــكندريّةٌ
توهَّمتُـــه ألقـــى لَـــهُ العهـــدَ في سِـــفْرِ

[117أ]
وســـيرتُهُ في العـــدلِ أكـــرمُ ســـيرةٍ
تُـــذكّرنا عـــدلَ الإمـــامِ أبـــي بكـــرِ
وأيّامُـــــهُ في جبهـــــةِ الـــــدهرِ غُـــــرّةٌ
فـــأعظِمْ بهـــا في العـــدلِ والفضـــلِ والســـترِ
لَـــهُ هيبـــةٌ مـــلءُ الصـــدورِ وصـــولةٌ
علـــى ســـائرِ الأعـــداءِ قاصـــمةُ الظهـــرِ

أطـــاعَ لَـــهُ مـــا بـــينَ رومٍ وفـــارسٍ
ودانَ لـــهُ مَـــنْ بـــينَ بُصـــرى إلـــى مِصـــرِ

جـــرى وجـــرَتْ كـــلُّ الملـــوكِ إلـــى العـــلا
ففـــاتَ بـــأدنى خطـــوةٍ مَـــنْ لهـــا يجـــري

فلـــوْ أنَّ للعَضـــبِ اليمـــانيِّ فتكـــةً
كَفتكتِـــهِ لـــم يَنْـــبُ عَـــنْ فلَـــلِ الصـــخرِ

هُـــوَ البحـــرُ إلّا أنَّـــهُ دائـــمُ العطـــا
وذاكَ نـــراهُ دائـــمَ المـــدِّ والجـــزرِ

هُـــوَ البـــدرُ إلّا أنَّـــهُ كامـــلُ الضـــيا
وذاكَ حَليـــفُ الـــنقصِ في مُعظـــمِ الشـــهرِ

هُـــوَ الليـــثُ لكـــنْ غابُـــهُ السُّـــمْرُ والظُّبـــا
وذاكَ لَـــهُ غـــابٌ مِـــنَ الأُسْـــلِ والســـدرِ

هُـــوَ الغيـــثُ إلّا أنَّ للغيـــثِ مســـكةً
وذا لا يـــزالُ الـــدهرَ ينهـــلُّ بـــالقَطرِ

هُـــوَ الســـيفُ إلّا أنَّ للســـيفِ نَبـــوةً
تُكَـــادُ وذا ماضـــي العزيمـــةِ في الأمـــرِ

ســـليلُ بنـــي عُثمـــانَ والســـادةِ الأُلـــى
رســـى مجـــدُهم فـــوقَ الســـماكين والنســـرِ

ملـــوكٌ كـــرامُ الأصـــلِ طابَـــتْ فـــروعُهُم
وهَـــل يُنســـبُ الـــدينارُ إلّا إلـــى التـــبرِ

أبــاحوا حِمــى الكُفّــارِ بالســيفِ فاغتــدَتْ
بِهــم حــوزةُ الإســلامِ ســاميةَ القــدرِ
حُمــاةٌ رُعــاةٌ للقــديمِ وســادةٌ
كــرامُ الســجايا طيّبــو عُقَــدِ الأُزرِ
وأنــتَ عمــادُ البيــتِ فــيهم ولــمْ يــزلْ[20]
قــديمًا لــكَ التقــديمُ في الدســتِ والصــدرِ
ورثــتَ العُــلا والملــكَ لا عَــنْ كلالــةٍ
وحُــزتَ تــراثَ المجــدِ بالحَسَــبِ المُثــرِ

[117ب]
فــدَتكَ ملــوكُ الأرضِ طُــرًّا فــإنّهم
سِــرارٌ وأنــتَ البــدرُ في غُــرّةِ الشــهرِ
لَــئِنْ جَمَعَــتكُم دارةُ المُلْــكِ والعُــلا
فــإنَّ الليــالي بعضَــها ليلــةُ القــدرِ
وإنْ شــارَكوا في لفظــةِ الملــكِ حَســبُهُم
فــإنَّ الــدراري تســتمِدُّ مِــنَ البــدرِ
تعالَيــتَ عَــنْهم رفعــةً وجلالــةً
وذاتًــا وأوصــافًا تجــلُّ عَــنِ الحصــرِ
لــكَ العــزّةُ القعســاءُ والمنصــبُ الــذي
قواعــدُهُ أوفَــتْ علــى منكــبِ الغفــرِ

(20) وقد تُقرأ أيضًا: تزل.

سـمَوتَ عُلـوًّا إذْ دنَـوتَ تواضـعًا
وقمـتَ بحـقِّ اللهِ في السـرِّ والجهـرِ
غـدَتْ بـكَ أرضُ الـرّوم تزهـو ملاحـةً
وترفـلُ في ثـوبِ السـيادةِ والفخـرِ
مـلأتَ بهـا قلـبَ العـدوِّ مَهابـةً
فصـاروا أسـارى الخـوفِ مِـنْ غيـرِ مـا أسـرِ
كسَـرْت جمـوعَ الشـركِ بـالفتحِ حيـثُ مـا
رفعـتَ اللـوا والجمـعُ يُفـتحُ بالكسـرِ
ألَسْـتَ ابـنَ عثمـانَ الـذي سـارَ ذِكـرُه
وأمعـنَ في الآفـاقِ والـبرِّ والبحـرِ
هُمـامٌ مُنـاخُ الجُـودِ بـينَ رُبوعِـهِ
ومَلقـى رجـالِ الحمـدِ والمـدحِ والشـعرِ
محـطُّ ركـابِ الآملـينَ جنابُـهُ
ومفـزعُ أهـلِ الشـكرِ بـل مَصـرعُ الفقـرِ
أيـا ملـكَ الإسـلامِ دعـوةَ نـازحٍ
دعـاكَ بهـا مِـنْ طيبـةٍ في حمـى القـبرِ
دعـا بـكَ والآمـالُ تُـدني رجـاءَه
وتطمعُـهُ في فـيضِ نائلِـكَ الغَمـرِ
فأنـتَ الـذي لـولاهُ مـا عُـرِفَ النـدى
ولا بـاتَ نحـوَ الجـودِ وفـدُ الرَّجـا يسـري

[118أ]

ولا كـــانَ للعليـــا زمـــامٌ وقائـــدٌ
ولا لربـــوعِ الجُـــودِ حـــظٌّ مِـــنَ الـــذكرِ
يمينُـــك تـــروي عَـــنْ يســـارٍ ونائـــلٍ
ووجهُـــكَ يـــروي في البشاشـــةِ عَـــنْ بشـــرِ
ومِنـــكَ أخَـــذْنا القـــولَ فيـــكَ كرامـــةً
وعلّمْتَنـــا كيـــفَ الســـبيلُ إلـــى الشـــكرِ
تحـــنُّ إلـــى جـــدواكَ نفـــسٌ كســـيرةٌ
تُعلّلُهـــا آمالُهـــا مِنـــكَ بـــالجبرِ
لعـــلَّ نـــوالًا مِنـــكَ يجـــبرُ صـــدعَها
ويعتقُهـــا مِـــنْ رِبقـــةِ العُســـرِ باليســـرِ
عزيـــزٌ عليهـــا المـــدحُ في غيـــرِ ذاتِكُـــم
ومَـــنْ وَرَدَ البحـــرَ اســـتقلَّ عَـــنِ النهـــرِ
فقابـــلْ رعـــاكَ اللهُ شـــكري بمثلِـــهِ
فمـــا زلـــتَ للمعـــروفِ مِـــنْ أعظـــمِ الـــذخرِ
وحقّـــقْ رجـــائي فيـــكَ يـــا خيـــرَ مالـــكٍ
وكـــنْ عنـــدَ ظنّـــي مِنـــكَ يـــا واحـــدَ العصـــرِ
فـــلا زلـــتَ محفـــوظَ الجنـــابِ مؤيَّـــدًا
مِـــنَ اللهِ بـــالتوفيقِ والعـــزِّ والنصـــرِ

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا. انتهى المجموع المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في يوم الجمعة سادس عشرين من ذي الحجّة الحرام عام عشرة وتسعمائة على يدِ راقم بُرده ومُفَوّفه، وناظم عقده ومؤلّفه، الفقير إلى الله تعالى أحمد بن الحسين بن محمّد بن العُلَيف المكّيّ المدنيّ الشافعيّ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وأحبابه وجميع المسلمين، والحمد لله ربّ العالمين.

# الفهارس

# فهرست الآيات القرآنيّة

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾ | البقرة | 207 | 72 |
| ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ | النساء | 95 | 95-96 |
| ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ | النساء | 95 | 96 |
| ﴿وفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ | النساء | 95-96 | 95 |
| ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ | المائدة | 3 | 70 |
| ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ | المائدة | 67 | 70 |
| ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ | التوبة | 39 | 96 |
| ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ | التوبة | 41 | 96 |
| ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ | التوبة | 118 | 107 |
| ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ | هود | 71 | 46 |
| ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ | هود | 103 | 153 |
| ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ | يوسف | 6 | 46 |
| ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ | الكهف | 83-84 | 52 |
| ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ | الكهف | 86 | 54 |
| ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ | الكهف | 86 | 52 |
| ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ | طه | 71 | 55 |
| ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ | الأنبياء | 22 | 205 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ | الأنبياء | 79-78 | 151-150 |
| ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ | الأنبياء | 84 | 50 |
| ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ | الشعراء | 224 | 213 |
| ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ | الشعراء | 227 | 213 |
| ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ | القصص | 54 | 65 |
| ﴿الم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ | الرّوم | 3-1 | 204 |
| ﴿الم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ | الرّوم | 4-1 | 136 |
| ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ | الرّوم | 4-3 | 140 |
| ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللهِ﴾ | الرّوم | 5-4 | 139 |
| ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ | يس | 14 | 68 |
| ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ... إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ | ص | 41 | 50 |
| ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ | غافر | 28 | 203 |
| ﴿مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ | الفتح | 10 | 102 |
| ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ | الحشر | 9 | 112 |
| ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ | التغابن | 16 | 112 |

# فهرست متون الحديث


| الحديث/ الأثر | الصفحة |
|---|---|
| أحبّ الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسًا إمام عادلٌ. | 105 |
| إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتّت عنه خطاياه كما يتحاتّ عذق النخلة. | 99 |
| أسلم يؤتك الله أجرك مرّتين. | 65 |
| أسمعتم بمدينة جانب منها في البرّ وجانب البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقوم الساعة حتّى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا لا إله إلّا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها، ثمّ يقولون الثانية فيسقط الجانب الآخر، ثمّ الثالثة فيُفرج لهم فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقسمون المغانم إذا جاءهم الصريخ بأنّ الدجّال قد خرج فيتركون كلّ شيء ويرجعون. | 172 |
| أعمالكم عُمّالكم وكما تكونون يُولّى عليكم. | 94 |
| اغزوا تغنموا بنات الأصفر. | 47 |
| الإمام العادل أحد الذين يظلّهم الله عزّ وجلّ في ظلّ عرشه. | 104 |
| أمّا هؤلاء فيمزَّقون وأمّا هؤلاء فستكون لهم بقيّة. | 68 |
| أنا سابق العرب إلى الجنّة، وصهيب سابق الرّوم إلى الجنّة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنّة، وسلمان سابق فارس إلى الجنّة. | 60 |
| إنّ الرّوم ذات قرون إلى آخر الدهر. | 51 |
| إنّ سالمًا شديد الحبّ لله لو كان لا يخاف الله ما عصاه. | 73 |
| إنّ في الجسد مضغةً. | 94 |
| إنّ في الجنّة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض. | 96 |
| إنّ لكلّ أمّة رهبانيّة، وإنّ رهبانيّة هذه الأمّة الجهاد في سبيل الله. | 98 |
| إنّ الله عزّ وجلّ يقول: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا، مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي. فإن العباد أطاعوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وإن هم عصوني حوّلت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، فاشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرّع إليّ أكفكم أمر ملوككم. | 105 |

| | |
|---|---|
| إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحرًا. | 211 |
| أيّما عبد من عبادي خرج مجاهدًا في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له إن أرجعته أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة، وإن قبضته غفرت له ورحمته. | 96 |
| تقوم الساعة والرّوم أكثر الناس. | 60 |
| ثبّت الله ملكه. | 68 |
| جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: ائذن لي في السياحة. قال: إنّ سياحة أمّتي الجهاد في سبيل الله. | 98 |
| جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: علّمني عملًا يعدل الجهاد. قال: لا أجده، هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدًا فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: لا أستطيع ذاك. | 98 |
| جاهدوا في سبيل الله، فإنّ الجهاد في سبيل الله بابٌ من أبواب الجنّة يُنجّي اللهُ به من الهمّ والغمّ. | 97 |
| رباط يوم وليلةٍ خير من صيام شهرٍ وقيامه. | 100 |
| رُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فيما أخبر به عن النبيّ ﷺ أنّه كان بأرض رومية مدينة يُقال لها أنسوس، فلمّا جاء الإسلام سمّوها طرسوس. قال: وكان لهم ملك صالح فمات فانتشر أمرهم وسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس، وكان كافرًا جبّارًا فأقبل في عساكره حتّى دخل أنسوس فاتّخذها دار مملكته وبنى بها قصرًا وعتا وطغى وتجبّر وادّعى الربوبيّة من دون الله تعالى، ودعا الناس إلى عبادته فمن أجابه أعطاه وحباه ومن لم يتابعه قتله. وكان ممّن امتنع عليه الفتية أصحاب الكهف فكان منه في أمرهم ما أخبر الله به في كتابه العزيز. | 58 |
| سُئل رسول الله ﷺ: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله ورسوله. قيل: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ الجهاد في سبيل الله. قيل: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ حجٌّ مبرور. | 97 |
| سُئل ﷺ: أيّ الناس أفضل؟ فقال: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. | 98 |
| السُبّاق أربعة، أنا سابق العرب، وصهيب سابق الرّوم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة. | 61 |
| السلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه كلّ مظلوم من عباده. | 104 |
| السلطان العادل المتواضع ظلّ الله ورمحه في الأرض. زاد في الرواية: يُرفع له عمل ستّين صدّيقًا. وزاد في أخرى: فإذا دخل أحدٌ بلدًا ليس به سلطان فلا يقيمنّ فيه. وفي رواية: فمن أكرمه أكرمه الله. | 105 |
| شرّف الله بقعتها وأكرم أهلها به فإنّه دخلوا في الإسلام وصار قائدهم ونورهم يوم القيامة. | 171 |
| الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلّم به في نواديها وتسلّ به الضغائن. | 212 |
| الشعراء أمراء الكلام. | 211 |

| | |
|---|---|
| الشهداء على بارق نهر بباب الجنّة في قبّة خضراء، يخرج إليهم رزقهم بكرةً وعشيًّا. | 100 |
| العادلون عند الله عزّ وجلّ على منابر من نورٍ. | 105 |
| عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينيّة وفيها خروج الدجّال. وفي رواية: الملحمة العظمى، وفتح القسطنطينيّة، وخروج الدجّال. وفي رواية أخرى: أنّهما وخروج الدجّال في سبعة أشهر. | 172 |
| عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلًا من أصحاب النبيّ ﷺ مرّ بشعب فيه عين من ماء فأعجبه طيبه وحسنه، فقالوا: لو اعتزلت الناس وأقمت هنا. فقال: حتّى أستأمر رسول الله ﷺ، فذكر ذلك له فقال: لا تفعل، فإنّ مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في أهله ستّون عامًا، ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنّة؟ اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ وجبت له الجنّة. | 98 |
| عن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه أنّ رجلًا جاء إلى الصلاة والنبيّ ﷺ يصلّي بنا، فقال حين انتهى إلى الصفّ: اللهمّ آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين. فلمّا قضى النبيّ ﷺ الصلاة قال: من المتكلّم آنفًا؟ فقال: أنا. قال: إذن يُعقر جوادك وتستنّ به في سبيل الله. | 100 |
| عن النبيّ ﷺ أنّ السلطان العادل لا تُردّ دعوته. | 105 |
| عن النبيّ ﷺ أنّ الفتية أصحاب الكهف كانوا من أهل مدينة أنسوس من أرض رومية. | 203 |
| عينان لا تمسّهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله. | 100 |
| غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البرّ، ومن أجاز البحر فكأنّما أجاز الأودية كلّها. | 99 |
| فتح القسطنطينيّة من أشراط الساعة. | 171 |
| كلّ ميتٍ يُختم على عمله إلّا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنّه ينمو عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر. | 100 |
| لا أدري أكان ذو القرنين نبيًّا أم لا. | 52 |
| لا تدع العرب الشعر حتّى تدع الإبل الحنين. | 212 |
| لا تزال طائفة من أمّتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين على من ناوأهم حتّى يقاتل آخرهم المسيح الدجّال. | 99 |
| لا تقوم الساعة حتّى يغزو القسطنطينيّة سبعون ألفًا من بني إسحاق. | 45 |
| لا تقوم الساعة حتّى يملك القسطنطينيّة وجبل الديلم رجل من أهل بيتي. | 172 |
| لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنّم في جوف عبدٍ أبدًا. | 99 |
| لتُفتحنّ القسطنطينيّة، ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذاك الجيش. | 171 |
| ما أهدى المرء إلى أخيه هديّةً أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هُدًى أو يردّ بها عنه ردًى. | 117 |
| ما ترك قومٌ الجهاد إلّا عمّهم الله بالعذاب. | 99 |
| ما خالط قلبَ امرئ رَهَجٌ في سبيل الله إلّا حرّم الله عليه النار. | 97 |

| | |
|---|---|
| ما هكذا ذكرتُ، إنّما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل. | 137 |
| مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم نهاره القائم ليله حتّى يرجع متى يرجع. | 97 |
| مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم وتكفّل الله للمجاهد في سبيله أن يتوفّاه فيدخله الجنّة أو يرجعه سالمًا بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ. | 97 |
| مزّق الله ملكه. | 68 |
| مقام أحدكم في سبيل الله ساعة من عمره خيرٌ من عمله عُمُرَهُ في أهله. | 96 |
| مقام الرجل في الصفّ في سبيل الله أفضل عند الله من عبادة رجل ستّين سنةً. | 98 |
| من اغبرّت قدماه في سبيل الله باعد الله منه النار مسيرة ألف عام للراكب المستعجل. | 99 |
| من بلغ العدوّ بسهم رفعه الله تعالى به درجةً. | 96 |
| من جُرح جراحةً في سبيل الله ختم الله له بخاتم الشهداء. | 99 |
| من فاته الغزو معي فليغزُ في البحر. | 99 |
| من قاتل في سبيل الله فُواقَ ناقةٍ حرّم الله على وجهه النار. | 98 |
| من لقي العدوّ فصبر حتّى يُقتل أو يَغلِب لم يُفتن في قبره. | 100 |
| من لقي الله بغير أثرٍ من جهاد لقيه وفيه ثُلْمة. | 99 |
| من مات ولم يغزُ ولم يحدّث نفسه بالغزو مات على شعبةٍ من النفاق. | 97 |
| نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. | 72 |
| نعم الهديّة كلمة حكمةٍ تسمعها ثمّ تحملها إلى أخ لك مسلمٍ فتعلّمها إيّاه. | 117 |
| هل لك في بلاد بني الأصفر العام. | 45 |
| ولدُ نوح عليه السلام ثلاثةٌ: سام وحام ويافث؛ فسام أبو العرب وفارس والرّوم، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، وحام أبو السودان. | 43 |
| يومٌ في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه. | 97 |
| يومٌ من إمام عادل أفضل من عبادة الرجل ستّين سنةً. | 105 |

# فهرست الأعلام


آدم (النبيّ): 44، 56، 130، 150، 180، 194، 196.
آصف بن برخيا: 199، 200.
إبراهيم (النبيّ): 43، 45، 46، 50، 52، 53، 55، 150، 159.
إبراهيم النظّام: 132.
أبرويز بن هرمز (كسرى فارس): 48، 118، 140، 141، 157.
ابن أبي دُؤاد: 70، 71.
ابن أبي غيلان الثقفيّ: 71.
ابن أبي الوفاء: 85.
ابن الأثير: 66، 139، 140، 158، 163، 178.
ابن إسحاق: 44، 64، 147.
ابن أعثم: 177.
ابن الأنباريّ: 46.
ابن بدرون: 53، 124، 126، 132، 144، 175، 207.
ابن بُرَيدة: 171.
ابن الجزريّ: 79.
ابن الجوزيّ: 59، 125، 126، 130، 132، 135، 140، 173.
ابن الحاجب: 73.
ابن حجر العسقلانيّ: 65، 67.
ابن حزم الظاهريّ: 45، 48، 51.
ابن حمدين: 67.
ابن حنبل: 100، 171، 172.
ابن حيّان القرطبيّ: 158، 188.
ابن خالويه: 151، 152.
ابن خرداذبة: 203.
ابن خلّكان: 46، 190.
ابن الخيّاط الطليطيّ: 66، 67.
ابن الراونديّ: 132.
ابن رشيق: 213.
ابن الرّوميّ: 92.
ابن الرّوميّة: 71.
ابن الزبير: انظر عبد الله بن الزبير
ابن سعد: 72.
ابن سيرين: 126.
ابن ظالم: 156.
ابن ظفر الصقلّيّ: 144.
ابن عبّاس: 46، 47، 54، 150، 160، 212.
ابن عبد البرّ: 65.
ابن عبد النور: 69، 132، 162، 163، 167، 174، 186، 193، 203.
ابن العبريّ: 164.
ابن عربشاه: 80.
ابن عصفور: 73.
ابن عفير: 186.
ابن عمر: 52، 96.
ابن قتيبة: 54، 131.
ابن قرمان: 79، 81.
ابن ماريّة بنت الأرقم: 143.
ابن مالك: 73.
ابن المحتاج: 160.
ابن المقفّع: 132.
ابن هشام الأنصاريّ: 73.

ابن هشام (عبد الملك): 46.
ابن يامين المصريّ: 155.
أبو إدّ بن شمر بن غُرّ بن أفريقش الحميريّ: انظر ذو مراثد الإسكندر الأوّل
أبو أمامة الباهليّ: 60.
أبو أيّوب الأنصاريّ: 85، 170، 171.
أبو بكر البيهقيّ: انظر البيهقيّ
أبو بكر الصدّيق: 58، 71، 137، 138، 156، 216.
أبو بكر بن مردويه: 73.
أبو تمّام ابن أوس الطائيّ: 132، 178.
أبو جعفر المنصور: انظر المنصور العبّاسيّ
أبو الحسن بن زيدان: 67.
أبو الحسين مسلم بن الحجّاج: انظر مسلم بن الحجّاج
أبو ذرّ الغفاري: 58.
أبو رغوان: 156.
أبو الرّوم ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف: 72.
أبو روميّ: 72.
أبو الريحان البيرونيّ المنجّم: انظر البيرونيّ
أبو زُفَر بن الجزريّ: 180.
أبو شمر الحارث بن عامر: 141.
أبو طاهر زكريّا المخلّص: 55.
أبو الطيّب المتنبّي: 91، 110.
أبو العبّاس عبد الله السفّاح: 166، 204.
أبو العبّاس المبرّد: انظر المبرّد
أبو عبد الرحمن الحُبُليّ: 187.
أبو عبد الله أحمد بن أبي دُؤاد: انظر ابن أبي دُؤاد
أبو عبد الله الزاهد الرّوميّ: 71.
أبو عُبيد القاسم بن سلّام: 68.
أبو عبيدة بن الجرّاح: 65، 160، 201.
أبو العلاء المعرّي: 86.
أبو الفتح غياث الدين الوتريّ: انظر محمّد بن بايزيد يلدرم
أبو فراس الحمدانيّ: 151، 152.
أبو الفرج الأصفهانيّ: 130، 161.
أبو القاسم بن الخيّاط الطليطيّ: انظر ابن الخيّاط الطليطيّ
أبو القاسم بن عبد الباقي: 177.
أبو الليث السمرقنديّ: 81.
أبو مسلم الخُراسانيّ: 132، 204، 205، 206، 207.
أبو موسى الأشعريّ: 212.
أبو نؤاس: 211هـ.
أبو نُعيم الأصفهانيّ: 73، 171.
أبو هريرة: 97، 98، 159.
أُبيّ بن خلف الجُمَحيّ: 137، 138.
أحمد بن بايزيد بن محمّد: 120.
أحمد بن حنبل: انظر ابن حنبل
أحمد بن محمّد بن إبراهيم الرّوميّ: 71.
أحمد بن محمّد بن مفرح: انظر ابن الرّوميّة
أحمد بن مروان الدينَوَريّ: 111.
الأخرم (ملك الرّوم): 150.
أدفونش بن بطرة: 66، 67.
أرخان بن أردن عليّ: 77.
أردن عليّ بن عثمان: 77.
أرسطاطاليس: 61، 64، 68.
أركلش (هرقلش): 193.
أرمويل بن نشطة: 68.
أرميا (النبيّ): 68.
أزدشير بن بابك بن ساسان الأصغر: 64.
إستبراق بن نقفور: 183، 184.
إسحاق (النبيّ): 43، 44، 45، 46، 48.
إسرائيل: انظر يعقوب بن إسحاق
أسعد أبو كرب الحميريّ: 55.
الإسعرديّ: 133، 152، 155.
إسكندر بن فيلفوس: انظر الإسكندر ذو القرنين
الإسكندر ذو القرنين: 51، 52، 53، 55، 61، 64، 68، 111، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 136، 169، 202، 203، 204.
إسماعيل (النبيّ): 44، 46.

إشبان (ملك الرّوم): 188.
أشجع السلميّ: 180.
الأصفر بن روم بن يعصو بن إسحاق: 46، 47.
أطسيس الكاهن: 68.
أُغسطة: 179، 181.
أغسطس (ملك رومة): 48، 49.
أقطوفيوس (ملك مقدونية): 49.
أقلاحطرة: 48، 49.
أكتبنان قيصر: 184، 187.
ألفنش بن هرندة: 104.
إليون المرعشيّ: 166، 179، 182، 183.
امرؤ القيس: 161.
أمّ جعفر (والدة الأمين العبّاسيّ): 152، 153.
أمّ عاصم (زوجة الملك لذريق): 198.
أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز: 170.
أمّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب: 158.
الأمين العبّاسيّ: 152، 182.
أنبيل: 186.
أنس بن مالك: 60.
أنوشروان بن قباذ (كسرى فارس): 48، 68، 76، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 155، 157.
أونيطاب: 169.
إياس بن قبيصة الطائيّ: 141.
إيشوع الناصريّ: 173.
أيّوب (النبيّ): 50، 51.
أيّوب بن أموص: انظر أيّوب (النبيّ)
بابَك الخُرَّميّ: 178.
البابوج: 67.
بالينوس: 203.
بايزيد بن محمّد (ملك الرّوم): 40، 75، 76، 87، 88، 100، 101، 103، 104، 106، 116، 117، 121، 214، 216.
بايزيد يلدرم بن مراد الغازي: 78.
بتويل بن فاهت: 43.
البخاريّ: 64، 72، 100، 171.
بُخت نصّر: 188.
بخنس: 137.
البديع الأسطرلابيّ: 41.
البديع الهمذانيّ: انظر بديع الزمان الهمذانيّ
بديع الزمان الهمذانيّ: 156.
برانس الأسقف: 184.
برقوق (السلطان): 79.
البزّار: 61، 100.
بشر بن أيّوب: انظر ذو الكفل
بشر الغنويّ: 171.
البطّال: 177.
بطليموس: 48، 51، 68.
البكريّ (أبو عُبيد): 163.
بلال بن رباح: 60، 61.
بلتيوس: 68.
بلقيس (ملكة سبأ): 118، 199.
بُليان: 189، 190، 195، 196.
بلينوس الحكيم: 170.
بهاء الدين السبكيّ: 72.
بوليس القيصر: 188، 203.
البيرونيّ: 53.
البيهقيّ: 100.
تُبّع الأقرن = تُبّع الحميريّ: 48، 54، 55، 175.
الترمذيّ: 100، 171.
التقيّ الكرمانيّ: 116.
تمربغا الظاهريّ: 140.
تمرلنك: 80.
التنوخيّ: 133.
توفيل بن ميخائيل (ملك الرّوم): 178.
الثعلبيّ: 43، 45، 50، 51، 52، 53، 54، 59، 124، 153.
جاهنشاه بن بايزيد بن محمّد: 120.
جبريل: 58، 213.
جبلة بن الأيهم الغسّانيّ: 141، 142، 143، 181.

الجدّ بن قيس:
جرادة ابنة صيدون: 199.
جرجس: 68.
جرير بن عطيّة: 156.
حائد بن سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم: 55، 56، 57، 58.
الحارث بن أبي أسامة: 61.
الحارث بن ظالم المرّيّ: انظر ابن ظالم
حارس أخت فرساس: 177.
حام بن نوح: 43.
حبشيّة (أمّ المنتصر العبّاسيّ): 159.
حبيب بن مسلمة الفهريّ = حبيب الرّوم: 72.
الحجاريّ: 66.
الحجّاج بن يوسف الثقفيّ: 150.
حجر بن مسعود التميميّ: 153.
الحريريّ: 89.
حسّان بن ثابت: 143، 144، 212، 213.
حسّان بن النعمان: 173.
الحسن البصريّ: 43.
حسن باك (ملك الفرس): 85.
الحسن بن قَحْطَبة: 175.
حسنة: 160.
الحُسين بن عليّ: 207.
حمدان بن أبي لطفة: 177.
حميد بن قَحْطَبة: 205.
حنش بن عبد الله: 187.
حومل بن أيّوب: 51.
الخازن: 131، 204.
خاقان (ملك الترك): 48، 157.
خالد بن برمك: 135.
خالد بن عبد عمرو بن عقيل: 72.
خالد بن الوليد: 157.
خرشيد الأصبهند: 117.
الخضر: 52، 53.
الخطيب أبو بكر البغداديّ: 152.
الخطيبيّ: 72.
الخليل بن أحمد الفراهيديّ: 211هـ.
الخوارزميّ: 131.
دارا الأكبر: 52، 53.
دارا بن دارا: 64، 123، 124، 125، 132.
دارم بن مالك: 157.
داود (النبيّ): 150، 200.
دحية الكلبيّ: 65.
دقيانوس: 58.
الديلميّ: 73.
الدينَوَريّ: انظر أحمد بن مروان الدينَوَريّ
ذو الكفل (النبيّ): 50، 51.
ذو مراثد الإسكندر الأوّل: 53، 54.
راحيل: 44.
رحمة بنت أفراثيم بن يوسف: 50.
رستناوونس: 200، 201.
رسول الله محمّد: انظر محمّد (النبيّ)
الرشيد العبّاسيّ: 152، 153، 155، 166، 179، 180، 181، 182.
رضيّ الدين الصغانيّ: انظر الصغانيّ
رفاعة بن زهير: 68، 160.
رفقا بنت بتويل بن فاهت: 43، 44.
رمينوا: 69، 201.
رَوشنك بنت دارا: 124.
روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم: 43، 44، 45، 46، 47، 51.
روملش (باني رومة): 45، 184.
زبيدة بنت جعفر: انظر أمّ جعفر والدة الأمين العبّاسيّ
زفر بن عاصم الهلاليّ: 158.
سابور بن هرمز (ذو الأكتاف): 144، 145، 146، 147، 148.
سارة زوج إبراهيم: 46.
ساردوس بن هرقل: 186.
الساطرون = الضيزن: 147.

سالم (مولى أبي حُذيفة): 73.
سام بن نوح: 43.
سبأ بن نواس بن سبأ: 208.
السخاويّ: انظر شمس الدين السخاويّ
السُّدّيّ: 43.
سطانيوس: 69.
سعد بن أبي وقّاص: 100.
سعيد بن المسيّب: 159، 213.
سفيان بن عوف: 170.
سلمان الفارسيّ: 60، 61.
سلمان بن بايزيد يلدرم: 80.
سليم شاه بن بايزيد بن محمّد: 120.
سليمان شاه بن عثمان: 76.
سليمان بن داود (النبيّ): 59، 118، 150، 151، 153، 154، 187، 199، 200.
سليمان بن عبد الملك بن مروان: 156، 171، 195، 198.
السمح بن خولان: 197.
سمرة بن جندب: 43.
سنان بن مالك: 72.
السهيليّ: 67.
سيبويه: 132.
سيف الدولة الحمدانيّ: 151، 161.
سيف الدين برقوق: انظر برقوق (السلطان)
شبل الترجمان: 180.
شدّاد بن عاد: 133.
الشعبيّ: 148.
شلاحن الروميّ: 68.
شمس الدين بن الجزريّ: انظر ابن الجزريّ
شمس الدين بن خلّكان: انظر ابن خلّكان
شمس الدين السخاويّ: 76، 89، 171.
شمس الدين الفنريّ: انظر محمّد بن حمزة الفنريّ الحنفيّ (أبو عبد الله)
شمسون بن مناح: 59.
الشهاب الكورانيّ: انظر القرافيّ
شهاب الدين القرافيّ: انظر القرافيّ
شهاب الدين ياقوت الحمويّ: انظر ياقوت الحمويّ الرّوميّ
شهربراز: 137، 138، 139.
شيبون (قائد ملك رومة): 186.
صاعد الأندلسيّ: 195.
صالح (النبيّ): 150.
صالح بن المنصور: 159.
الصغانيّ: 89.
صهيب بن سنان (الروميّ): 60، 61، 72، 73، 74.
صوجي بن مراد الغازي: 78.
صيدون (الملك): 199.
ضرار (أمّ المعتضد العبّاسيّ): 159.
طارق بن زياد: 190، 195، 196، 198.
طاطاغورس: 68.
طاهر بن الحسين الخزاعيّ (أبو الطيّب): 111، 115.
الطبرانيّ: 65، 100، 171.
الطبريّ: 178.
ططيوس بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم: 208.
عائشة بنت أبي بكر: 212.
العبّاس: 47.
العبّاس بن عبد المطّلب: 205.
العبّاس بن مرداس السلميّ: 212.
عبد الحميد الكاتب: 206.
عبد الرحمن بن الحكم المروانيّ: 158.
عبد الرحمن بن مسلم الخُراسانيّ: انظر أبو مسلم الخُراسانيّ
عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ: 155، 172.
عبد العزيز بن موسى بن نُصير: 198.
عبد الله بن أبي بكر: 137.
عبد الله بن بشر الغنويّ (أو الخثعميّ): 171.
عبد الله بن جُدعان القرشيّ التيميّ: 72.
عبد الله بن جعفر الرقّيّ: 111.
عبد الله بن رواحة: 213.

عبد الله بن الزبير: 125، 126، 149.
عبد الله بن شدّاد: 65.
عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعيّ: 111، 115.
عبد الله بن عبّاس: انظر ابن عبّاس
عبد الله بن عليّ: 204، 205، 207.
عبد الله بن عمر بن الخطّاب: انظر ابن عمر
عبد الله بن قيس: 175.
عبد الله بن وهب: 60.
عبد الملك بن شعيب بن الليث: 60.
عبد الملك بن مروان: 125، 126، 148، 150.
عبد مناف بن قصيّ: 172.
عبيد بن العرندس الكلابيّ: 120هـ.
عثمان بن أرطغرل: 76.
عثمان بن عفّان: 71، 76، 171، 172.
عَديّ بن زيد: 47.
العرندس الكلابيّ: 120هـ.
عزّ الدين بن عبد السلام: 73.
العزيز بن بكّار: 177.
عضد الدين الإيجيّ: 116.
عطماوس: 201.
عكرمة (مولى ابن عبّاس): 46، 138.
علاء الدين السلجوقيّ: 76.
علاء الدين ملك قرمان: 79.
عليّ باشا: 103.
عليّ بن أبي طالب: 58، 71، 139، 156، 203.
عليّ بن الحسين: 150.
عليّ بن رضوان المصريّ: 61.
عليّ بن محمّد بن إبراهيم الشيحيّ: انظر الخازن
عليّ بن يحيى الأرمينيّ: 177.
عمر بن الخطّاب: 58، 65، 71، 72، 73، 139، 141، 142، 144، 153، 154، 158، 160، 212.
عمر بن عبد العزيز: 197.
عمران بن فلان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم: 55، 56، 57، 58.
عمرو بن خالد المعافريّ: 197.
عمرو بن العاص: 60، 149.
عمرو بن عبد الله بن مروان الأقطع: 177.
عمرو بن الليث الصفّار: 162.
عمرو بن معد يكرب: 155.
عُمَير بن إسحاق: 68.
عياض بن غنم: 175.
عيسى عليه السلام: 49، 68، 150، 173، 174، 185، 189، 207.
عيسى باك: 79.
عيسى بن أحمد الرازيّ: 188.
عيسى بن بايزيد يلدرم: 80.
عيسى بن عليّ: 195.
عيسى بن موسى: 204، 205، 207.
عيص بن إسحاق بن إبراهيم (عيصاب): 43، 44، 45، 46، 208.
الغزال: 158، 159.
غنطشة (ملك القوط): 195.
فخر الدين الرازيّ: 53.
فخر الملك (الوزير): 111.
فرخان: 138، 139.
الفرزدق: 150، 156.
فرقود بن بايزيد بن محمّد: 120.
فرنياس البيلقانيّ: 177.
فلنطانوس: 201، 202.
فوزا (ملك الهند): 126.
فيثاغورس التوحيديّ: 68.
الفيروزآبادي (المجد اللغويّ): 47، 79، 163، 203.
فيلاطون: 69.
القاسم بن سلّام: انظر أبو عُبيد القاسم بن سلّام
القاضي عياض: 51.
قايتباي المحموديّ الأشرفيّ: 140.
قحطان: 48.
قراطيس (أمّ الواثق بالله): 159.
القرافيّ: 73، 82.
قرال ملك الإفرنج (قارلة): 48، 81، 185، 197.

قُرْب (أمّ المهتدي العبّاسيّ): 159.
القرطبيّ (أبو العبّاس أحمد بن عمر): 65.
قسطاينوس: 201.
قسطنطين بن إليون: 179، 180، 181.
قسطنطين بن هرقل: 139، 140.
قسطنطين بن هيلانة (الأكبر): 163، 164، 167، 168، 169، 184.
قندودوس الرّوميّ: 69.
قيس بن سعد بن عُبادة: 149.
قيطس الحكيم: 69.
الكسائيّ (محمّد بن عبد الله): 46.
كسرى أبرويز: انظر أبرويز بن هرمز (كسرى فارس)
كعب الأحبار: 50.
كعب بن زُهير: 212هـ.
كعب بن مالك: 213.
كُليب بن ربيعة: 157.
لذريق (الملك): 189، 190، 192، 195، 198.
لندكان: 127.
لوط (النبيّ): 50.
الليث بن سعد: 55، 60.
ليّا: 44.
مار غريغوريوس الملطيّ: انظر ابن العبريّ
مازيار الخادم: 177.
المأمون العبّاسيّ: 111، 115، 182.
المبرّد: 149.
المتّقي لله العبّاسيّ: 173، 174.
المتنبّي: انظر أبو الطيّب المتنبّي
مجاهد بن جبر: 72.
المحسّن بن عليّ التنوخيّ: انظر التنوخيّ
محمّد (النبيّ): 39، 40، 43، 45، 51، 52، 58، 59، 60، 61، 64، 65، 66، 67، 68، 70، 71، 72، 73، 74، 76، 96، 97، 98، 99، 100، 104، 105، 107، 116، 117، 137، 138، 139، 142، 143، 156، 157، 165، 170، 171، 172، 211، 212، 213.
محمّد بن بايزيد بن محمّد: 120.
محمّد بن بايزيد يلدرم: 80.
محمّد بن جرير الطبريّ: انظر الطبريّ
محمّد بن حمزة الفنريّ الحنفيّ (أبو عبد الله): 81، 82.
محمّد بن الحنفيّة: 149.
محمّد بن سيرين: انظر ابن سيرين
محمّد بن شخيص: 194.
محمّد بن عبد المنعم الحميريّ: انظر ابن عبد النور
محمّد بن عثمان: 173.
محمّد بن عليّ بن خلف بن الصيرفيّ (أبو غالب): انظر فخر الملك (الوزير)
محمّد بن عمر بن عبد الله البصريّ الرّوميّ: 71.
محمّد بن عيسى بك: 103.
محمّد بن مراد باك (الفاتح): 83، 84، 85، 86، 88، 101.
محمّد بن المنكدر: 159.
محمّد بن موسى القطّان: 111.
محمود بن بايزيد بن محمّد: 120.
مراد الإفرنجيّ: 78.
مراد الغازي ابن أرخان: 78.
مراد باك بن محمّد (غياث الدين): 81، 82.
مروان بن محمّد: 206، 207.
المستورد القرشيّ: 60.
المسعوديّ: 48، 69، 70، 175، 177، 206.
مسلم بن الحجّاج: 60، 100، 172.
مسلم بن قتيبة: 205.
مسلمة بن عبد الملك بن مروان: 166، 171.
المسيح عليه السلام: انظر عيسى عليه السلام
مصطفى بن بايزيد يلدرم: 80.
مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف: 72.
المطّلب بن عبد مناف بن قصيّ: 155.
معاوية بن أبي سفيان: 54، 71، 149، 150، 167، 170، 175، 176، 177، 212.
المعتصم العبّاسيّ: 177، 178، 179.

المعتضد العبّاسيّ: 159، 162.
المعرّي: انظر أبو العلاء المعرّي
مغيث الرّوميّ: 196، 198.
المقتدر العبّاسيّ: 157.
المقريزيّ: 78.
المنتصر العبّاسيّ: 159.
المنصور العبّاسيّ: 133، 134، 135، 158، 159، 166، 204، 205، 207.
المهتدي العبّاسيّ: 159.
المهديّ بن المنصور: 160، 161، 166، 207.
المهلَّب بن أبي صفرة: 161.
المهلّبيّ (الوزير): 161.
موسى (النبيّ): 44، 150، 153، 193، 194.
موسى بن بايزيد يلدرم: 80.
موسى بن المهديّ بن المنصور: انظر موسى الهادي
موسى بن نُصير: 189، 190، 196، 197.
موسى الهادي: 155، 166.
ميخائيل بن جورجس: 183.
ميسرة بن مسروق: 175.
النسائيّ: 96، 100.
نسَمة بنت إسماعيل: 44.
النضيرة: 147، 148.
النعمان بن المنذر: 118، 157.
نقفور بن إستبراق: 167، 181، 182، 183.
النمر بن قاسط: 72.
نوح (النبيّ): 43.
نور الدين بن عفيف الدين الإيجيّ: 116.
نوفل بن عبد مناف بن قصيّ: 155.
نيزك بن روزبة: 205.
هارون الرشيد: انظر الرشيد العبّاسيّ
هاشم بن عبد مناف بن قصيّ: 154، 155، 172.
هبة الله بن الحسين بن أحمد البغداديّ: انظر البديع الأسطرلابيّ
هرقل قيصر الرّوم (قليطس): 64، 65، 66، 67، 68، 137، 139، 141، 142، 144، 145، 146، 147، 157، 158، 160، 179، 201، 202.
هشام بن عروة: 212.
الهيثم بن عَديّ: 134، 208.
الواثق العبّاسيّ: 70، 71، 159.
الواقديّ: 65، 68، 160.
الوليد بن عبد الملك: 133، 150، 188، 189، 190، 196، 198، 208.
وهب بن منبّه: 50، 51، 52، 59، 207.
يافث بن الأصفر بن نفر: 48.
يافث بن نوح: 43، 193.
اليافعيّ: 150، 158.
ياقوت الحمويّ الرّوميّ: 46، 165.
يحيى بن الحكم: انظر الغزال
يزيد بن مزيد الشيبانيّ: 153.
يزيد بن معاوية: 170.
يسطانياس (الملك): 173.
اليسع بن عيسى: 67، 184، 190، 195.
يشبك من مهدي: 86.
يعقوب بن إسحاق: 43، 44، 45، 46.
يوسف (النبيّ): 50.
يوقنا: 160.
يونان بن يافث بن نوح: 48.
يونس (النبيّ): 150.

# فهرست الأمم والقبائل والجماعات


الأتراك: 169.
إرم ذات العماد: 84.
الأرمن: 168.
أصحاب الكهف: 58، 203.
الإغريقيّون: 61، 193.
الأفارقة: 186.
الإفـرنج: 67، 78، 81، 102، 104، 164، 165، 185، 197.
الألمان: 165، 166، 182.
أهل الكتاب: 50، 52.
أولاد جفنة بن عمرو (آل جفنة): 143.
البربر: 48، 190، 191، 192.
البرجان: 165، 183.
بكر بن وائل: 164.
البلغر: 165، 183.
بنات الأصفر: 47، 160، 161.
البنادقة: 165.
بنو إبراهيم: 77.
بنو أبي يزيد: 77.
بنو أرِتْنا: 77.
بنو إسحاق: 45، 46، 172.
بنو إسرائيل: 46، 200، 207.
بنو إسماعيل: 198.
بنـو الأصـفر: 44، 45، 46، 47، 81، 104، 107، 164، 203.
بنو أميّة: 206.
بنو تكي: 77.
بنو العبّاس: 152، 159، 204، 206.
بنو عبد مناف: 29.
بنو عثمان: 40، 75، 84، 86، 120، 123، 163، 172.
بنو العيص (بنو عيصاب): 45، 55.
بنو غسّان: 141.
بنو فزارة: 141، 142.
بنو قرمان: 76، 77.
بنو كرميان: 77.
بنو مالك بن عمرو: 72.
التبابعة: 175.
الترك: 43، 157.
تميم: 72.
تنوخ: 71.
ثمود: 149.
جُذام: 71.
الحبش (الحبشة): 46، 47، 60، 61، 155.
الخزر: 48، 169.
الديلم: 134.
ربيعة: 144، 164.
السرب: 165، 183.
السرداق: 165، 183.
السودان: 43.
الصقالبة: 169.
عاملة: 71.
عبس: 156.

العجـــم (الأعـــاجم): 46، 66، 87، 92، 133، 137، 154، 189.
العـــــرب: 43، 46، 60، 66، 131، 144، 147، 148، 160، 164، 165، 170، 171، 181، 189، 192، 197، 212، 213.
غسّان: 71.
الفـــــرس: 45، 64، 69، 85، 123، 125، 136، 146، 147.
قريش: 137، 154، 172، 175، 213.
القُوط: 189، 195.
الكراجنة: 202.
الكريل: 165، 166، 182.
كلب: 72.
لخم: 71.
اللطفة: 165، 166، 182.
الماجار: 165، 166، 182.
المُحَمِّرَة: 178.
المسلمون: 64، 65، 66، 69، 71، 77، 83، 84، 102، 103، 106، 135، 137، 139، 140، 142، 151، 156، 157، 158، 159، 165، 166، 173، 174، 176، 177، 187، 188، 197، 201، 207، 221.
مُضَر: 144، 164.
النبط: 132.
النصـارى: 66، 83، 84، 103، 104، 137، 163، 173، 178، 185، 198.
النقراط: 165، 166، 182.
النمج: 165، 166، 182.
يأجوج ومأجوج: 43.
اليهود: 153، 188.
اليونان (اليونانيّون): 48، 49، 128، 169، 193.

# فهرست الأيّام والغزوات


غزاة الرادفة: 170.
غزوة أُحُد: 137، 138.
غزوة بدر: 72، 138.
غزوة تبوك: 45.
يوم الحديبيّة: 138، 139.
يوم الطوانة: 163، 167، 170.
يوم عمّوريّة: 178.
يوم اليرموك: 66.

# فهرست البلدان والمواضع ونحوها


آق كرماني: 101.
آيا صوفيا: 84، 200، 203.
أبريق: 177.
أدرنة: 78، 80، 82، 83، 95.
أدنة: 70.
الأذاع: 77.
أذرعات: 137.
أربونة: 197.
الأردن: 53.
أرْزنكان: 77.
أرض تهامة: 202.
أرض سبأ: 153، 154.
إرم ذات العماد: 84.
أرمينية: 131، 164.
أروم: 45.
أزنيك: 79.
إسطنبول: 82، 85، 86، 93، 94، 163، 164، 165، 183، 215.
إسفنديار: 83.
الإسكندريّة: 131، 132، 133، 204، 216.
إشبانة = الأندلس: 188.
إشبيلية = رومية بوليس: 162، 188، 203.
الأشكريّ = صالونيك: 165.
إصطخر: 157.
إفرنسة (إفرنجة): 184، 197، 198.
إفريقية: 186، 190.
الأفلاق: 78، 83.
أماسية: 120.
الأمانيّة: 184.
الأندلس: 162، 172، 185، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 198.
أنسوس: 58، 203.
أنطاكية: 65، 68، 160، 201.
أنطاليا: 68، 77.
أنقرة: 158.
الأنقرس: 78.
الأولاق: 183.
أيا سلوق: 77، 79.
أيدين: 77.
أيلة: 188.
إيوان كسرى: 134، 135، 136.
باب الأبواب: 131.
باب الذهب: 134، 168.
بئر السبع: 53.
البحر الأبيض: 84.
بحر إسطنبول: 86.
بحر الشام: 167.
البحر الطويل: 164.
بحر الظلمات = بحر أوقيانس = البحر المحيط = البحر الأخضر: 55، 164، 198، 199.

بحر مايطس = البحر الرّوميّ: 164.
بحر الملح: 191.
بحر نيطس = البحر الأسود = بحر طرابزون: 83، 84، 164.
برشلونة: 197.
برصا: 32، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 83، 94، 215.
بصرى: 137، 217.
البصرة: 126.
بصنا: 83.
بغداد: 133، 134.
بلاد البلغر: 183.
بلاد الرّوم: 71، 87، 92، 145، 158، 165، 178، 186، 203، 205.
بلاد السرب: 183.
بلاد الشام: 133، 164.
البلاط: 197.
بلاطية: 77.
بلخ: 205.
بندر ابن يختى: 102.
بندر أوارنة: 102.
بندر سلتيك: 82.
بندر قرون: 102.
بندر متون: 103.
بوزنطيا: 163.
بولير: 83.
بونية: 69، 70.
بيت المقدس: 81، 131، 172، 188، 202.
بيعة الرها: 173.
التكا: 83.
جامع القيروان: 173.
الجامع الكبير (إسطنبول): 85.
جبال الشراة: 45.
جبل الديلم: 172.
جبل لبنان: 208.
الجزائر: 55.
جزيرة شيّق = جزيرة المستكة: 164.
الجزيرة العربيّة: 164.
جلّيقية: 198.
جندي سابور: 147.
الجوف: 67.
جيحان: 57.
الحبشة: 155.
الحجاز الشريف: 45، 49، 160، 204.
الحرمان الشريفان: 90، 91، 92، 104.
حصن سنارة: 158.
حصن لُكّ: 198.
حِمير: 54.
خراسان: 124، 204، 205.
الخرسك: 83.
خرشنة: 151.
الخزرة: 124.
الخليج الرّوميّ: 164.
خليج قسطينة: 77.
الخمّان: 143.
دار الأرقم: 72.
دجلة: 57، 204.
درب موزار: 158.
درعة: 174.
درنا = الأوغلاق: 165.
دمشق: 133.
دير سمعان: 170.
ديسيوت: 83.
الرها: 68.
رومة = رومية (الكبرى) = مملكة الرّومانيّة: 45، 48، 58، 70، 164، 167، 168، 178، 182، 184، 185، 186، 187، 195، 201، 203.

رومية (المدائن): 204، 205.
زبطرة: 177، 178.
زقاق سبتة: 164، 191.
سبتة: 189، 194.
سدّ الإسكندر: 131، 133.
سرحان: 120.
سردانية: 186، 187.
سُرَّ مَن رأى: 177.
سرنديب: 48، 130.
سواحل الشام: 44.
سيروس: 82.
سيلان: 48.
سيواس: 77، 79.
الشام: 48، 49، 51، 71، 131، 133، 154، 155، 167، 185، 197، 202.
شهرزور: 132.
صحراء الأردن: 53.
صخرة بُلاي: 198.
صقلّية: 140.
صنعاء: 153.
صيدون: 199.
الصين: 48، 130، 131، 135.
طالقة: 162.
طبرستان: 117.
طرابزون: 120.
طرسوس: 58، 77.
طشالية: 174.
طليطلـة: 66، 67، 157، 187، 188، 189، 190، 192، 195.
طنغرلو: 77.
طُوانة: 163، 167، 170.
العـــراق: 138، 144، 155، 167، 178، 204، 205، 213.
العلايا: 77.
عُمان: 143.
عمّوريّة: 167، 178، 179، 184.
عين التمر: 148.
فارس: 43، 58، 60، 61، 123، 124، 126، 136، 137، 138، 139، 146، 204.
الفرات: 57، 181.
فلسطين: 44.
قادس: 190، 193، 194، 195.
قاليقلا: 166.
القبّة الخضراء: 133.
قبلي خليج قسنطينة: 78.
قربوطان: 83.
قرطاجنة: 186.
قرطبة: 195، 196.
قرمان: 76، 79، 83، 120.
قستمونيّة: 77.
القســطنطينيّة: 45، 83، 121، 144، 151، 163، 164، 166، 167، 170، 171، 172، 173، 175، 178.
قسنطينة: 78.
قصر شيرين: 204.
قلعة دراج: 103.
قلعة واتقة: 103.
قونية: 77، 120.
قويطية: 163، 167.
قيصريّة: 77.
كردة (كرمة): 120.
الكرميان: 83.
الكعبة: 150.
كفة: 120.
كلي: 101.
كليبولي: 78.
كمخ: 166.

كنيسة الرها: 173.
كنيسة طُليطلة: 188.
كنيسة القسطنطينيّة: 186.
اللاذقيّة: 120.
لارندة: 77.
الماتكير: 126.
ماردة: 188، 196.
المدائن: 118، 138، 141، 157.
المدينة الشريفة (يثرب): 72، 76، 83، 92، 96، 142، 172.
مراسيا: 174.
مزرعة جيرون: 45.
مصر: 48، 49، 55، 58، 72، 132، 140، 164، 217.
المغرب الأقصى: 55.
مغنيسيا: 120.
مقدونية: 49، 61، 132.
مكّة: 72، 137، 138، 155.
ملطية: 79، 166، 178.
مملكة الحضر: 147.
منبج: 68.
منتشة: 120.
نقموديّة: 174.
نهر أركنة: 82.
نهر تونجة: 83، 95.
نهر رومة: 184.
نهر قسطنطيانوس: 167.
النوبهار: 205.
النيل: 55، 56، 57.
هرقلة: 179، 180، 182.
الهنـــد: 48، 126، 127، 129، 130، 136، 152، 162، 193.
وادي ردونة: 197.
وادي القردة: 153.
وادي القسطنطينيّة: 176، 177.
وادي الياقوت: 175.
اليرموك: 143.
اليمن: 47، 155.
اليونان: 52، 190، 192.

# فهرست الأشعار


| المطلع | القافية | عدد الأبيات | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|---|
| **الهمزة** | | | | |
| أهدي | نعمائِهِ | 2 | الكامل | 41 |
| نسبٌ | والعلياءِ | 1 | الخفيف | 76 |
| **الباء** | | | | |
| نبَذْنا | الكتائبِ | 2 | الطويل | 207–206 |
| السيفُ | واللعِبِ | 2 | البسيط | 178 |
| أترجو | الحسابِ | 1 | الوافر | 207 |
| **الحاء** | | | | |
| وليسَ | مادح | 1 | الطويل | 41 |
| **الدال** | | | | |
| ووَضْعُ | النَّدى | 1 | الطويل | 110 |
| أرَدتُ | شهودُ | 2 | الطويل | 149 |
| قدْ كانَ | مفنّدِ | 3 | الكامل | 54 |
| **الراء** | | | | |
| تنصّرَت | ضرَرْ | 5 | الطويل | 144 |
| ملوكُ | مَفاخرُ | 2 | الطويل | 119 |
| وكانَ | مختارُ | 4 | البسيط | 147 |
| وبنُو الأصفرِ | مَذْكورُ | 1 | الخفيف | 47 |
| خُذوا | والنثرِ | 63 | الطويل | 220–214 |
| جمالُ | والسِّيرِ | 1 | البسيط | 86 |
| مَنْ تَلْقَ | الساري | 1 | البسيط | 120 |
| هوَتْ | والنارِ | 2 | البسيط | 180 |
| اسعِدْ | مُقمِرِ | 4 | الكامل | 161 |
| **السين** | | | | |
| ورجراجةِ | الأوانسِ | 4 | الطويل | 194 |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| **العين** | | | | |
| قومٌ | يدَعُ | 1 | البسيط | 75 |
| مَن كانَ | يَضَعُ | 1 | البسيط | 41 |
| وما تناهَيتُ | أدَعُ | 1 | البسيط | 121 |
| **القاف** | | | | |
| كالشَمسِ | الآفاقِ | 1 | الكامل | 93 |
| راقبَتني | إشفاقِ | 3 | الخفيف | 161 |
| **اللام** | | | | |
| وهَلْ يُنْبِتُ | النخلُ | 1 | الطويل | 120 |
| روميّةٌ | تمثالُ | 1 | البسيط | 162 |
| حجازيّةُ العينينِ | الكَفَل | 1 | الطويل | 162 |
| ولله عندي | قبلي | 6 | الطويل | 152–151 |
| للهِ | الأوّلِ | 4 | الكامل | 143 |
| **الميم** | | | | |
| لا يغضبونَ | حَلُموا | 2 | البسيط | 152 |
| حتّى إذا | ظلامُها | 1 | الكامل | 54 |
| كُلّما | الكِرامُ | 1 | الخفيف | 91 |
| بسيفِ | ظالم | 2 | الطويل | 156 |
| ولا نقتلُ | المَغارم | 2 | الطويل | 157–156 |
| ألستَ | والعجم | 2 | البسيط | 66 |
| أهونْ عليَّ | مُوم | 2 | البسيط | 170 |
| **النون** | | | | |
| ما يُبالي | يَمينُ | 3 | الخفيف | 155 |
| لمَنِ الدارُ | والخمّانِ | 4 | الخفيف | 144–143 |

# قائمة المصادر والمراجع

## *المصادر*


إحياء علوم الدين لأبي حامد محمّد الغزاليّ. بيروت: دار المعرفة، 1402/ 1982.

الأذكياء لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزيّ، حقّقه وقدّم له أسامة عبد الكريم الرفاعي. دمشق: مكتبة الغزالي، 1971.

الأموال لأبي عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهرويّ البغداديّ، تحقيق محمّد خليل هرّاس. بيروت: دار الفكر، 1981.

إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانيّة، 1967.

الإيضاح في شرح المفصّل لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحويّ، تحقيق وتقديم موسى بناي العليلي. [بغداد]: وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة – إحياء التراث الإسلاميّ، د.ت.

البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. بيروت: دار الفكر، 1407/ 1986.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لشيخ الإسلام محمّد بن علي الشوكاني. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

تاج اللغة وصحاح العربيّة لأبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار. بيروت: دار العلم للملايين، 1407/ 1987.

التاريخ الأوسط لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاريّ، تحقيق محمود إبراهيم زايد. حلب: دار الوعي – القاهرة: مكتبة دار التراث، 1397/ 1977.

تاريخ الرسل والملوك – تاريخ الطبريّ لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ. بيروت: دار التراث، 1387هـ.

التاريخ الكبير – تاريخ ابن أبي خيثمة لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة، تحقيق صلاح بن فتحي هَلل. القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 1424/ 2004.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام لأبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ، تحقيق بشّار عوّاد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1422/ 2002.

تاريخ مختصر الدول لأبي الفرج غريغوريوس بن هارون بن توما الملطيّ المعروف بابن العبريّ، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي. بيروت: دار المشرق، 1992.

تأويل مشكل القرآن لأبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1422/ 2002.

التبر المسبوك في ذيل السلوك لأبي الخير شمس الدين السخاويّ، تحقيق لبيبة إبراهيم مصطفى ونجوى مصطفى كامل. القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، 1426/ 2005.
تجارب الأمم وتعاقب الهمم لأبي عليّ أحمد بن محمّد مسكويه، حقّقه أبو القاسم إمامي. طهران: دار سروش، 2000.
التخريج الصغير والتحبير الكبير لجمال الدين بن المِبْرَد الحنبليّ، اعتنى به نور الدين طالب. دمشق: دار النوادر، 1432/ 2011.
تفسير الخازن – لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين عليّ بن محمّد المعروف بالخازن، تصحيح محمّد عليّ شاهين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1415هـ.
التمثيل والمحاضرة لأبي منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبيّ، تحقيق عبد الفتّاح محمّد الحلو. القاهرة: الدار العربيّة للكتاب، 1401/ 1981.
التيجان في ملوك حِمير لأبي محمّد عبد الملك بن هشام. صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنيّة، 1347هـ.
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، 1405/ 1985.
الجامع الكبير – سنن الترمذيّ لأبي عيسى محمّد بن عيسى الترمذيّ، تحقيق بشّار عوّاد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1998.
جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير لجلال الدين السيوطيّ، حقّقه مختار إبراهيم الهائج وعبد الحميد محمّد ندا وحسن عيسى عبد الظاهر. القاهرة: الأزهر الشريف، 1426/ 2005.
جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمّد بن أبي الخطّاب القرشيّ، حقّقه وضبطه وزاد في شرحه عليّ محمّد البجاوي. [الجيزة]: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.
جمهرة أنساب العرب لأبي محمّد عليّ بن أحمد بن حزم الظاهريّ، تحقيق لجنة من العلماء. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1403/ 1983.
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطيّ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، 1387/ 1967.
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ. [القاهرة]: مطبعة السعادة، 1394/ 1974.
درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة لتقيّ الدين أحمد بن عليّ المقريزيّ، حقّقه وعلّق عليه محمود الجليلي. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1423/ 2002.
ديوان ابن روميّ، تحقيق حسين نصّار. القاهرة: الهيئة المصريّة للكتاب، 1978.
ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات. بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1415/ 1994.
ديوان أبي الطيّب المتنبّي، حقّق النصوص وهذّبها وعلّق حواشيها وقدّم لها عمر الطبّاع. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.
ديوان أبي تمّام، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له عمر فاروق الطبّاع. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.
ديوان أبي فراس الحمدانيّ، شرح خليل الدويهي. بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1414/ 1994.
ديوان المعاني لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكريّ، تحقيق أحمد سليم غانم. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1424/ 2003.

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، 1404/ 1984.
ديوان عديّ بن زيد العباديّ، حقّقه وجمعه محمّد جبّار المعيبد. بغداد: شركة دار الجمهوريّة للنشر والطبع، 1385/ 1965.
ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ. بيروت: دار صادر، د.ت.
ربيع الأبرار ونصوص الأخيار لأبي القاسم جار الله الزمخشريّ، تحقيق عبد الأمير مهنّا. بيروت: مؤسّسة الأعلميّ، 1412/ 1992.
رحلة الشتاء والصيف لمحمّد بن عبد الله بن محمّد المعروف بكِبْريت، حقّقه وقدّم له وأعدّ فهارسه محمّد سعيد الطنطاوي. بيروت: المكتب الإسلاميّ للطباعة والنشر، 1385هـ.
الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة لابن هشام لأبي القاسم عبد الرحمن السهيليّ، تحقيق عمر عبد السلام السلامي. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 1421/ 2000.
الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميريّ المعروف بابن عبد النور، تحقيق إحسان عبّاس. بيروت: مؤسّسة ناصر للثقافة، 1980.
الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمّد بن القاسم الأنباريّ، تحقيق حاتم صالح الضامن. بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، 1989.
زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن عليّ الحُصريّ، تحقيق زكي مبارك. بيروت: دار الجيل، د.ت.
سراج الملوك لأبي بكر محمّد بن محمّد الطرطوشيّ. مصر: من أوائل المطبوعات العربيّة، 1289/ 1872.
سلّم الوصول إلى طبقات الفحول لحاجّي خليفة، إشراف وتقديم أكمل الدين إحسان أوغلي. إستانبول: 2010.
السلوانات – سلوان المطاع في عدوان الأتباع لأبي عبد الله بن ظفر الصقلّيّ، تقديم وتحقيق أيمن عبد الجابر البحيري. القاهرة: دار الآفاق العربيّة، 1421/ 2001.
سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمّد بن ماجه، حقّقه شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمّد كامل قره بللي وعبد اللطيف حرز الله. بيروت: دار الرسالة العالميّة، 1430/ 2009.
سنن أبي داود لأبي داود بن الأشعث، حقّقه شعيب الأرنؤوط ومحمّد كامل قره بللي. بيروت: دار الرسالة العالميّة، 1430/ 2009.
السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1424/ 2003.
السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائيّ، حقّقه وأخرج أحاديثه حسن عبد المنعم شلبي. بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1421/ 2001.
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط. دمشق – بيروت: دار ابن كثير، 1986.
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة، 2003.
شرح الكافية الشافية لأبي عبد الله جمال الدين محمّد بن عبد الله بن مالك، تحقيق وتقديم عبد المنعم أحمد هريدي. مكّة المكرّمة: جامعة أمّ القرى – مركز البحث العلميّ وإحياء التراث الإسلاميّ، 1402/ 1982.
شرح النوويّ على مسلم – المنهاج: شرح صحيح مسلم بن الحجّاج لأبي زكريّا محيي الدين يحيى بن شرف النوويّ. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 1392هـ.

شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسّامة لأبي القاسم عبد الملك بن بدرون. [القاهرة]: مطبعة السعادة، 1340/ 1921.

شروح سقط الزند لأبي العلاء المعرّي، تحقيق مصطفى السقّا وعبد الرحيم محمود وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1986.

شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ، حقّقه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه عبد العليّ عبد الحميد حامد. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – بومباي (الهند): الدار السلفيّة، 1423/ 2003.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبيّ. بيروت: دار الفكر، 1409/ 1988.

صحيح البخاريّ لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاريّ، شرح وتحقيق قاسم الشمّاعي الرفاعي. بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، د.ت.

صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ النيسابوريّ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة – بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 1412/ 1991.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لأبي الخير شمس الدين السخاويّ. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1412/ 1991.

طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسيّ، نشره وذيّله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس الأب لويس شيخو اليسوعي. بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، 1912.

الطبقات الكبرى لأبي عبد الله محمّد بن سعد، تحقيق محمّد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1410/ 1990.

طبقات المحدّثين بأصبهان والواردين عليها لأبي محمّد عبد الله بن محمّد المعروف بأبي الشيخ الأصبهانيّ، تحقيق عبد الغفور بن عبد الحقّ حسين بر البلوشي. بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1412/ 1992.

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لأبي حامد أحمد بن عليّ بهاء الدين السبكيّ، تحقيق عبد الحميد هنداوي. بيروت: المكتبة العصريّة، 1423/ 2003.

العقد الفريد لأبي عمر بن عبد ربّه الأندلسيّ، تحقيق مفيد محمّد قميحة. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1404/ 1983.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، 1401/ 1981.

فتح الباري: شرح صحيح البخاريّ لأبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمّد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

الفتوح لأبي محمّد أحمد بن أعثم الكوفيّ، تحقيق عليّ شيري. بيروت: دار الأضواء، 1411/ 1991.

فتوح الشام لأبي عبد الله محمّد بن عمر الواقديّ، ضبطه وصحّحه عبد اللطيف عبد الرحمن. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1417/ 1997.

الفرج بعد الشدّة لأبي عليّ المحسّن بن عليّ التنوخيّ، تحقيق عبّود الشالجي. بيروت: دار صادر، 1398/ 1978.

الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلميّ الهمذانيّ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1406/ 1986.

الفروق – أنوار البروق في أنواء الفروق لأبي العبّاس شهاب الدين أحمد بن إدريس المعروف بالقرافيّ. بيروت: عالم الكتب، د.ت.
القاموس المحيط لأبي طاهر مجد الدين الفيروزآبادي، تحقيق محمّد نعيم العرقسوسي. بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1426/ 2005.
قصص الأنبياء المُسمّى بالعرائس لأبي إسحاق الثعلبيّ. [القاهرة]: مكتبة الجمهوريّة العربيّة، د.ت.
قصص الأنبياء أو بدء الدنيا لمحمّد بن عبد الله الكسائيّ، تصحيح إسحاق بن ساؤول أبزنبرغ. ليدن: مطبعة بريل، 1922.
الكامل في التاريخ لأبي الحسن عزّ الدين بن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1417/ 1997.
الكامل في اللغة والأدب لأبي العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربيّ، 1417/ 1997.
كتاب بغداد لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور، تحقيق عزّت العطّار الحسيني. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1423/ 2002.
كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان لأبي الفضل بديع الزمان الهمذانيّ، تحقيق إبراهيم بن عليّ الأحدب الطرابلسي. بيروت: المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيّين، 1890.
الكشف والبيان عن تفسير القرآن – تفسير الثعلبيّ لأبي إسحاق الثعلبيّ، تحقيق عدد من الباحثين. جدّة: دار التفسير، 1436/ 2015.
الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين الغزّيّ، تحقيق جبرائيل سليمان جبّور. بيروت: المطبعة الأميركانيّة، 1945.
اللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن عزّ الدين بن الأثير. بيروت: دار صادر، 1400/ 1980.
المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوريّ المالكيّ، حقّقه أبو عُبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. أمّ الحصم (البحرين): جمعيّة التربية الإسلاميّة – بيروت: دار ابن حزم، 1419هـ.
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان لأبي محمّد عفيف الدين اليافعيّ، تحقيق خليل عمران المنصور. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1417/ 1997.
مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن عليّ بن الحسين المسعوديّ، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي. صيدا – بيروت: المكتبة العصريّة، 1425/ 2005.
المسالك والممالك لأبي عُبيد عبد الله البكريّ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1992.
المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوريّ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1411/ 1990.
المستطرف في كلّ فنّ مستظرف لأبي الفتح شهاب الدين الأبشيهيّ، تحقيق سعيد محمّد اللحّام. بيروت: عالم الكتب، 1419/ 1999.
مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين. بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1421/ 2001.

مسند البزّار – البحر الزخّار لأبي بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزّار، تحقيق عادل بن سعد وآخرين. المدينة المنوّرة: مكتبة العلوم والحكم، 1988–2009.
مسند الحارث – بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث لأبي محمّد الحارث بن محمّد المعروف بابن أبي أسامة، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري. المدينة المنوّرة: مركز خدمة السنّة والسيرة النبويّة، 1413/ 1992.
المعارف لأبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ، تحقيق ثروت عكاشة. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1992.
معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحمويّ، تحقيق إحسان عبّاس. بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، 1414/ 1993.
المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمّد وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين، 1415/ 1995.
معجم البلدان لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت الحمويّ، تحقيق فرديناند وستنفلد. بيروت: دار صادر، 1995.
معجم الشعراء لأبي عُبيد الله محمّد بن عمران المرزبانيّ، تصحيح وتعليق فريتس كُرِنْكو. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1402/ 1982.
المعجم الصغير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق محمّد شكور بن محمود الحاج أمرير. بيروت: المكتب الإسلاميّ – عمّان: دار عمّار، 1405/ 1985.
المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة: مكتبة ابن تيميّة، 1404/ 1983.
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عُبيد عبد الله البكريّ، تحقيق مصطفى السقّا. بيروت: عالم الكتب، 1403هـ.
معرفة الصحابة لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي. الرياض: دار الوطن للنشر، 1419/ 1998.
المُغرب في حلى المَغرب لأبي الحسن بن سعيد المغربيّ، تحقيق شوقي ضيف. القاهرة: دار المعارف، 1955.
المُغرب في محاسن المَغرب لأبي يحيى اليسع بن عيسى الغافقيّ، دراسة وجمع وتوثيق عبد السلام الجعماطي. الرباط: منشورات دار الأمان، 1436/ 2015.
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمّد جمال الدين بن هشام الأنصاريّ، حقّقه مازن المبارك ومحمّد عليّ حمد الله. دمشق: دار الفكر، 1985.
مفاتيح الغيب – التفسير الكبير لأبي عبد الله محمّد بن عمر الملقَّب بفخر الدين الرازيّ. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، 1420هـ.
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العبّاس أحمد بن عمر القرطبيّ، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له محيي الدين ديب ميستو وأحمد محمّد السيّد ويوسف عليّ بديويّ ومحمود إبراهيم بزّال. دمشق – بيروت: دار الكلم الطيّب، 1417/ 1996.
المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لأبي الخير شمس الدين السخاويّ، تحقيق محمّد عثمان الخشت. بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1405/ 1985.

المقتبس من أنباء الأندلس لأبي مروان حيّان بن خلف بن حيّان القرطبيّ، تحقيق محمود عليّ مكّي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، 1390هـ.
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزيّ، تحقيق محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1412/ 1992.
المنمّق في أخبار قريش لأبي جعفر محمّد بن حبيب البغداديّ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق. بيروت: عالم الكتب، 1405/ 1985.
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي. القاهرة: المؤسّسة المصريّة للتأليف والترجمة، 1963.
نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان لعليّ بن داود الصيرفيّ، تحقيق حسن حبشي. القاهرة: دار الكتب المصريّة، 1970.
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة لأبي عليّ المحسّن بن عليّ التنوخيّ، تحقيق عبّود الشالجي. بيروت: دار صادر، 1391/ 1971.
نصرة الثائر على المثل السائر لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ، تحقيق محمّد عليّ سلطاني. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، 1971.
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين أحمد بن محمّد المقّري التلمسانيّ، تحقيق إحسان عبّاس. بيروت: دار صادر، 1388/ 1968.
نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهّاب شهاب الدين النويريّ، تحقيق مصطفى حجازي وآخرين. القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميّة، 1423/ 2002.
النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس، تحقيق أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي. بيروت: دار صادر، 2001.
هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين لإسماعيل باشا البغدادي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1951.
الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ، حقّقه أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420/ 2000.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العبّاس شمس الدين بن خلّكان، تحقيق إحسان عبّاس. بيروت: دار صادر، 1398/ 1978.
يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمّد الثعالبيّ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السعادة، 1956.

## المراجع

الباهي، أحمد. "حول هويّة ابن عبد المنعم الحميريّ مؤلّف كتاب: الروض المعطار،" المجلّة التونسيّة للعلوم الاجتماعيّة 47 (2010)، 17–36.
الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، 2002.
السباعي، أحمد. تاريخ مكّة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران. مكّة: الأمانة العامّة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1999.

عبد السلام، ياسر محمّد غريب. ديوان ابن العليف (851–826/ 1447–1520): تحقيق ودراسة. أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، 2011.

كحّالة، عمر. معجم المؤلّفين: تراجم مصنّفي الكتب العربيّة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1957.

Abu-Husayn, Abdulrahim (ed). *1516: The Year that Changed the Middle East*. Beirut: American University of Beirut Press, 2021.

Ahlwardt, Wilhelm. *Arabischen Handschriften der königlichen Bibliothek zu Berlin*. Berlin: A. Asher, 1887-1899.

El-Rouayheb, Khaled. *Islamic Intellectual History in the Seventeenth Century: Scholarly Currents in the Ottoman Empire and the Maghreb*. New York: Cambridge University Press, 2015.

Bauer, Thomas. "In Search of 'Post-Classical Literature': A Review Article." *Mamlūk Studies Review* 11.2 (2007), 137-67.

Bauer, Thomas. "Mamluk Literature: Misunderstandings and New Approaches." *Mamlūk Studies Review* 9.2 (2005): 108.

D'hulster, Kristof. "Caught Between Aspiration and Anxiety, Praise and Exhortation: An Arabic Literary Offering to the Ottoman Sultan Selīm I." *Journal of Arabic Literature* 44.2 (2013), 181-239.

Gündüz, Hacı Osman. "Ottoman-Era Arabic Literature: Overview of Select Secondary Scholarship." *Al-Abhath* 69 (2021), 107-22.

Gündüz, Hacı Osman. "Between Lamenting Vicissitudes of Life and Celebrating Ottoman Authority in the Sixteenth Century: Māmayya al-Rūmī's (d. 985-7/1577-9) Times and Poetry." *Philological Encounters* 7 (2022), 299-333.

Kafadar, Cemal. "A Rome of One's Own: Reflections on Cultural Geography and Identity in the Lands of Rum." *Muqarnas* 24 (2007), 7-25.

Masters, Bruce. *The Arabs of the Ottoman Empire, 1516-1928: A Social and Cultural History*. New York: Cambridge University Press, 2013.

al-Musawi, Muhsin J. *The Medieval Islamic Republic of Letters: Arabic Knowledge Constructions*. Notre Dame: University of Notre Dame Press, 2015.

Pfeifer, Helen. *Empire of Salons: Conquest and Community in Early Modern Ottoman Lands.* Princeton: Princeton University Press, 2022.

Pfeifer, Helen. "Encounter after the Conquest: Scholarly Gatherings in 16th-Century Ottoman Damascus." *International Journal of Middle East Studies* 47.2 (2015), 219-39.

Rasmussen. Stig, T. *De Orientalske Samlinger-The Oriental Collections*. Copenhagen: The Royal Library, 2016.

Sajdi, Dana. "Decline, Its Discontents and Ottoman Cultural History: By Way of Introduction." In *Ottoman Tulips, Ottoman Coffee: Leisure and Lifestyle in the Eighteenth Century*, ed. Dana Sajdi. London and New York: Tauris Academic Studies, 2007, 1-40.

Talib, Adam. *How Do You Say "Epigram" in Arabic? Literary History at the Limits of Comparison.* Leiden: Brill, 2018.

Winter, Michael. "Egypt and Syria in the Sixteenth Century." In *The Mamluk-Ottoman Transition: Continuity and Change in Egypt and Bilād al-Shām in the Sixteenth Century*, eds. Stephan Conermann and Gül Şen. Göttingen: V&R Unipress and Bonn University Press, 2017, 33-56.